



المكتور  
مصطفى البغب  
كلية الشريعة - جامعة دمشق

حاضر  
العلم لله  
لطلاب السنة الاولى

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فهذه بحوث في حاضر العالم الاسلامي ، جمعتها على عجل كي تتمكن

من وضع مرجع في المقرر بين يدي الطلاب في مطلع الفصل الدراسي ، ولضيق

الوقت لم يكن لي فيها الا الجمع وبتصرف يسير في بعض البحوث لا يكاد يذكر

ولذا كان فيها بعض جوانب نقص ، اهمها انها موضوعات كتبت في فترة

مضى عليها على الاقل عشرون عاما ، وعنوان البحث يوحي ان المضمون قد

كتب حديثا وتناول واقع العالم الاسلامي حتى اليوم الذي كتبت فيه .

الله تعالى نسأل ان توفي بنصيب كبير من الغرض المقصود بهذا المقرر،

ان تسنح الفرصة لكتابة كاملة ووافية ، انه اكرم مسؤول .



## تمهيد :

بدأ الاسلام في بقاع مكرمة تقع في الجانب الغربي من الجزيرة العربية ، ولكن هذه المنطقة الضيقة ما لبثت ان اتسعت ، وانتشر نورها حتى شمل الجزيرة العربية برمتها شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا . ومن هذه الجزيرة انتقل الاسلام الى شتى الاقطار والامصار في العالم . ففي آسيا شمل بلاد الشام والعراق وما اليهما في الشمال ، ثم اتجه الى الشرق حتى عمّ ايران ، ومن الجزيرة العربية كذلك وغيرها من الاقطار الاسلامية حتى بلغ الهند والصين واندونيسيا والملايو واليابان .

وفي افريقيا شملت الدولة الاسلامية مصر والسودان والحبشة وغيرها ، كما شملت طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكثيرا من الاقطار في شرق افريقية وغربها .

وفي اوربا امتد الاسلام عبر جبل طارق في اسبانيا حتى وصل الى جنوب فرنسا ، ثم الى البلقان وسواحل اوربا من طريق البوسفور والدرديل وبحر مرمرة ، كما نفذ اليها من طريق سيبيريا الغربية حين تدفقت الشعوب التركية والمغولية الاسلامية ، وسيطرت على الاناضول وحوض الفولجا وسهولها والطرف الجنوبي الشرقي من روسيا والسواحل الشمالية لبحر قزوين والبحر الاسود . وما لبث نور الاسلام ان عم اكثر جزر البحر الابيض المتوسط ، وفي مقدمتها صقلية ومالطة وكريت وقبرص ورووس . وكذلك دخل الاسلام امريكا الشمالية ، وامريكا الجنوبية ، وانتشر في شتى البقاع والاصقاع .

وسنتناول في هذا البحث الاسلام في مختلف القارات ، مبينين فضله على الحضارة الاوروبية ، واثر علماء الاسلام وفلاسفته وحكمائه

وعباقرته في الثقافة الغربية .

وجد بالذكر ان الاسلام دين الحرية والاخاء والمساواة ،  
لا يعرف الظلم الى مبادئه سبيلا ، ولا الطفيان الى تعاليمه طريقا .  
فهو دين السماحة وسجاجة الخلق وصفاء الطبع ونقاء الطوية ، ولم يكن  
حد السيف او أسنة الرماح سببا لانتشاره في يوم من الايام . فالرسول  
قد كتب الى مختلف الملوك والاقبال والامراء يدعوهم الى الاسلام .  
ويقال ان الكتاب الذي ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى  
هرقل كان كما يلي :

" من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل ، السلام على من  
اتبع الهدى . اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، فأسلم  
تسلم ، وأسلم يوءتك الله اجرک مرتين فان توليت فان عليك اثم اليريسيين .  
« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا  
الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آربابا من دون الله ،  
فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "

اما كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك الفرس  
فقد جاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من  
اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ان لا اله الا الله ، واتى  
رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا . أسلم تسلم ، فان أبيت  
فعليك اثم الجوس "

كما ارسل الرسول الكريم الى النجاشي ملك الحبشة كتابا آخر ،

وهكذا تهب لنا ان الرسول الكريم لم يكن يفرض الاسلام على الناس فرضا ، انما كان يدعوهم بالتي هي احسن . . . بل انسه صلوات الله عليه — قاسى من اجل هذه الكتب التي ارسلها الى الملوك والاقبال ضروبا من الهوان ، وصنوبا من العذاب .

ومن ذلك ان كسرى فارس ثارت ثائرتة ، واشتد ضيقه ، وعظم حنقه عندما تسلم كتاب الرسول ، وارسل الى عامله على اليمين — وهو " باذان " — يأمره بأن ينهض لتأديب هذا الرجل ، وجاء في انذاره " ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأثبا لي به " .

وأرسل " باذان " امثالا لامر كسرى ، رسولين من قبله الى الرسول يدعوانه الى المثل بين يديه ، ووصل الرسولان الى الطائف ، وقابلا نفرا من قريش ، فسألاهم عن الرسول : فأخبرهما احدهم انه بالمدينة . واستبشر الجمع بما ينوي كسرى فارس صنعه ، ورفع احدت هم صوته قائلا : " ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل " .

وحضى الرجلان يضربان في فجاج الارض حتى وصلا الى الرسول الكريم فأخبراه ان كسرى يطلب مقابلته ، ويرغب في حضوره . فصرفهما الرسول على ان يلتقي بهما في الفد . وهبط الخبر من السماء على رسول الله المصطفى ان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله . وحان موعد الرجلين ، فذهبا لمقابلة الرسول الكريم . ولشدا كانت دهشتها عندما فاجأهما بحصر كسرى بيد ابنه شيرويه ، فطار لهما وطاش عقليهما ، وكادا يصعقان من هول المفاجأة . . . وملك احدهما اعصابه ، وقال موجها الخطاب الى النبي الكريم :



” انا قد نقمنا عليك ما هو ايسر من هذا ، افنكتب هذا عنك ونخبر به الملك ؟ ” . فأجاب النبي محمد(ص) ” اخبراه ذلك عني ، وقولا له ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى . . . وقولا له انك ان اسلمت اعطيتك ماتحت يدك ، وملكتك على قومك من الابناء ” .

فرجع الرسول ان الى باذان ، واخبراه بما قصه عليهما الرسول . فاشتدت دهشة باذان ، وتملكه الذهول واستبد به العجب ، وقال : ” والله ما هذا بكلام ملك ، واني لا رى الرجل نبيا كما يقول . ولننظر فيما قال ، فلئن كان هذا حقا فانه لنبي مرسل ، وان لم يكن فسنرى فيه رأينا ” .

ولم تلبث الايام ان جعلت الخبر المسموع حقيقة ملموسة ، تراها العين كما تسمعها الاذن ، ووافى باذان كتاب ” شيرويه ” وفيه يقول : ” أما بعد ، فاني قد قتلت كسرى ، ولم اقتله الا غضبا لفارس لما استحل من قتل اشرافهم . فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه اليك ( يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ) فلا تهجه حتى يأتيتك امرى فيه ” . فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال : ” ان هذا الرجل لرسول ” . أسلم واسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .

وهكذا كان الرسول الكريم يرسل الكتب الى الملوك والاكاسرة لاقبال من اجل هداية الناس ونشر الاسلام ، ولم تكن هذه الكتب اهل عنف وارهاب ، او ذرائع للبطش والتنكيل ، انما كان يدفع بالتي احسن ، بل كان — كما اسلفنا القول — يتحمل ألوانا من العسف غبيق ، وضروبا من الوعيد والتهديد من جانب هؤلاء القوم .

وكان صلوات الله عليه يقابل هذا كله بصد رحب ونفس راضية مرضية ، تستمرى العذاب في سبيل الاسلام ، وتتحمل الصعاب في سبيل نشر الرسالة الربانية بين العالمين . وقد كان عليه الصلاة والسلام ينتصر على خصومه بما آوتى من طهارة نفس وصفاء قلب . وكان سبحانه وتعالى ينفث فيه سره ، فاذا العَصِيُّ من الامور سهل ، واذا القَصِيُّ من الطُّلاب دان ، واذا الحق منتصر على الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

وتقول بعض الروايات العربية ان هرقل ملك الروم كان يميل الى الاسلام ، ومن ذلك ما رواه الطبرى في الجزء الثالث من تاريخه ، من انه لما وصل اليه كتاب الرسول ، وهو بالشام يريد العودة الى القسطنطينية ، جمع الروم وقال لهم :

" يا معشر الروم ، اني عارض عليكم امورا فانظروا فيما قد اردتها . قالوا : وما هي ؟ قال : تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل . انا نجده في كتابنا ، نعرفه بصفته التي وصف لنا ، فهل فلننتبعه فتسلم لنا ديانا وآخرتنا . فقالوا : نحن نكون تحت يدي العرب ، ونحن اعظم الناس ملكا واكثرهم رجالا وافضلهم بلدا ؟ قال : فهلم فأعطيهم الجزية في كل سنة أكسر عني شوكته ، وأستريح من حربه بمال اعطيه اياه . قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصفار بخراج يأخذه منا ، ونحن اكثر الناس عددا واعظمهم ملكا وامنعهم بلدا ؟ لا والله لا نفعل هذا ابدا . قال : فهلم فلا صلحه على ان اعطيه ارض سورية ويدعني وأرض الشام . فقالوا له : نحن نعطيهم ارض سورية ، وقد عرفت انها سرّة الشام ؟ والله لا نفعل هذا ابدا ، فلما أبوا عليه قال : أما والله لترون انكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم . ثم جلس على بغل له ، فانطلق

حتى اذا اشرف علي الدرب استقبل ارض الشام ثم قال : السلام عليكم  
ارض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية " .  
وقد تمتت هذه الكتب مع ما جاء في القرآن الكريم من دعوة  
الى نشر الاسلام بين العالمين ، كقوله تعالى : " قل يا ايها الناس  
الى رسول الله اليكم جميعا " ، وقوله : " وما ارسلناك الا كافة للناس  
بشيرا ونذيرا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون " . وقوله تعالى : " ومن  
احسن ديننا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا " .  
والرسول — قبل هذا كله وبعد هذا كله — لم يجبر غيـر  
المسلمين على الاسلام اجبارا ، انما جعل لهم الخيار بين الاسلام  
او دفع الجزية . وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : " ولا يجبرمنكم  
شئان قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى " . فأرست  
هذه الآية الكريمة اساس التزام عام شامل يقضي بتحري العدالة  
المطلقة مع غير المسلمين على وجه عام ، سواء كانوا اصدقاء ،  
من اهل الذمة ام من المحاربين .

وجاء في آية اخرى " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم  
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " . ومعنى هذا ان على المسلمين  
ان يلتزموا ادق قواعد العدالة والانسانية والاستقامة حتى في قتالهم  
مع من يعتدون عليهم للقضاء على الاسلام نفسه .

ويروى ان النبي عندما ارسل احد جيوش المسلمين الى القتال  
قال : " انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا  
شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم  
واصلحوا ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين " .

وفي حديث آخر نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الكهنة

والرهبان المتعبدين في الادييرة والصوامع .  
وبذلك تنحصر اباحة القتل في رجال العدو والقادرين الذين  
يدخلون بالفعل الى ميدان القتال ، والقتال نفسه لم يكن المسلمون  
ينفرون اليه الا تأمينا لدعوتهم ، او درءا لخطر داهم او شك ان  
يحقيق بهم ، ويهدد مصالحهم ، ويكاد يعصف بحياتهم ، ويدمر  
بيوتهم ومساجدهم . ومخافة ان يتمكن العدو منهم فيستبيح اموالهم  
ومحارمهم ، وينهب ديارهم ومنازلهم .  
وعندما وقع الرسول الكريم الصلح مع يهود خيبر اعطاهم صحائف  
التوراة معززة مكرمة ، مما يدل على كرم خلاله وحسن سجاياه ، وتزوج  
من صفية بنت حبيبي بن اخطب حفظا لكرامتهم ، واستبقى اليهود في  
الارض ، وحقن دماءهم ، وعاملهم معاملة طيبة .  
وعندما بعث ابو بكر الصديق الجيوش لفتح الشام تحت امرة  
اسامة بن زيد ، عملا بوصية الرسول الكريم ، امر الجند بتجنب السلب  
والمخادعة ونقض العهود والتمثيل بأحد ، واوصاهم الا يقتلوا طفلا  
او شيخا فانيا او امرأة ، والا يهتثوا النخيل ولا يحرقوه ، ولا يحطموا  
اية شجرة مثمرة ، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا جملا الا لصد فائسة  
الجوع ، واخبرهم انهم سيجدون رهبانا يتعبدون في اديرتهم ، وامرهم  
ان يتركوهم وشأنهم ولا يمسوهم بسوء .  
اما عمر بن الخطاب فقد منح اليهود حماية دينهم ، وامنهم  
على حياتهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم . فلا تهدم كنائسهم  
ولا تتخذ منها منازل ، ولا يجسها احد بسوء ، وكل ماورد في هذا  
العهد مخفور باسم الله ورسوله وخلفائه والمسلمين عامة ، على شرط  
ان يدفع الناص الجزية بانتظام .

وعاهد خالد بن الوليد اهل الحيرة في جو من الحرية ، بلا تهديد ولا وعيد ، فحاء في هذا العهد : " هذا ما عاهد عليـه خالد بن الوليد نقباء اهل الحيرة ، ورضي بذلك اهل الحيرة وامرهم به . عاهدهم على مائة وتسعين الف درهم تقبل في كل سنة جزاء على ايديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسسهم ، الا من كان منهم على غير ذى يد ، حببسا عن الدنيا تاركا لها . وعلى المنعة ، وان لم يمنعهـم فلا شيء عليهم حتى يمنعهـم " .

ولم يكتف بذلك بل قال : " وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل او اصابته آفة من الآفات ، ان كان غنيا فافتقر ، وصار اهـل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت المسلمين وعياله ما اقام بدار الهجرة ودار الاسلام " .

ويذكر التاريخ ان المسلمين كانوا يعرضون الناس عن الضرر الذى يلحقهم خطأ من المسلمين . ومثال ذلك ان نميا جاء الى عمر بن الخطاب في اثناء فتوح الشام ، وشكا اليه ان بعض المسلمين قد قطعوا عنبا من كرومه دون اذن منه ، فخرج عمر من المعسكر فاذا به يرى مسلما خارجا من الكرم وقد حمل بعض العنب على درعه ، فصاح به في غضب وحدة : " وانت ايضا قد شرعت ترتكب مثل هذه الحماقات ؟ " . فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك الا لاشـتداد جوعه ، فأمر عمر بأن يعرض الرجل عما فقد من عنبه حتى ارضاه . وعند ما شرع عمر بن الخطاب ينظم ادارة العراق عقب فتحها ، استدعى زعماء البلاد غير المسلمين الى المدينة ليستشيرهم ويستأنس بأرائهم . وجاء في المفريزى انه كان يفعل كذلك فيما يتعلق بمصر . فاستشار المقوفس عظيم القبط في امور شتى .

وعند ما فتح عمر بن الخطاب الشام صالح اهل " ايلياء " ، وامن اهلها على انفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، واعطاهم عهدا بذلك ، وهو المعروف بالعهد العمرى ، وقد اوردها محمد بن جرير الطبرى في تاريخه ، وهذا نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لا انفسهم واموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم . وسقيمتها وبريحتها وسائر ملتتها : انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود .

" وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا ما منهم ، ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيوتهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيوتهم وصلبهم حتى يبلغوا ما منهم ، ومن كان بها من اهل الارض ، فمن شاء منهم قعد و عليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله ، وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله و زمة رسوله و زمة الخلفاء و زمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية .

وقد كتب هذا العهد في العام الخامس عشر للهجرة ، وشهد عليه : خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن ابي سفيان .

وعندما انتشر نور الاسلام الى شتى الاقطار والامصار ، كانت الشريعة الاسلامية كعادتها تكفل لغير المسلمين كافة الحقوق . فالاسلام لا يعرف التعصب ولا الظلم ، بل يفسح صدره للاقلييات التي لا تدين به ، ويأمر برعايتها وحمايتها . وهذه الحقائق كلها تدل دلالة واضحة على ان الاسلام لم يضطهد في وقت من الاوقات المسيحية او اليهودية او غيرهما من الاديان ، انما كان يرعى معتنقيها ، ويعاملهم باللين والرفق والعدل ، ولم يستخدم يوما وسائل العنف او القسوة مع اصحاب المذاهب الاخرى ، بل على العكس من ذلك كان يستعين بهم في كثير من الامور والمهام ، ولم تكن هذه الامور بسيطة او طفيفة ، انما كانت احيانا امورا تتصل بالوزارة او الولاية او نحو ذلك من المناصب الكبرى في الدولة .

ولم تكن الضريبة التي يدفعها المسيحيون واهل الذممة في صورة ( جزية ) تعني فرض سلطة القوى على الضعيف ، او الظافر على الخاسر ، او المنتصر على المخدول ، انما كانت تدفع مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين . ولما قدم اهل الحيرة هذه الجزية ذكروا صراحة عند تقديمها انهم انما دفعوا الجزية على شريطة ( ان يمنعونا هم واميرهم البغي من المسلمين وغيرهم ) . وكذلك سجل خالد في المعاهدة التي ابرمها مع بعض اهالي المدن المجاورة للحيرة قوله : " فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا " .

وقد حدث ان رفع هرقل راية العصيان ضد المسلمين ، وورغب في الانقضاء عليهم واخذهم بالقدر والخيانة ، فلما علم ابو عبيدة قائد العرب بذلك ، كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام

يأمرهم برد ما جبي من الجزية في المدن ، وكتب الى الناس يقول :  
" انما ردونا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم  
قد اشترطتم علينا ان نمنعكم ، وانا لانقدر على ذلك . وقد ردونا  
عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم  
ان نصرنا الله عليهم " . وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة ،  
فدعا المسيحيون بالتبركة لروءساء المسلمين وقالوا : " ردكم الله علينا  
ونصركم عليهم ( اي على الروم ) ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ،  
واخذوا كل شيء بقي لنا " .

وليس من شك في ان هذه القصة التي رواها ابو يوسف في  
كتاب الخراج ، تدل دلالة واضحة على ان المسلمين لم يكونوا يبنون  
للمسيحيين او غيرهم من الطوائف شرا ، ولم يكونوا ينهبون منهم  
اموالهم ، او يستلبون منهم حقوقهم ، انما كانوا يفرضون الجزية عليهم  
حتى يدافعوا عنهم ، ويحموا جانبهم من فاعات المعتدى الاثيم ،  
ويقفوا لاعدائهم بالمرصاد ، فكانوا يحصنون المدن والثغور ، ويبنون  
القلع والحصون ، ويرابطون في عدتهم وسلاحهم للدفاع عنهم ، وحماية  
حقوقهم بالنفس والنفيس .

والسيف لم يكن مصلتا على رأس احد من الناس ليكون مسلما ،  
ولم يكن المسلمون يلجأون الى وسائل التعذيب التي لجأ اليها  
المشركون لصرف الناس عن الاسلام ، لم يكن المسلمون يصنعون صنيع  
المشركين عندما أحضروا بلالا مؤذن الرسول والقاء خلف الجمحى في  
الرمضاء على وجهه وظهره في وقدة الظهرية ، ثم امر بالصخرة الكبيرة  
فألقيت على صدره ووقف يتشفى فيه قائلا له : " هكذا حتى تموت ،  
او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى " . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو



يقول : " احد . احد " ، فيقول ورقة : " احد . احد والله يا بلال " ولم يزل على هذا العذاب الاليم حتى اشتراه ابو بكر واعتقه .

ولم يصنع المسلمون بمخالفيهم في الدين صنيع المشركين — بعمار بن ياسر وابويه ، ان كانوا يخرجونهم الى الاسطح اذا حميت الرضاء ويعذبونهم بحرهما ، فيمر بهم الرسول فيقول : " صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة " . ولما مات ياسر من العذاب اغلظت امرأته سمية القول لابي جهل ، فطعنها بحربة قضت عليها ، فكاننا اول شهيد بين في الاسلام ، ثم امعن المشركون في تعذيب ابنهما عمار بالحرتارة ، وبوضع الصخرة على صدره تارة ، ثم بالتفريق تارة اخرى . ولم يكن المسلمون يفعلون مع المذاهب الاخرى ما فعلت قريش مع المسلمين من اجل الايمان بالاثان ، وعبادة الاصنام ، والكفران بالواحد القهار ، بل كانوا على النقيض من ذلك كما رأينا ، يتخذونهم اخوانا ، ويعاملونهم معاملة طيبة كريمة .

وكل هذه الحقائق ننهض ادلة ناصعة ، وحججا دامغة على ان الاسلام لم يكن في فترة من الفترات دين عنف او قسوة ، او بغبي وتسلط . حقا كان لا بد للمسلمين ان يعملوا على نشر الدعوة ، وحقا كان لا بد لهم من حماية جانبهم ، وصيانة موقفهم والذود عن حياضهم ومن اجل ذلك قاموا ببعض الفتوح ، بيد ان هذه الفتوح كلها لم تكن للبطش والارهاب ، وانما كانت للهداية والايمان .

وجدير بالذكر ان الحزبية التي كان يدفعها اهل الذمة في هذه الفتوح كانت تعفيهم — فضلا عن النواحي سالفة الذكر — من الخدمة العسكرية الاجبارية التي كانت فرضا واجبا على المسلمين الذين يوءون في الوقت نفسه فرض الزكاة من امواسهم . وهذا دليل

فاطع على ان الاسلام لم يحاب فريقاً دون فريق . وكانت الزكاة تنفق في وجوه البر والخير وعلى الفقراء والمساكين وابناء السبيل ، ولم يعف الاسلام قادراً من ادائها .

فالمسلمون لم يبيح لهم ان ينعموا ويفنموا في الوقت الذي يتعذب فيه اخوان لهم . والمسلمون لم يبيح لهم ان يسعدوا ويهنأوا في الوقت الذي يشقى فيه اخوان لهم ، لان الاسلام دين التعاطف والتآلف والاخوة والمودة والتراحم . وهذه الضريبة كان يدفعها اهل الذمة مساهمة في توطيد اركان هذا الصرح العظيم ، صرح الانسانية التي ترغب في بناء عزتها ومجدها على اسس من التضامن الاجتماعي ، والتواصل الروحي ، والترابط الاخوي بين الطوائف المختلفة دون ضن ولا بخل ، ودون تردد ولا احجام .

وهنا يجب ان نوضح ان الاسلام لم يهدف الى الاستعمار او الاستعمار ، انما كان يهدف الى حماية الحقوق وصيانة الحريات ، فهو يحتم على المسلم ان يدافع عن الذمي ويحميه — ولو ببذل نفسه — من غير ان يتعرض الذمي لخطر ولا قتال ، ولا يكلف هذا الذمي سوى قليل من المال على هيئة جزية . وشتان بين ما يلجأ اليه الاستعمار في العصر الحديث وما اتبعه الاسلام من نظم سوية وقوانين عادلة ، فالاستعمار في العصر الحديث يعتمد الى تجنيد اهل المستعمرات وتعريضهم للاخطار ، ويرغمهم على القتال دفاعاً عن مستعمرى بلادهم . الاستعمار الاوربي يضحى بالقادرين من اهل مستعمراته دفاعاً عن نفسه ، ول يبقى اهل المستعمرات خاضعين له . فهو يذلهم ويستعبدهم في سبيل تفوقه وانتصاره ، وتحقيق اهدافه ، والوصول الى اغراضه . اما الاسلام فلم يكن ولن يكون فيه شيء ممن

هذا ، فهو يسوى بين المحكومين والحاكمين في الحقوق والواجبات .  
لا يعرض اهل الذمة لخطر ولا لقتال ، ولكن يدفع عنهم الخطر ، ويبعد  
عنهم الاذى ، ولا يكلفهم الا دفع ضريبة ضئيلة ، مساهمة في  
الاستعداد لدرء الخطر ، وسياسة امور الدولة ، واقامة حدود الله  
بين الناس في ظل المحبة والعدل والرحمة ، دون كبر ولا استعلاء ،  
ودون عجرفة ولا رياء ، ودون امتهان القوى للضعيف ، واحتقار  
الغني للفقير .

وقد ظل الاسلام راسخا في البلاد التي اخذته مأخذ العقيدة  
والايمان ، فآمنوا به بعد بحث طويل ، ونظر عميق ، وتأمل كثير ،  
ولكنه انحسر عن البلاد التي لم يأخذها اهلها مأخذ الجد . زد  
على ذلك ان قوى الشر قد تضافرت على محاربة الاسلام ، فما لبثت  
ان انسحب من صقلية وايطاليا واسبانيا ، بيد انه ترك فيها حتى  
اليوم آثارا هيئات ان تمحوها الايام .

وقد توغل الاسلام في اوربا عن طريق صقلية والاندلس . وضرب  
المسلمون في هذه البلاد المثل الاعلى للسماحة ونبل الخصال ،  
وعدم التعصب او الانحياز . وقد ذكر الكونت " هنرى دى كاستر " في  
كتابه " الاسلام : خواطر وسوانح " ان محاسنة المسلمين  
للمسيحيين زادت في بلاد الاندلس حتى صار سكانها في حالة اهنأ  
من التي كانوا عليها منذ ايام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين الذين  
يقال لهم ( القوط الغربيون ) .

ويقول دوزى : " ان هذا الفتح لم يكن مضرا بالاندلس  
وما حصل من الاضطراب والهرج بعده لم يلبث ان زال باستقرار  
الحكومة الاسلامية في تلك البلاد . وقد ابقى المسلمون سكانها

على دينهم وشرعهم وقضائهم ، وقلدهم بعض الوظائف ، حتى كان منهم  
موظفون في خدمة الخلفاء ، وكثيرون تولوا قيادة الجيوش . وتولد  
عن هذه السيادة الرحيمة ان انحاز عقلاء الامة الاندلسية الى المسلمين  
وحصل بينهم زواج كثير . وكم من اندلسي بقي على دينه ، ولكنسه  
اعجبه طلاوة التمدن العربي فتعلم اللغة العربية وآدابها ، واصبح  
القسس يلومونهم على ترك ألحان الكنيسة والتعلق بأشعار الفاتحين .  
” وكانت حرية الاديان بالغة منقهاها ، لذلك لما اضطهدت  
اوربا الموسويين ، لجأوا الى خلفاء الاندلس في قرطبة ، ولما دخل  
الملك كارلوس الى سرقسطة امر جنوده بهدم جميع معابد اليهود  
ومساجد المسلمين ، قال : ونحن نعلم ان المسيحيين ايام الحروب  
الصليبية ما دخلوا بلادنا الا واعلوا السيف في يهودها ومسلميها ،  
وذلك يوءيد ان اليهود انما وجدوا مجيرا وملجأ في الاسلام ، فان  
كانت لهم بقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين وليس  
جانبيهم ” .

وقد تمكن الاسلام من التوغل في افريقيا لانه لم يفرق بين  
الابيض والاسود ، فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط . ولم  
يتحرج المسلمون من الزواج من الزنجيات ، وانجبوا منهن عددا كبيرا  
من الاطفال المسلمين الذين لم يكادوا ييلفون سن الشباب حتى  
ازدادت حميتهم ، واشتد دفاعهم عن الاسلام . وذهب بعض  
الزواج الى ان الاسلام دين السود ، وان المسيحية هي دين البيض .  
وقد جاءهم هذا الاعتقاد لان الاسلام سهل لهم امور العبادات ،  
ومكنهم من الوصول الى ارقى الدرجات .  
وورد في القرآن ما يفيد ان بعض الانبياء كانوا سود الوجوه .

ومن ذلك موسى عليه السلام الذي جاء في وصفه في سورة طه —  
" واضم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء " ، كما جاء في  
سورة الاعراف " ونزع يده فاذا اهي بيضاء للناظرين . قال الملا —  
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم " . وقد اثر عن الرسول صلى الله  
عليه وسلم انه قال : " اسمعوا واطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي " .  
وكان من نتيجة دخول الاسلام في افريقيا الاستوائية أن تهذبت  
نفوس الزوج ، وامتنع المسلمون منهم عن اكل لحم البشر ، وارتدوا  
ما يستر عوراتهم ، والا هالي الذين لم يكونوا يغتسلون قط اقبلوا على  
التطهر والاغتسال ، وكان الوضوء من الاسباب الداعية الى نظافتهم .  
زد على ذلك ان الشعور بالقيم الاخلاقية بدأ بتجسم ويتضح ، واختفت  
وسائل السلب والنهب التي كانت متفشية بين القبائل الزنجية ،  
واصبح المسجد قبلة انظار الزوج يوءدون فيه فرائضهم ، ويصلون  
فيه صلواتهم الخمس في جو يسوده الجلال والوقار .  
وقد كتب " ميك " في كتابه " قبائل نيجيريا الشمالية " يقول :  
" ان الاسلام لم يترك اثرا عميقا في التركيب الجنسي لهذه الشعوب  
فحسب ، بل انه جاء بحضارة جديدة اتاحت للشعوب الزنجية  
طابعا حضاريا متميزا لا يزال واضحا حتى اليوم ، مؤثرا في نظمهم  
السياسية والاجتماعية ، ذلك ان الاسلام حمل الحضارة الى القبائل  
المتبررة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبيا ،  
وجعل تجارتها مع العالم الخارجي ميسورة ، فقد وسع آفاقهم ،  
ورفع من مستوى الحياة بخلق مستوى اجتماعي ارقى ، وخلع على اتباعه  
الكرامة والعزة واحترام النساء واحترام الآخرين . لقد ادخل الاسلام  
فن القراءة والكتابة ، وحرم الخمر واكل لحوم البشر والاخذ بالثار ،

وغير ذلك من العادات الوحشية ، واتاح للزنجي السوداني الفرصة لان يصبح مواطنا حرا في عالم حر ” .  
وليس من شك في ان هذا الاعتراف الصريح الذي ذكره مييك في كتابه ، يقف بجانب الاسلام في دعوته انه دين مبادئ تهوي اليها النفوس من كل جانب ، لادين سيف وصلت على رقاب الضعفاء ليرغمهم على اعتناقه عنوة وقهرا .  
اما الاسلام في آسيا فقد توغل في الصين والهند والملايو واندونيسيا والفلبين وغيرها من البلاد الآسيوية ، وشعراهل هذه البلاد — وكلهم من الشعوب الصفراء — بأنهم لا يختلفون في قليل او كثير ولا يفترقون من قريب او بعيد عن الشعوب البيضاء . وقد كان التعليم والاقناع وحدهما الوسيلة التي استخدمها الدعاة المسلمون في نشر الاسلام . ولم يلبث الاسلام ان وجد تربة خصبة في هذه البلاد .

وقد شجع الخلجيون — وهم اسرة اسيوية عاشت في القرن الثالث عشر للميلاد والرابع الاول من القرن الرابع عشر — اهل آسيا على اعتناق الاسلام . وفي ذلك يقول الرحالة ( ابن بطوطة ) في رحلته :  
” انهم قد سنوا عادة تقديم الشخص الذي دخل حديثا في الاسلام الى السلطان الذي كان يكسوه كسوة حسنة ، ويعطيه قلادة واساور من ذهب بحسب قدره ومنزلته ” .

كما شجع الامير شاه تغلق ( ١٣٥١ — ١٣٨٨ م ) الهنود على اعتناق الاسلام ، وقال في مذكراته : ” لقد شجعت رعاياي الكفار على اعتقاد دين النبي ، واصلت لهم ان كل شخص يترك هذه العقيدة ويصبح مسلما يعفى من الجزية او ضريبة الرأس . ولما تقدم

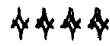
هذا النبأ بمسامع الناس ، تقدم الهندوس زرافات ووحداثا ، وسمح لهم بأن ينالوا شرف الاسلام ، ومن ثم اخذوا ينثالون من كل حدب وصوب . ولما اعتنقوا الاسلام اعفوا من الجزية ، ومنحوا الهدايا ومظاهر التكريم ” .

وهكذا كان للامراء والحكام دور كبير في نشر الاسلام بين الرعية زد على ذلك ان كثيرا من النفوس تفتحت لعقائد الاسلام الشريفة ، وعرفت مزاياه الكثيرة ، واستجابت لدعوة الداعين اليه فنعمت بما كفله للمسلمين من حقوق رفيعة .

فالمسألة لم تكن مسألة هزيمة ولا اندحار ، انما كانت مسألة استمالة واقتناع اولا وقبل كل شيء ، ذلك ان السيف لو استطاع ان يترك اثرا فان اثره لا يلبث ان يندمل او يسلم الى الهلاك . والدين الذي يتوارثه الناس كابرا عن كابر ، وجيلا بعد جيل ، لأبد انه متغلغل في القلوب ، مستقر في النفوس ، وانه يسرى في الصدور مسرى الدماء في العروق . وقد استقر الاسلام في آسيا وغيرها من القارات عشرات القرون ، ولو كان السيف وسيلته لاختفى باختفاء السيف ، ولزال بزوال السلطان .

فالدليل على انه عقيدة وايمان انه استمر هذه المئات من السنين دون ان يعثر به ضمور ولا اضمحلال ، ودون ان يدركه فتور ولا خور ، او تزعه اى قوة وتطوح به ، بل على النقيض من ذلك نجد في الهند والصين واندونيسيا وغيرها من البلاد الآسيوية مسلمين يتمسكون بالعقائد الاسلامية تمسكا شديدا ، ويعانون المشاق والمتاعب من اجل السفر الى بيت الله الحرام وتأدية فريضة الحج ،

وهم لا يعباون بما يتجشمونه من صعاب ، وما يكابدونه  
من آلام ، لانهم يعتقدون كغيرهم من المسلمين في الثواب  
والعقاب ، ويؤمنون بأن في اداء هذه الفريضة ثوابا  
عظيما واجرا جزيلا .





## لمحة تاريخية

ابتعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . والناس في جاهلية جهلاء مابين وثني عاكف على أصنامه يسألها العون ويطلب منها فصل الخطاب ، وكتابي مشرك أضع معالم دينه واتخذ احباره ورهبانه أربابا من دون الله . والنفوذ السياسي في العالم مقسم بين د ولتين ، بين أكاسرة الفرس في الشرق ، وقيصرة الروم في الغرب . وقد جهدت كل من هاتين الدولتين الا تدع بقعة من البقاع المعمورة في القارات الثلاث بعيدة من سلطانها أو قادرة على عصيانها . والصحراء الجرداء التي كانت بين هاتين الدولتين امتد سلطان كل منهما الى الجانب الذي يليه منها فاتخذت فيها اتباعا يطيعونها ويحتمون بها ويلوذون بجوارها كما سنرى ذلك فيما بعد . فارس تسيطر على الحيرة واليمن وبيزنطة تسيطر على أرض غسان والبتسرا . وبدأ رسول الله - صلوات الله عليه - دعوته في مكة لاعادة بناء الحضارة النبوية وبناء الانسان الكامل بدأ بيني بمفرد ، وجميع من حوله هدامون ، وكانت سلسلة من الوقائع الظاهرة والصبر الطويل والخلق العظيم لا ينتهي الناظر من تلميحها وفهم اسرارها ومراميتها على صفحات السيرة النبوية الرائعة فما اختار الله تعالى نبيه الى جواره حتى كانت الجزيرة العربية قد دخلت في الاسلام وتتابع من بعده - صلوات الله عليه - أصحابه واتباعه من المسلمين الاوائل على حمل المشعل بارادة قوية وعزم جبار فهبوا كالأعصار الهائل مكتسحين المارد الفارسي في الشرق فسادوا بلاد فارس ، وموغلين في الفتح الاسلامي في بلاد الروم - ولا سباب هذه الفتوح وهذا الصمود حديث سنعرضه عليكم في محاضرات قادمة - ولستم تستطيعون ايجاد فارس ولا حول الروم ان تصد هم عن غايتهم .

ومن ثم أخذ المسلمون ينتشرون انتشار البرق فلم يمض قرن واحد على وفاة الرسول الكريم حتى كانت دمشق والقدس وبابل والمدائن

واصفهان والاسكندرية وطرابلس وقبرص وكثير غيرها تتداعى وتسقط عند  
اقدام المسلمين . وسريعا ما تبعتها تونس والجزائر والمغرب مستسلمة  
للمسلمين الفاتحين .

وبعد أن وصل المسلمون الى شواطئ الاطلسي انقلبوا شمالا ونزلوا  
بقيادة القائد العظيم طارق بن زياد عند ذلك الجبل الاسباني الذي لا  
يزال يحمل اسمه حتى الآن ثم نراهم بعد ذلك بغرة وجيزة يكتسحون جبال  
البرانس . بل يتوغلون في أرض الفرنجة . ولولم يصد هم شارل مارتل عن  
توغلهم هذا في سنة / ٧٣٢ / لاستطاعوا بسط سيطرتهم على القارة  
الاوروبية بأسرها .

أما بالجانب الشرقي فنجد المسلمين يحتلون ترانسوكسانيا ويصلون  
الى نهر الهندوس ومع ان رقعة الدولة لم تتسع اتساعا كبيرا في ايام  
العباسيين - ٧٥٠ - ١٢٥٨ م - فان النشاط الاجتماعي الثقافي  
ازدهر اياما ازدهار في امان حكمهم الذي دام خمسة قرون وانتشرت الصناعات  
العقلية بشكل لم يعهد به تاريخ الانسانية من قبله وعند ما سقطت الخلافة  
العباسية استولى على العالم الاسلامي زعم هائل .

وبسبب من اتساع رقعة الدولة وضعف الخلفاء الذين جاؤا فسي  
أواخر العهد العباسي ظهر عدد من السلالات والخلفاء فاستغل المغول  
نواحي ضعفها المتعددة وقضوا قضاء تاما على حكم العباسيين . وهدموا  
حاضرة الخلافة العباسية ( بغداد ) واستمرت أعمال الابدان والافناء فسي  
جميع الولايات الاسلامية الوسطى طيلة أربعين عاما ولكن الماليك الذين  
كانوا يحكمون مصر يومئذ وتقدموا بشجاعة وبأس ووقفوا المغول عند حدود  
فلسطين ولولاهم لوصل المغول بنارهم وسيوفهم الى قلب مصر والى البلدان  
الاسلامية الاخرى في افريقيا وهكذا نرى أن تيقظ الماليك وتنبههم  
وشجاعتهم قد انقذت المسلمين في افريقيا من اجتياح المغول ووحشيتهم

وفظاظتهم .

وبينما كان العباسيون يلقون الهزيمة على أيدي المغول كانت الخلافة الاموية في اسبانيا تزداد قوة وبأسا . كما كانت تهبط سلطتان مدينتها على أوربار وفضل عظمة غرناطة ومنجزات قرطبة الثقافية أضحست الاندلس هي المستوى الامثل لطالبي العلم والمعرفة. في تلك الايام الغابرة المجيدة التي بلغت فيها الاندلس عز مجدها الاسلامي كانت كلمة التمدن مرادفة لكلمة الاسلام " وكان على الانسان ليكون متمدنا . . . . أن يكون مسلما .

وهكذا كان تأثير المسلمين الثقافي العظيم في تلك الأيام التي كان الفاطميون يبنون دولتهم في مصر ويزيدون من قوتها وبأسها لقد أنشأوا مدينة القاهرة ونوا فيها الجامع الأزهر الشهير وكان المسلمون في الفترة نفسها يثبتون اقدامهم في صقلية وجنوب ايطاليا. وفي القرى الحادى عشر الميلادى كان القائد المقدام محمود الغزنوى ينشر لواء الاسلام في البلدان النائية الممتدة من جزيرة الطح الكبرى غربا عبر نهر الاندوس الى بلاد البنجاب وبلتان والسند وغوجارت شرقا. وقد أدت هذه الفتوحات بالنتيجة الى قيام عدد من الدول والسلالات في الهند. وفي هذا القرن كذلك - الحادى عشر - اكتسح السلاجقة جميع المنطقة الواقعة بين دلهي وسمرقند والبحر الابيض المتوسط ومن هذه القبيلة السلجوقية انحدر العثمانيون بعد ذلك بقرنين اثنين .

#### \* الحروب الصليبية :

ثم رمت أوروبا العالم الاسلامي عن قوس واحدة في حرب صليبية غشوم دامت بضعة قسرون وصدلها العالم الاسلامي وخرج من الهجوم كما خرج من قبل في حروبه مع المغول والتتار وقد استطاع الصليبيون بفضائل جهودهم المشتركة وفضل تخاذل المسلمين أن يحتلوا القدس سنة ( ١١٠٩م )

ولم يقو الخليفة العباسي على مقاومة هذه الحملات الغازية واستطاع ذلك  
الايوبيون المستقلون الى أن جاء المجاهد صلاح الدين آخر الأمر وأنسزل  
بالصليبيين وعلى رأسهم رجال بارزون من أمثال رتشارد قلب الأسد المهزومة  
والعاره واستطاع صلاح الدين ذلك القائد المسلم العظيم أن ينقذ القدس  
من أيدي وحوش الصليبيين في سنة (١١٨٧) م .

### ✽ الأندلس :

وازدهر الاسلام في اسبانيا طيلة سبعة قرون وكانت اسبانيا  
مركزاً طليعياً للإسلام في أوروبا والمؤرخون من مسلمين وغير مسلمين متفقون  
على أن حكم المسلمين في اسبانيا قد غمر البلاد بالسلام والأمن والحيوية  
وان المسلمين قد بدأوا في تلك البلاد عهداً من الحضارة لم تعهده من  
قبل فأنشأوا المدارس والجامعات واستحدثوا محاصيل زراعية جديدة وطوروا  
صناعات لم تكن معروفة من قبل ، أما اسهام المسلمين في ميدان الفنون  
والعمارة فقد كان اسهاماً رائعاً الى أبعد الحدود وليس قصر الحمراء  
في غرناطة والقصر في اشبيلية إلا بعضاً من الأمثلة على اسهامهم النبيل  
في ميدان الجمال المعماري .

وفي سنة ١٤٩٢ وهي السنة التي اكتشف بها كولومبس العالم  
الجديد بدأ فصل جديد بالنسبة الى بلدان أوروبا الغربية ، الا أنه  
في السنة نفسها مع الأسى والأسف سقطت غرناطة في أيدي الاسبان النصراني  
فكان ذلك بداية النهاية بالنسبة لحكم المسلمين في اسبانيا .

### صقلية :

امتد سلطان المسلمين على صقلية أكثر من مائتي عام منذ بداية القرن  
التاسع حتى منتصف القرن الحادي عشر . وفي صقلية أنشأ المسلمون ثقافة  
لم تستطع الا أن تهبط نفوذها على أوروبا عامة وإيطاليا خاصة .

### الهند :

واذا وصلنا الى الهند وجدنا " باير " يضع أسس امبراطورية جديدة ودولة حديثة هي دولة مغول الهند . وفي امان حكم المسلمين كانت الهند تتصف بالتقدم والازدهار، وكانت مركزا للفنون والعلوم. وقد عرف مغول الهند بعد لهم وللمرة الاولى في تاريخ هذه البلاد الطويل : توحدت الهند تحت أمر اورانك زيب، ولكن الانحلال والتفسخ ما لبث أن فعلهما بعد موته . وبدأ الانكليز بدهاشهم ومكرهم يثبتون اقدامهم في الهند متبعين قاعدة: فرق تسد. وافلحوا أخيرا في خلع آخر أباطرة مغول الهند في سنة ١٨٥٧ .

وبعد تسعين سنة من جهاد المسلمين في الهند اضطرت انكلترا الى الرحيل، وظهرت دولة باكستان على خريطة العالم كوطن اسلامي جديد .  
الملايو واندنوسيا :

وكانت الملايو واندنوسيا على الطرق التجارية للمسلمين . ذلك أنها تقع على الطريق البحري بين الاراضي الاسلامية والصين . وهكذا ظهر الاسلام في تلك الاصقاع وكما جاء الانكليز الى الهند تجاراً وكذلك جاء الهولنديون الى اندنوسيا في مطلع القرن السابع عشر ثم استعبدوا أهلها وظلموا فيها الى أن طردوا منها آخر الأمر في سنة ١٩٤٩ . لتصبح اندنوسيا جمهورية مستقلة .

#### الدولة العثمانية :

اما الدولة العثمانية فقد وضع أسسها في مطلع القرن الرابع عشر أمير سلجوقي يدعي عثمان، وقد تمكن العثمانيون كما هو معروف من فتوح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية، واسمها اسلامبول أي مدينة الاسلام وعرفت فيما بعد باسم استانبول، ولم يلبث العثمانيون أن احتلوا البلاد العربية وبقيادة السلطان سليمان - من أعظم سلاطينهم - افتتحو اندر بيجان وتونس وليبيا وبيساريا . وغيرها وحاصروا اترك مدينة فيينا .

حاضرة العواصم الأوروبية - أول مرة سنة ١٥٢٩ . ثم حاصروها للمرة الثانية سنة ١٦٢٣ ولكن القوى الأوروبية المتضافرة أنقذت فيينا . ومنذ ذلك الحين لم يحرز الا تراك أى تقدم جديد في أوروبا .

### ايران ومصر :

وفي ايران كان الصفويون قد وطدوا سلطتهم في سنة ١٥٠٠ ولكن ايران لم تصبح دولة قوية الا في عهد السلطان عباس (١٦٢٩) ومصر التي كانت جز ١ من الامبراطورية العثمانية ، خضعت حيناً من الدهر للحكم الفرنسي أيام نابليون الا أنها حققت استقلالها في مطلع القرن التاسع عشر بزعامة محمد علي وزاد فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ من مكانة مصر واهميتها .

### الاسلام في افريقيا :

ان افريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم لأن ( ١٥٠ ) مليون نسمة من مجموع سكانها البالغين ( ٢٥٠ ) مليوناً هم مسلمون ولان ما يقرب من ثلثي دولها المستقلة أغلبية سكانها من المسلمين ولان غالبية سكانها الى الشمال من الصحراء الكبرى مسلمون ، كما أن في جنوب هذه الصحراء نسب متفاوتة منهم . وقد بدأ اتصال الاسلام بافريقيا في حياة الرسول الكريم نفسه صلى الله عليه وسلم . وذلك عندما لجأ بعض المسلمين بناء على أوامره الى الحبشة - وكان الاستقبال الحسن الذي لقيه المسلمون من ملك الحبشة - النصراني - هو الذي جعل هذا العطف في قلوب المسلمين عليها وفي الوقت الذي بسط فيه المسلمون سلطانهم على السودان فسي الجنوب بعد فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحوا كذلك ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فان الحبشة دخلت في الاسلام دون فتح وبعد هذه الفتوحات في القارة الافريقية انحدر قسم من

المسلمين من المغرب شمالا الى اسبانيا وانحدر قسم آخر جنوبا فاكثسحوا بحميرة تشاد ودارفور وكرد فان وكانوا وادوية النيجر والسنغال ومتجاوزين اقتحام الحبشة .

وقد ظلت هذه المناطق في افريقيا الغربية مرتبطة حتى القرن السادس عشر بأوثق الروابط مع افريقيا الشمالية المسلمة ومع اسبانيا المسلمة كذلك . وقد ازدهر في افريقيا في تلك المناطق مملكة سنغهاي وازدهر الى جانبها ممالك اسلامية أخرى هي غانا ومالب وهورنو . وكانت هذه الدول ذات الحضارات العربية الزنجية تضارع أكثر دول أوروبا الغربية تقديما . وكانت تيمبكتوا - عاصمة سنغهاي تفتخر بتجارها المزدهرة ومؤسساتها التربوية العديدة ومبانيها الجميلة . عندما سقطت اسبانيا فقدت بلدان افريقيا الغربية المسلمة تلك الصلة التي كانت تستمد منها طاقتها واندفاعها . وقد جاء الدفع الديني العظيم في القرن الحادي عشر عندما شق داعية مسلم عظيم يدعى ابن ياسين طريقة بين البربر في الجنوب فسي البلاد التي تعرف حاليا بموريتانيا وقد قام تلاميذه ونشروا رسالة الاسلام في جميع المنطقة الغربية التي تشمل حاليا السنغال ومالي والمناطق المجاورة لها . وكانت الامبراطورية الزنجية الكبرى هي امبراطورية مالي التي ازدهرت بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر والتي تبعتها مملكة سنغهاي في افريقيا الغربية ( ١٤٦٨ - ١٥٩١ ) وهاتان المملكتان كان لهما الفضل في اعطاء الاسلام مكانة ومنزلة ساميتين في جميع هذه البلدان الواقعة في افريقيا الغربية .

وعلى الجانب الشرقي نرى أن الاسلام قد عبر البحر الاحمر وتغلغل في جميع المناطق الساحلية بما فيها ارتيريا والحبشة والصومال وتجاوزها الى عدد من البلدان في الجنوب . وقد سقطت بواية افريقيا الشرقية وتبعني بها ( مومباسا ) في أيدي

المسلمين سنة ١٦٩٦ وما ان حل عام ١٧٨٧ حتى كان امام مسقط قد استولى على جزيرة زنجبار ومن هذه الجزيرة الصغيرة بدأ الاسلام توغله في افريقيا الشرقية وبخاصة تانغانيقا التي ما تزال عاصمتها دار السلام تشهد باسمها على مؤسسي هذه المدينة الساحلية المهمة. ومنذ سنة ١٧٦٥ حتى ظهور البرتغاليين على المسرح كان الشاطي\* الافريقي الشرقي بأكمله تحت سيطرة المسلمين وأميرة السلطنات الاسلامية المختلفة التي كانت تعرف مجتمعة بامبراطورية الزنجبار وكان الشاطسي\* الشرقي برمه يعرف لدى المسلمين بزنجبار أو الشاطي\* الأسود .

### الاستعمار الاوروبي لأفريقيا :

بدأ أولا اوروبيون بافريقيا في القرن الخامس عشر . وكانست صلاتهم هذه تزداد عمقا وقوة قرنا بعد قرن الى أن بدأ الاوروبيون تسابقهم على المستعمرات في افريقيا في القرن التاسع عشر .

ففي القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر انهمك الاوروبيون ( البرتغاليون والبريطانيون والهولنديون والفرنسيون وغيرهم ) الى حد كبير في تجارة الرقيق التي كانت تعود عليهم بأكبر الربح . وكان الاوروبيون يتخذون من المناطق الساحلية ( السنغال - غينيا - سيراليون وغانا الخ ) مركزا لنشاطهم . وكان البريطانيون منهم بصورة خاصة يرسلون السفن معبأة بالعبيد لا فارقة الى مستعمراتهم الجديدة في امريكا .

كانت افريقيا الغربية هي المعين الذي كان الاوروبيون يستقون منه العبيد الذين كانوا يصطادونهم للعمل في مزارعهم والقيام بسائر الأعمال في العالم الجديد . وكان الرق هو التجارة التي تد ر أعظم الربح على اولئك الذين زعموا فيما بعد أن الله تعالى قد حملهم عبء الرجل الأبيض لتمدين العالم .

ومن الأمور الجديدة بالاعتبار هنا قبل متابعة البحث أن مفهوم الرق



عند الاوربيين مرتبط بسواد البشرة روان السبيل الى استرقاق هؤلاء الذين هم أحرار كاملوا الحرية ، والمسلمون منهم متحضرون أكثر من السادة البيض . . . . هو القرصنة والخطف من الشواطئ . والكلام على ( الرقيق الأبيض ) في نظام الاسلام ومقارنته بهذا الاسترقاق الاوروبي المشع موضع آخر غير هذا الموضع . وبلغت تجارة الرقيق اوجها في القرن الثامن عشر والى البريطانيين يعود الفضل في أنهم سبقوا الأمم الاخرى وقادوها في هذه التجارة القبيحة الشنعاء ولقد قيل استنادا الى مصادرموثوق بها أن السفن البريطانية وحدها قد نقلت بين عامي ١٦٨٠ - ١٧٨٦ مليونين من العبيد - او بتعبير أدق من السود المختلفين من افريقيا الغربية الى مستعمراتهم في امريكا . ويعترف المؤرخون بأن الشحنات السنوية في السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر قد بلغت مائة ألف . وانه حتى في النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت الشحنات تبلغ قرابة خمسة وثمانين الفا في السنة . هؤلاء المناكيد من بني البشر الذين كانوا يشترون بأبخس الاثمان أو يصطادون صيدا كما يصطاد الحيوان . وكانوا يباعون في امريكا ويشتري بأثمانهم الغراء والسكر والعسل الاسود والخشب وسواها من المواد الأخرى التي كانت تباع بأثمان فاحشة في أوروبا وأسواق العالم كان هؤلاء العبيد يحشرون كالسردين في سفن العبيد وكانوا يعطون من الزاد ما يكفي لسد رمقهم . بل لا بقائهم على قيد الحياة فحسب . وكانوا يجلدون لا يما تقصير أو خطأ يرتكبونه فلا عجب اذا مات أكثرهم على الطريق وعند ما بدأ بعضهم في القاء أنفسهم في البحر تخلصا من ذلك العذاب شرع أسيادهم في ربطهم بالسلاسل منعا لهم من الهرب والحق ان بإمكان الباحث أن يكتب المجلدات اذا ما أراد أن يصف بالتفصيل الطريقة التي كان اولئك العبيد يعاملون بها بعد صيدهم من البائعيين والمشتريين على حد سواء . ان الطريقة التي كانوا يساقون بها بعد صيدهم

في ظل بنادق أسياهم - البيض المتحضرين . . . أو هلائهم الى الشاطئ  
حيث يحشرون في السفن حشرا تشكل هي أيضا فضلا من فصول التاريخ  
التي تنزى بمخازي التتر والمغول واحزابهم .

وما ان أطل القرن المشرون حتى كان الاوربيون قد اقتسموا افريقيا  
لها تقريبا باستثناء جمهورية ليبريا الصغيرة ونالت حصة الاسد كل من  
بريطانيا وفرنسا فقد حصلت كل منهما على مناطق بلغت مساحتها ثلاث  
ملايين ميل مربع .

وقد استولت الدول الاوروبية على هذه المساحات الشاسعة تسارة  
بالحروب وطورا بالخيانة وعن طريق الحصول على تواقيع الرؤساء البسطاء  
الاميين على معاهدات بيضاء .

وتحت تأثير الاستعمار الغربي فرضت خريطة جديدة على القارة  
الافريقية عندما شرعت هذه الدول المستعمرة في خلق بلدان جديدة عن  
طريق رسم حدود اعتباطية بين المناطق - المختلفة - ولم تكن افريقيا من  
قرن في ظل الامراء المسلمين تعرف الحدود - واوجدت فيها الى جانب  
ذلك طبقة خاصة من النخبة التي تدور في فلكها وكان معظم هذه الطبقة  
من النصارى. وأصبح التعليم هو السلم الحقيقي للوصول الى مرتبة الزعامة  
وكانت الارسلات المسيحية تحتكر العلم والتعليم في جميع هذه الجيوب  
الاستعمارية تقريبا مما يفسر كون السياسة والاقتصاد في أيدي هذه النخبة  
المسيحية الجديدة . حتى في المناطق التي تقطنها أغلبية مسلمة .

## "الاسلام والمسلمون في القرن التاسع عشر"

انتهى الاسلام في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد الى نهاية جزره من القوة النفسية والقوة المادية لأنه تلقى من القرون الأربعة السابقة أثقالا من المتاعب والأواء لم تمتحن أمة من قبله بمثلها وكان بعضها كافيا للقضاء على دولة الفراعنة والاكاسرة في الزمن القديم. وان هذا الميدان من ميادين المقارنة التاريخية لغارقا بيد ولنا في كثير من الصورتين عظمة الدين وعظمة السياسة فان دول السياسة تذهب ولا تعود ولا يوجد بعدها من يحاول اعادة تها، ولكن دولة الدين - أو على الأصح قوة الدين تبقى من وراء الأمم والحكومات كانها القوام الذي تتعاقب عليه بيئة في أثر بنية . وهو باق يتجدد ولا يتسلم للغناء ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الاسلام بعدما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر الى القرن التاسع عشر للميلاد وانما الضرب عند هم هو تلك القوة المنيمة التي صابر بها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون ولم يزل بعدها وحدة انسلبنية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الامم ولا تزال على أمل وثيق في المزيد وتستطيع أن تتخيل تلك القوة المنيمة بنظرة سريعة نعرض فيها طائفة من الكوارث والشدائد التي صابرتها وصبرت عليها وهي محيطة بها من خارجها وناجمة من داخلها وبين ظهرانيتها فقد مضت القرون الاربعة بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر في منازلة الجيوش الصليبية ولم تكد هذه الحروب تنتهي حتى خلفتها حروب " المسألة الشرقية" وهي التي وقعت فيها الدولة العثمانية - وكانت يومئذ دولة الخلافة تناهض غارة بعد غارة من غارات الاوربية التي تألبت عليها واطلقت عليها اسم " الرجل المريض" لانها كانت تتنازع ميراثه وهو يقيد الحياة ولم تكد حروب المسألة الشرقية تنتهي بتنافس السورثة على بقية الميراث حتى اعقبها حملات الشركات وأصحاب الديون ومعها حملات الاستعمار والتبشير .

وقبل الحروب الصليبية وبعدها كان العالم الاسلامي عرضة لاهوال الغارات من قبل آسيا الوسطى التي كانت ترسل الفوج من عشائر التتر والمغول بقيادة جنكيز خان وهولاكو وغاران وتيمورلنك واتباعهم من القادة والامراء وهم لا يفهمون معنى الغلبة الا انها قدرة على الفتك والتدمير وان أعظم المنتصرين من يقاس انتصاره بعدد من قتل من المحاربين وغير المحاربين وعدد ماضرب من المدن والقري في الطريق ومنهم من كان يظهر الاسلام ويغير على ممالكه لانها في زعمه تساس على خلاف الشريعة الاسلامية وفي خلال ذلك جميعه كانت الدولة الاسلامية تتسع وتمتد حتى ينقطع ما بينها من الصلة ويتعذر على القائمين بها ان يجمعوها الى حكومة واحدة وكان اتساع الافاق بصحبة اختلاف المواقع واختلاف السكان واختلاف المصالح والاهواء فلا تلبث أن تتعزق ثم تتعادي على البغي والعسد وان . ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة أو الدولة التي سميت بالامبراطوريات في الزمن القديم .

### الحروب الصليبية وأثرها على العالم الاسلامي :

ولقد رأينا كثيرا من المؤرخين يوازنون بين اخطار هذه الضربات ويجعلون الحروب الصليبية في مقدمتها أو يجعلونها فاتحة الضربات يتلوها ماتعاقب بعدها من الاخطار أو الاخطاء . وهذه الحروب ولا نكران كانت من أعظم الاخطار التي امتحنت بها الامم الاسلامية ولكننا نعتقد أن الخطر فيها انما كان على نقيض المفهوم من هذا الخطر في عرف الجملة من مؤرخيها لأنها في الواقع لم تنهك قوة الامم الاسلامية ولم تتركها موقته بالهزيمة في نظر نفسها .

١- بل تركتها وقد اورثتها افراطا في الثقة برجحانها وافراطا في سوء الظن باعدائها وقد كان هذا هو باب الخطر الجسيم الذي عدة قرون .

- ٢- ومن آثار الحروب الصليبية التي لا تفوت أحدا من المؤرخين إنها جاءت بالترك العثمانيين من أواسط آسيا الى أرض الروم ودفعتهم الى مقابلة الغارة بمثلها في صميم الديار الأوروبية .
- ٣- وانها ايقظت الشرق الاسلامي كله من تخوم الصين الى جوف الصحراء الكبرى في القارة الافريقية ، وان أحقق الحمقى من الصليبيين كان أنفعهم وأقدرهم على انكسار الحمية في نفوس الامراء والسلاطين وان منهم لمن شغله الملك فوق اشتغاله بالدين .
- وقد كان وصف صلاح الدين بطل الحروب الصليبية غير مدافع فسي نظر الاوروبيين والشرقيين ولكن الصفة التي كانت غالبية عليه ولا شك هي صفة الحلم الراجع والاناة الهادئة وايتثار الكسب بالسلم والمطاوله على الكسب بالهجوم. الا أن هذا الرجل الحليم الرصين ثارت ثائرتة حتى الجنون حين سمع بعزم ( ارنولد ) صاحب الكرك على فتح الحجاز واعداه العسدة في البر والبحر لاقتحام المدينة والمساس بالقبير الشريف. وسرى وعيد ارنولد في المشرق كله فنسى الخصوم خصومتهم والطامعون مطامعهم وأقسم صلاح الدين ليقطن ( ارنولد ) بيده فكانت موقعة حطين التي تعد من وقائع التاريخ الحلية وظفر صلاح الدين بشرذمة من الملوك والامراء عفا عنهم جميعا الا ( ارنولد ) هذا فلم يقبل فيه شفاعه من أحد وتناول سيفه وضرب عنقه بيده وهو يقول : برئت من شفاعه محمد ان قبلت في هذا الأحمق شفاعه شفيح. واستنكر الصليبيون أنفسهم حماقة ( ارنولد ) هذا لانهم ادركوا أنها استثارت من نفوس المسلمين كل قوة كامنة واكسبتهم وقعة ( حطين ) بعسده هزيمتهم في الوقائع التي سبقتها .
- والامة الاسلامية قد أنكرت على الاوروبيين الذين قد موا في جيوش الصليبيين ضروبا من الخشونة والجلافة حسبتها من البربرية التي تعافها وتشمئز منها. ورسخ في نفوسهم ان هؤلاء القوم ليسوا بالمسيحيين لأنهم لم

يعملوا بوصية واحدة من وصايا المسيح التي يحفظها المسلمون .  
وكان أنكر ما استنكروه سماحهم بجلب النساء من بلادهم لمعاشرة  
الجنود معاشرة الأزواج بغير زواج . وكان أشد من ذلك نكراً أن يعظموا  
الصور والتماثيل عباد الأصنام للطواغيت والأوثان فلم ينظروا اليهم نظرة  
الاعين إلى الأذنين وحسب بل وقرت في إخلادهم سخافة ما يدعون من حق  
المطالبة بشيء قط باسم المسيح عليه السلام فهم في دعواهم مهطلون وهم  
غير أهل لتلك المطالبة لو كانوا صادقين . مثل هذا الشعور قد يحييك  
صدور الأمم في أوقات كثيرة فلا يضرها بل يمدّها في قوتها إذا خسرتها في  
إبان النمو والصمود ولكن الظروف التي تطورت إليها الحروب الصليبية  
لم تكن من هذه الأوقات بل صادفت على النقيض فترة ذات وجهين من قبل  
الشرق ومن قبل الغرب فكانت في الشرق فترة هبوط في النهضات العلمية  
وكانت في الغرب فترة صعود في النهضة العلمية الحديثة قامت بعدها  
أوروبا مقام القيادة على هذه النهضة وتخلّف الشرق زمناً عن اللحاق بها وليس  
أخطر على الأمن الاكتفاء بالذات والاعتزاز بالرجحان في أمثال هؤلاء  
الظروف .

#### تطور الظروف في أوروبا والعالم الإسلامي بعد الحروب الصليبية :

هبطت النهضات العلمية في الشرق بعد القرن الثاني عشر على أشر  
الغارات التي تعاورته في كل مكان وانصبت كوارث هذه الغارات خاصة على  
معاهد العلم والمكتبات فعصفت بالعشرات من مابين بخارى وسمرقند ومر و  
وبغداد ودمشق وحمص وسائر المدن التي اشتهرت بمعاهد ومكتباتها  
في الزمن القديم . ويخصّص عدد الكتب التي احترقت خلال غارات التتر والمغول  
وغارات الصليبيين ، مئات الألوف وعدد المعاهد والمكتبات بالعشرات  
والمئات وانصرف الأمراء وطلاب العلم عن العناية بالمدارس والمصنفات  
إلى التأهب والاستعداد لدفع المغيرين ممن كانوا يتوقعون غاراتهم واحدة

تلو الأخرى بغير انقطاع وكثرت مطالب الحكام من المحكومين اضطرارا فسي أول الأمر ثم اختيارا واعتسافا مع تعادى الزمن حتى ساءت الصلة بين الحاكم ومحكوميه وتراخى الزمن على أثر الحروب الصليبية واستقرت الأحوال بعض الاستقرار فعادت البلاد الإسلامية الوسطى شيئا من رخائهم على طريق التجارة الهندية ثم انقطع هذا الطريق واتجه الورد الى غيره من الطرق حول القارة الأفريقية فاجتمع سوء الحكم الى سوء الحال وشاعت الشبهة عن حق وعن باطل بين الرعاة والرعية .

### "أعراض الشرق الإسلامي من العلم والمعرفة"

وهذه هي الفترة التي كان ينبغي فيها للشرق الإسلامي أن يطلب المعرفة ويؤم من ضرورة العمل في التقدم أو يؤم من بمزايا العلم الحديث ولكنها كانت بحكم هذه الظروف جميعا هي الفترة التي اعرض فيها الشرق من كسل حديث وهو يأتي على الخصوص من قبل القارة الأوروبية فتأخر عن ركب الحضارة العصرية زهاء قرن كامل لو أنه استفاد ناهضا ومجاريا للنهضة في مضارها لما قصر عن اللحاق بالسابقين .

### سوء الظن بالمدارس العصرية :

وجاءت المدارس العصرية من جانبيين كلاهما صغنة للتهمة وكلاهما موضع للحدور والاتقاء وجاءت المدارس العصرية على أيدى الحكومات التي بلغ التنافر بينها وبين الحكوميين حد العداوة والاتهام بغير بحث ولا روية فكان الناس يحسبون التلميذ المطلوب للمدرسة كالعامل المطلوب للسخرة أو كالجندي الذي يساق الى المشقة والوبال في غير مصلحة ولا كرامة . وجاءت المدارس العصرية أيضا على أيدي رسائلات التبشير التي صرحت الناس في ظل الامتيازات الأجنبية بفرضها من فتح المدارس وقبول التلاميذ بغير أجر في كثير من البلدان فاحجم المسلمون عن تعليم أبنائهم في مدارسها وجاوزوا ذلك الى سوء الظن بالعلم نفسه وسوء الظن بينه المعلمين وايمان المتعلمين .

٤- وانقطع ما بين المسلمين وعلومهم الاولى فنذر فيهم من كان يتعلم  
النافع منها كاللغة واللغة والادب والرياضة وانقطع ما بينهم وبين  
العلوم العصرية فنظر الكثيرون منهم الى علوم الجغرافية والطبيعة  
والكيميا كأنها الكفر البواح أو السحر المزيف واتصل ما بينهم وبين  
الخرافة والجهالة بهذا الانقطاع بينهم وبين العلم الصحيح قد يمه  
وحد يثرفا صطبغ فهمهم للدين بصيغة الجهل والتحريف وطلبوا  
الخلاص من غير بابه وتوسلوا للعمل فيه بغير أسبابه واتهموا  
الناصحين واسلموا قاداتهم للمدجلين والمحتالين .

في هذه الفترة كان الاسلام كما يفهم الجهلاء - والجهلاء هم  
الاكثرون في سائر الامم مزيجا من الخرافة والشعوذة ومن الطلاسم  
والاوهام ومن الوثنية وعبادة الموتى .

في هذه الفترة كان بعض المتعالين من ادعياء المعرفة يحكم  
بكفر القائلين بدوران الكرة الارضية ولا يثر في تكفير من يسميها  
بالكرة .

وفي هذه الفترة كان طلاب الفتوى من مشارق الارض ومغاربها  
يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه وهل يجوز قدح النار منه وطبخ  
الطعام على تلك النار وفي هذه الفترة كان السائلون يسألون عن  
صناديق التوفير والادخار وعن معاملات التجارة من طريق المصارف  
والشركات ويحسبون ان اللبان بالاضرحة والتوابيت وترتيل الاوراد  
والعزائم يفنيهم عن السعي والتدبير وعن الجهاد والاجتهاد  
وفي هذه الفترة على الاجمال كان المسلم يعيش في العالم كمن  
يعيش في خرابة مظلمة لا يدري من أين تسرى اليه عقاربها وحياتها  
ومتى تخرج عليه أشباحها وشياطينها وانقلب معنى الاسلام الى  
معنى المخافة والالتهام بعد أن كان أول معاني الاسلام الطمأنينة



أرى الخالين وخلقه وكان هذا الاسلام الذي صار اليه المسلمون مخافة لا سلم فيها ولا سلامة واتهما ما لا تسليم فيه ولا مسالمة. قلنا: ان الافراط بالثقة بالنفس والاكتفاء بها كان فيما بعد الحرب الصليبية مضارعا للافراط في سوء الظن بالاعداء وتوهم الاستغناء عنهم والريية بكل ما يأتي من قبلهم. وقلنا: انه اكتفاء بالذات وخيم المغيبة في أمثال هذه الأحوال .

ونقول: على الدوام: انه ما من شر يخلو من بعض الخير وما من ضرر مطلق ان كان معنى الضرر المطلق انه لا يقبل الترياق او لا يحتويه في كثير من الاحايين. هذه الغترة من الثقة العمياء لم تخل من فائدتها في المقاومة والامل في التدبيل وفي عدل الله بين عباده، ولم تكذب ألقى مداها من الاشرار حتى جاءت بعدها نكبة الاستعمار بنقيض العبرة في دروس الحروب الصليبية لانها شككت المسلمين في كفايتهم واستغنائهم وشككهم في رجائهم وغلبيتهم وقام بين المسلمين من يقول لهم: ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الفريبيين نجحوا وتقدموا لانهم أخذوا بالوصاية والاحكام التي كان المسلمون اولى بها لو عقلوا وصايا الدين واحكامه وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

نعم وفي اصطكاك الشرق الاسلامي مرتين بالقارة الأوروبية مصداق لهذه الآيات البيئات انه سلم من الحروب الصليبية فاكتفى وقنع عما يحتاج اليه وانهمزم في وجه الاستعمار فعرف حاجته وتقيا لنفسه واستقام على النهج الذي لا غنى له عن الاستقامة عليه وعادت به المأساة الى ( العقيسة الشاملة ) التي ميزته بين عقائد الاديان فهو في مدة اليوم بعيد منتصف القرن العشرين فان لم يبلغ من مدة اليوم ما يرجوه لقسد ترك المرحلة التي انتهى فيها الى جزره في أوائل القرن التاسع عشر وما في ذلك من خلاف .

## "العالم الاسلامي"

يمتد العالم الاسلامي في قلب العالم القديم ويغطي رقعة واسعة من قارتي آسيا وافريقيا في المناطق المعتدلة والمدارية وهو يشكل أكبر وحدة بشرية في العالم ان يزيد عدد المسلمين على / ٦٠٠ / مليون نسمة - ويمتاز بقوة الروابط الروحية والفكرية والاجتماعية بين أبنائه كما يفكرته الانسانية السامية، انه يجمع في بوتقته عصارة الجهد البشري دون نظر الى جنس أو لون أو طبقة أو لغة. ويلتقي فيه العربي والعجمي والأبيض والأحمر والأسود على كلمة التقوى ومصلحة الجماعة . كما أن العالم الاسلامي يمتاز بأهميته الاقتصادية بما حباه الله من ثروات مادية عظيمة ففي مجال الصناعة يسلك العالم الاسلامي نسبة كبيرة من المواد الأولية فهو يحتل الدرجة الأولى في إنتاج البترول في العالم وفي الاحتياطي منه وأهم آباره في السعودية والكويت وقطر وامارات الخليج والعراق وايران واذربيجان وداغستان وفي ليبيا والجزائر واندونيسيا .

ويحتل الدرجة الاولى كذلك في إنتاج القصدير الذي يستخرج من نيجيريا وماليزيا واندونيسيا بكميات ضخمة. كما يحتل الدرجة الأولى في إنتاج الفوسفات واكثرها في مراکش ثم في الجزائر وتونس وفي العالم الاسلامي كذلك كميات كبيرة من النحاس والرصاص والمنغنيز في تركستان ثم المغرب ، كما أن فيه الذهب والفضة في السعودية وتركستان .

وانا أصفنا الى ذلك قيمة العالم الاسلامي الاستهلاكية عرفنا أهمية الاقتصادية التي دفعت الدول الصناعية المنتجة الى الاقتتال عليه وحمله مناطق نفوذ لها .

أما الزراعة في العالم الاسلامي فلا تزال أهم الموارد وأهم المنتجات الزراعية القابلين في مصر والسودان وسورية والعراق وتركستان واذربيجان والمطاط في اندونيسيا وانواع الفواكه في لبنان وفلسطين والمغرب وفي كشمير

وتركستان، والتمور في العراق، ثم الحبوب في أكثر أجزاء العالم الإسلامي وكذلك فقد احتلت بلاد المسلمين منذ القديم مركزا تجاريا هاما بسبب موقعها الجغرافي في قلب العالم القديم وما تمتعت به من أمن وحيوية. ابان الحكم الإسلامي المديد . ولما عرف به التجار المسلمون من أمانة وصدق فكانت قوافلهم تحمل البضائع من أقصى البلاد الى أقصاها، ولم يكن للتجارة طريق الا في بلاد المسلمين اذا كان المحيط الهندي وبحر العرب والبحر المتوسط والاحمر بحارا اسلامية كما كان بيدهم طريق الهند البرى عبر مصر خيبر الى خراسان والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب وقد كان للتجار المسلمين فضل كبير في حمل الاسلام الى أقطار نائية لم تصلها جيوش الفتح فكانوا جنود الحق ورسول الخير .

### ” قارة آسيا ”

آسيا أكبر قارات العالم وتبلغ مساحتها حوالي ( ٤١٥٠٠٠٠٠٠ ) كيلومتر مربع . . . وهي مشهورة بهضابها العظيمة وسهولها الخصيصة وأنهارها الغزيرة وأهم حاصلاتها الزراعية الرز هو غذاء السواد الاعظم من سكانها ثم القمح والدخن والقنب ولكتان والشاي والفواكه وشجر جوز الهند. وتشتهر بحيواناتها ذات الفراء والحيوانات السائمة وآسيا غنية بالمعادن كالذهب والفضة والبلاتين والحديد والرصاص والنحاس والبترو. وآسيا مهد الشعوب القديمة ومرتع حضارتها وفيها ظهرت الديانات السماوية الكبرى المنتشرة في العالم اليوم ويقدر عدد سكان آسيا بـ / ١٣٠٠ / مليون نسمة. ويجتمع فيها اكثر الديانات المعروفة اليوم ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ( ٤٧٠ ) مليون نسمة وهم يشكلون الاغلبية في أكثر من ( ٢٠ ) دولة آسيوية .

وسنتحدث بشيء من التفصيل عن أهم الاقطار الإسلامية في هذه القارة الآسيوية ونبدأ بلمحة عامة عن البلاد العربية .

خرج المسلمون من جزيرة العرب في القرن الاول الهجري يرفعون راية الاسلام في أطراف الارض ودخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الدين الاسلامي وانتشرت معه اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ولم تعد العربية محصورة في جزيرة العرب وأطراف الشام والعراق وإنما امتدت في أقطار واسعة من آسيا وأفريقية فكانت لغة البلاد الاسلامية الممتدة من الهند والصين وبخارى الى صقلية والمغرب والاندلس ثم وقف المد الاسلامي وضعفوا العربية بضعفه فانحسرت عن كثير من الاقطار ولم يبق لها الا ما يسمى اليوم بالبلاد العربية .

تقدر مساحة هذه البلاد العربية بـ / ١٢ / مليون كم ٢ منها ( ٣٥ ) مليون في جنوب غربي آسيا و ( ٨٥ ) مليون في شمال افريقيا . ويبلغ عدد سكانها ( ١٠٠ ) مليون يدين ٩٦ ٪ منهم بالاسلام والباقيون من النصارى واليهود . نعمت البلاد العربية بنور الاسلام منذ الأيام الاولى فقد دخلت جزيرة العرب في الاسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام قد جهز قبيل وفاته جيشا لقتال الروم " وعقد الراية لاسامة بن زيد رضي الله عنه فحين تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة لم يرض أن يحمل الراية التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشغله حروب الردة عن فتوح الشام ومضت جنود الله تنطلق من الحجاز وحتى تم لها فتح الشام والعراق ومصر أيام عمر رضي الله عنه . أما الشمال الافريقي فقد انضم الى الدولة الاسلامية أيام الامويين وهكذا لم يحض القرن الاول حتى كانت البلاد العربية بلادا اسلامية تنطلق منها كتائب الفتح لتحمل نور الاسلام الارجاء الارض وظلت البلاد العربية قرونا عديدة تحت حكم الخلفاء . وحكم الخلفاء حتى تعرض العالم الاسلامي لموجة الضعف فتوزعت الأيدي الطامعة . ولما حل القرن العاشر الهجري كانت زعامة العالم الاسلامي بيد

ثلاث دول هي دولة المماليك في مصر والشام والحجاز واليمن رود دولة الاتراك العثمانيين في آسيا الصغرى رود دولة الصفويين في ايران والعراق. وكان التنافس والنزاع بين هذه القوى الثلاث شديدا ثم تغير الميزان الدولي ولم ينقض هذا القرن العاشر حتى كانت الخلافة العثمانية تهبط نفوذها على معظم البلاد العربية .

فقد انتقلت الشام ومصر والحجاز الى حكم العثمانيين عندما هزم السلطان سليم جيش المماليك قرب حلب عام ٩٢٢ هـ ثم هزمهم عند القاهرة عام ٩٢٣ هـ وقضى على دولتهم وعند ما أعلن حاكم الحجاز ولده للسلطان فقبل السلطان ولاه وثبته في امارته ، اما اليمن التي كانت للأئمة الزيديين فقد كان العثمانيون ينجحون أحيانا في الاستيلاء على الحواري فيها وعلى صنعاء وينهزمون أحيانا أخرى أمام هجمات الزيديين وأما العراق فقد استطاع السلطان سليمان سنة ٩٤١ هـ اخذه من الدولة الصفوية الشيعية وجعله ولاية عثمانية ولكن الصفويين عادوا فاستردوه حتى جاء مراد الرابع فاعاده الى جسم الدولة العثمانية .

كما احتل السلطان سليمان ميناء عدن ومسقط وعمان ثم احتل الاحساء والقطيف والكويت والبحرين ولكن السيادة الفعلية كانت للأمراء وشيوخ القبائل وأما الشمال الافريقي فقد حكمته دولة الموحديين حتى سقطت سنة ١٦٠٠ هجرى فقامت بعد ها دويلات صغيرة لم تصمد لا طماع الاوروبيين الذين احتلوا الشغور فقد احتلت البرتغال شغور المغرب كما احتل الاسبان شغور طرابلس وتونس والجزائر في مطلع القرن العاشر فاستصرخ المسلمون العثمانيين فدخلوها وضموها الى بلادهم وحموها من الاوروبيين ثم قامت فيها أسر حاكمة من أهلها حكمتها في ظل العثمانيين حتى غلب عليها الاوروبيون من جديد واستعمروها وفي هذا القرن الأخير مرت على البلاد العربية أحداث جسيمة متوالية كان لها أثر بالغ في كيانها ووضاعها الاجتماعية والسياسية .

## " المد الاسلامي في آسيا وافريقيا "

\* تمهيد :

ان العالم الاسلامي الحديث بأشكاله السياسية المختلفة وبأحواله المعيشية والفكرية والحضارية جاء نتيجة للظروف التي مر بها هذا العالم والعوامل التي تعاقبت عليه منذ اصطدامه مع العالم الاوروبي ابان الحروب الصليبية وما اصابه بعد ذلك من أسباب العناء والركود الى أن اصطدم مع هذا العالم مرة أخرى في حروب الاستعمار الحديث ، وما اصابه فيها هذه المرة من ( تحدى ) الحضارة الاوربية والفكر الاوربي الحديث ثم ما وقي فيه بعد ذلك من ( ردود الفعل ) المختلفة تجاه هذه الحضارة الغنية التي استطاعت أن تترك على سطحه وفي أعماقه رواسبمختلفة لم يكن عالمنسا هذا بعيدا عنها وهو يحاول تحديد موقفه من هذه الحضارة يضاف الى ذلك ان من أبعاد الامور أثرا فيما آل اليه أمر العالم الاسلامي الحديث: الأحوال التي تقلبت فيها الدولة العثمانية خلال خمسة قرون . كانت في بعضها كفوا للدول الاوربية مجتمعات . وكانت في بعضها الآخر ( الرجل المريض ) كما اطلقوا عليها الذي يحاول ( الورثة ) ان يقتسموا ميراثه وهو بقيد الحياة. هذا الى جانب التوسع الاقليمي وسعة الانتشار الذي اصابه الاسلام في آسيا وافريقيا في جميع عهد هذه الدولة . وفي بعض عهود الاستعمار أيضا وبخاصة في افريقيا . نظرا لنشاط الدعاة ورجال الطرق ردا على التحدى العنيف الذي أصيب به الاسلام والحضارة الاسلامية وحيث كانت الفرصة مهيأة لان يقارن أدنى رجل افريقي بين حضارة الاسلام وحضارة الرجل الأبيض ؟؟ وان شئت قلت : رسالة الرجل الأبيض وأخيرا ففي الوقت الذي لا ننسى الدور البعيد الأثر الذي قامت به الرسائل والبعثات التبشيرية في التخطيط لعالمنا الاسلامي المعاصر بدليل ما نراه الآن في بعض الدول الافريقية التي يدن أهلها بالاسلام

وكيف أنها تدار بسياسة التبشير أو تحكم من قبل بعض المتنصرة فإن حد يثنا في الدرس القادم عن الزحف الاستعماري على العالم الاسلامي سوف يشمل بالطبع الحديث عن هذه الارساليات لان التبشير والاستعمار ( كما سنرى ) صورتان لحقيقة واحدة وتلازما وتعاوننا كأشد ما يكون التعاون والتلازم كما مهد كل منهما للآخر ويمكن له وانما حصل في كثير من الأحيان أن المبشر كان يقوم بدور المكتشف الذي سار على أثره المستعمر فإن الاستعمار في الحقيقة اوجد ( المناخ ) المناسب الذي يستطيع فيــــه التبشير أن يؤدى رسالته على (أحسن) وجه بما أمد بعثاته من دعم ومــــا أعطاها من الحماية وحرية العمل وبما أفسد بين يديها من خلق وسخر من اقلام مستشرقين وباحثين . . . . . وبما رفع من اقلية وتبع من سياسات .

وقيل أن نبدأ الحديث عن هذا الزحف الاستعماري على العالم الاسلامي بوصفه السبب المباشر الذي أثر في العالم الاسلامي الحديث ، وكيف صمد العالم الاسلامي لهذا الغزو الى أن تطورت الاوضاع الى ماهي عليه الآن . . . . لا بد قبل ذلك من الحديث عن أغلبية الاسلام وعوامل انتشاره في آسيا وافريقيا .

#### انتشار الاسلام في آسيا وافريقيا :

ارتكز المد الاسلامي في العالم كما هو معلوم في مواضعه على مبدأ نشر الاسلام وتحرير الشعوب من الجاهليات ولقد بلغ هذا المد الموجه في عصر الفتوحات الاولى يوم قضى المسلمون على الدولة الفارسية ويوم نزلوا دولة الرومان الشرقية فحرروا بلاد الشام وشمال افريقيا وعبروا البحر الى الاندلس لقد هزمت أمام هذا المد الجديد الدولتان الكبيرتان اللتان كانتا تتقاسمان العالم المعمور في ذلك الحين ودولة الكاسرة في المشرق ودولة القياصرة في المغرب وكانت هذه الهزيمة

يومئذ من أعجب العجب في تواريخ الدول لأنها تمت في بضعة سنوات  
ولأنها جاءت من مكان لا يحسب له في نظرهما أى حساب ؟ جاءت من صحراء  
جزيرة العرب التي كانت هاتان الدولتان تحفلان بما يجرى حولها ولا تكثر ثابان  
لما يجرى في داخلها وقد امتد سلطان كل منهما الى الجانب الذي يليه  
فاتخذت فيه اتباعا يطيعونها ويحتمون بها ويلوذون بجوارها فارس تسيطر  
على الحميرة واليمن وبيزنطة تسيطر على أرض غسان والبتراء وتهم ان تنصب  
لها أميرا على الحجاز يدين لها بالولاء ويحرس لها طريق الشام من أوله  
في الجزيرة العربية .

ولهذا لما جاء الى كسرى رسول من قبل هذه الجزيرة وسأل عن شأنه  
ف قيل له انه يحمل رسالة من نبي ظهر في العرب يدعو الى دينه ؟ ضحك  
غاضبا أو غضب ضاحكا وأمر من يذهب الي ذلك النبي الجسور فيأتيه به حيا  
أو ميتا ليلقى جزاءه على الجسار التي اجترأ بها على الشاهنشاه ملك  
الملوك ولما تسمع القوم في الجزيرة العربية ان ذلك النبي بهم ان يحارب  
القيصر في عقر داره سخروا وقالوا عساه يحسبها غزوة من غزوات البادية .  
ولكن القوة التي انطلقت لتوقع الهزيمة بالدولتين معا جاءت من حيث  
لا تتوقمان جاءت من وراء الرمال وان شئت قلت : جاءت من وراء الغيب .  
غلب المسلمون في هذه المدة وانساحت العقيدة الاسلامية تهزم  
امامها عقائد موروثات وقيل في تفسير هذا الغلب ما قيل وظن من ظن  
ان الاسلام انتشر في العالم بقوة السيف ونسي أولا ان التمكن الذي  
أصابه الاسلام في نفوس معتنقيه هو الذي ساعده على ذلك الغلب .  
وكان السيف في قلب هؤلاء المعتنقين لا في أيديهم يوم كانوا  
مضطهدين مطاردين في مكة ونسي معه ان الله تعالى يقول : ( لا اكراه  
في الدين ) .

- ثم نسي ثانيا - وهذا ما يجب تأكيده وفهمه حق الفهم - ان الانتشار -



الواسع للاسلام في العالم قد تم بعيدا عن الحروب والسياسات بل تم فسي حال تدهور المسلمين السياسي والاجتماعي ولا بد من التأكيد على هذه النقطة كما أشرت لفهم حركة التحول الى الاسلام في آسيا وافريقيا حتى فسي عصور الاستعمار والاحتلال .

يدل على هذا أن البلاد التي قلت فيها حروب الاسلام وانعدمت هي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم وهي بلاد اندونيسيا والهند والصين وساحل القارة الافريقية ومايلبها من سهول الصحارى الواسعة فان عدد المسلمين فيها قريب من أربعمئة مليون ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد الا القليل الذي لا يجدى في تحويل الآلاف عن دينهم ، بل العلايين .

يقول سير توماس آرنولد في كتابه القيم : ( الدعوة الى الاسلام ) :  
( ولم يكن النشاط الروحي للاسلام كما زعم عدد كبير من الناس متمشيا مع سلطانه السياسي بل على العكس من ذلك : نجد أن فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادى يعمل على ابراز أجمل الصفات الروحية التي تعد أصدق الجواهد التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة .

هذا ما قاله آرنولد وهو يعلل نجاح الدعاة المسلمين في افريقيا وآسيا وفي حمل الشعوب والقبائل على الدخول في الاسلام في القرن التاسع عشر والقرون السابقة ؟ اى في عصور ضعف المسلمين السياسي وتفرقهم وعصور الاستعمار الذى اطبق على العالم الاسلامي من أقصاء الى أقصاء ولا يسد من البحث عن السبب الحقيقي في غلبة الاسلام وقوة انتشاره وهذا السبب يكمن في العقيدة الاسلامية ذاتها . أى أن السبب الاهم في انتشار الاسلام هو سبب ذاتي يعود الى الاسلام نفسه وقد يضاف الى هذا السبب عوامل أخرى طارئة أو مساعدة أو ظروف خاصة لا انتشاره في مكان فوق مكان آخر ولكن يبقى السبب الذاتي السابق هو العامل الاو والاهم في حركة غلبة الاسلام

## \* السبب الذاتي لانتشار الاسلام :

ان قوة العقيدة الاسلامية وغلبيتها لسائر العقائد والاديان تكمن هنا في نقطتين هما البساطة والشمول .

### ١- بساطة العقيدة الاسلامية :

تتمثل هذه البساطة في مبدأ الوحدةانية الذي يعتبر جوهرالفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية والحديث عن ان الاسلام (دين الفطرة) لانه دين الوحدةانية بأصغى معانيها وأجلى صورها حديث معروف ولكن بساطة هذا الدين ووضوحه يتمثل - بدوره أيضا - في قدرة أى داعية من الدعاة مهما كانت درجة ثقافته على حملته والدعوة اليه . بل يتمثل في ايمان الناس به وهم يرون مسلما صحيح الاسلام يقوم بفروض هذا الدين وما يوجبه عليه من الاخلاق والمعاملات يقول آرنولد في كتابه المشار اليه آنفا ( ان هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان ولا تيسر في العادة مصاعب عقلية خاصة . . . ولما كانت خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية كان من الممكن أن يشرحها أى فرد حتى أقل الناس خبرة بالمعبارات الدينية النظرية ) ويقول أيضا عن أثرالتجار في نشر الاسلام : ( واناما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرمان مايلفست الانظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة التي بيد وفيها كما لو كان يخاطب كائنا خفيا . وان مايتحلى به من سموعقلي وخلقلي ليفرض احترامه والثقة به على الاهالي الذين تستميلهم هذه الصفات الحميدة والذين يجدون عنده الاستعداد والرغبة في أن يمدهم بمزايا هذاالدين الذي يتمبده هو على وفق أحكامه . ويقول آرنولد أيضا : فاذا استطاع رينان أن يقول مادخلت مسجدا قط دون أن تهزني عاطفة حادة أوعبارة أخرى دون أن يهيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلما كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته وسجداته الكثيرة وعبادته

للاله الذى لا يراه في سكينه واستغراق قد يوهثر في الافريقي الوثني .  
ان التاجر هنا لم يقم بأكثر من اعطاء صورة عملية لوضوح هذه العقيدة  
التي يعتنقها وبساطتها تاركا لهذه العقيدة نفسها أن تؤدى دورها في  
واجب الايمان بها والدعوة اليها .

فاذا ذكرنا ان الاسلام ليس فيه هيئة دينية خاصة تكون على درجة  
معينة من الثقافة الدينية يناط بها أمر الدعوة الى الدين والتبشير به كما  
هي الحال في النصرانية مثلا ونظرنا الى واقع انتشار الاسلام في آسيا  
وافريقيا وغلبته في هذا المضمار على جهود المبشرين الضخمة التي تمولها  
وتدعمها أغلب الدول الاوربية بين يدي الاستعمار أو تشبيها لأركانها . ادركنا  
سر العقيدة الاسلامية ذاتها في هذا التوسع والانتشار . يقول القسيس  
جون تكل عن انتشار الاسلام في الاقاليم الهندية - وكان ذلك في سنة  
١٩١١ - ان الاسلام أخذ في الازدياد وان تكن المجهودات التي تبذل  
في سبيل انتشاره تكاد تكون في حكم العدم ويقول القسيس زويمر في العام  
نفسه في مؤتمر التبشير المشهور الذي عقد في لكتو في الهند ( ولا تخلو  
بلدة في آسيا وافريقيا من سكان مسلمين وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم  
في بعض هذه البلاد الا أن هذه الاقلية في نمو مستمر وفي بلاد التبت  
المقفلت أبوابها في وجوه الاجانب عشرون ألف مسلم والاسلام منتشر فسي  
الكونغو وبلاد الكاب وهو في نمو مستمر في بلاد الحبشة والمبشرون  
المنتشرون على ضفتي النيل وشرقي افريقيا وبلاد النيجر والكونغو يرفعون أصواتهم  
بالشكوى من انتشار الاسلام بسرعة في هذه الانحاء ثم يقول وبالرغم من انتشا  
في الهند الهولندية قد لقي موانع من مجهودات جمعيات التبشير  
الهولندية والالمانية فهو يتوطد ويثبت ففي صومته اكتسح الاسلام الارجاء  
الوثنية وفي جاوه ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة  
الاسلامية .

وما زال الوطنيون سكان البلاد الا صليون - يدخلون في شبكة الاسلام الى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا الأعمالهم رواجاً . وهذا يفسر الموقف الذي اتخذته كثير من هيئات التبشير المسيحية حيث أخذت على عاتقها إبعاد الناس عن الاسلام حين لم تنجح في حملهم على الدخول في النصرانية .

ب - الشمول في هذه العقيدة :

أما هذه النقطة - او الميزة - فقد حقق بها الاسلام الصفة الكبرى للعقيدة الدينية على أتم شروطها . فكان بذلك العقيدة المثلى (للانسان ) لانها خاطبت فيه جميع طبقاته ومشاعره الواعية خاطبت فيه العقل والروح والضمير جميعاً كما أنها لم توزعه في الدنيا والآخرة وفرضت عليه أن يستقبل الاولى وهو يولى ظهره للأخرى أو وزعته بين الروح والجسد أو فرقت بين ماله والقيصر ؟؟ لقد خاطبت الانسان على أنه ( كل ) شامل فاراحته من فصام العقائد التي تشطر السريرة شطرين ثم تعيا بالجميع بين الشطرين على وفاق - كما يقول الاستاذ العقاد رحمه الله وينبغي ألا نغفل هنا عن أثر التبعية الفردية وانكار وجود خطيئة موروثه في هذا الشمول النفسي والقضاء على الفصام السابق .

ان العقيدة الشاملة لا يتجلى شأنها العظيم في شيء كما يتجلى واضحاً قوياً في عمل الفرد في نشر العقيدة الاسلامية ( فقد أسلم عشرات الملايين في الصحارى الافريقية وفي الارخبيل الاندونيسي على يدى تاجر فرد أو صاحب طريقة متفرد في خلوته لا يعتصم بسلطان هيكل ولا بحراسم كهانة وتصنع هنا قدرة الفرد الواحد ما لم تصنعه جموع التبشير ولا صطوة الفتح والغلبة يروى ذلك ان هذا الشمول ليس من البعد والعمق بحيث يحتاج ادراكه الى دراسة وتمحيص بل يدركه الناظر القريب في أحوال المسلم في معيشته وعبادته ويكفي أن يرى المسلم في أية بقعة من الأرض مستقلاً بعبادته عن الهيكل

والصنم والا يقرنه والوثن ليعلم الناظر اليه أنه وحدة كاملة في دينه وليعلم من ثم كل مايرغبه في ذلك الدين وهو يرى الدين كله حكرا للكاهن ووقفنا على المعبد وعالة على الشعائر والمراسم .

فان أضفنا الى ذلك ان العقيدة الاسلامية توصف بالشمول لأنها تشمل الأمم الانسانية جميعا كما تشمل النفس الانسانية بجملتها من عقل وروح وضمير - لان الاسلام ليس دين أمة واحدة ولا دين طبقة واحدة وليس هو للسادة المسلطين دون الضعفاء المسخرين ولا هو للضعفاء دون السادة ولكنه رسالة بني الانسان من كل جنس وقبيل وقفنا على سبب آخر من أسباب غلبة هذه العقيدة أو بعبارة أدق اتضح لنا جانب آخر من جوانب هذا الشمول الذي ساعد على الغلبة والانتشار وأخيرا فان هذه العقيدة الشاملة ( هي التي افردت الاسلام بميزية لم تعهد في دين آخر من الاديان الكتابية فان تاريخ التحول الى هذه الاديان لم يسجل لنا قط تحولا اليها من دين كتابي آخر ان كان المتحولون الى المسيحية أو الى اليهودية قبلها في أول نشأتها اما وثنية على الفطرة لا تدين بكتاب ولم تعرف قبل ذلك عقيدة التوحيد أو الاله الخالق المحيط بكل شيء ولم يحدث قط في أمة من الأمم ذات الحضارات العريقة انها تركت عقيدتها لتتحول الى دين كتابي غير الاسلام انما تفرد الاسلام بهذه المزية دون سائر العقائد الكتابية فتحولت اليه الشعوب فيما بين النهرين وفي أرض الهلال الخصيب وفي مصر وفارس وهي أمة عريقة في الحضارة كانت قبل التحول الى الاسلام تؤمن بكتابها القديم وتحول اليه اناس من أهل الاندلس وصقلية كما تحول اليه اناس من أهل النوبة الذين غيروا على المسيحية أكثر من مائتي سنة ورغبتهم ( جميعها فيه : ذلك الشمول الذي يجمع النفس والضمير ويعم بني الانسان على تعداد الاقوام والاطان ويحقق المقصد الاكبر من العقيدة الدينية فيما امتازت به من عقائد الاخلاق وآداب الاجتماع ) .

## \* الأسباب الأخرى لانتشار الاسلام :

وينبغي ألا نهمل بعد ذلك الاسباب الأخرى الخارجية والداخلية التي ساعدت على انتشار الاسلام في العالم وبخاصة في افريقيا وآسيا - المجال الطبيعي القريب من مركز الدعوة الاسلامية - كالمساواة العملية الرائعة وفقدان روح السيطرة والاستعمار وحماسة المؤمن الجدد في التبشيرية والدعوة اليه . . . . . الخ هذه الأسباب ولكنها في الواقع لا تعدو بأن تكون نهاية المطاف أثرا من آثار العقيدة الشاملة التي تحدثنا عنها آنفا . والأمر الذي يمكن اضافته الى ما قدمناه هو الحديث عن ( وسائل ) وصول هذه الدعوة الى الناس وهنا تعمل ( القدوة الحسنة ) عملها في الاقناع وأفضل ما تكون هذه القدوة حين تترجم للعقيدة السابقة بدقة واخلاص فعل كثير من الدعاة والتجار ورجال الطرق الصوفية . ويمكن القول - على سبيل المثال - ان التجانية نجحوا في نشر الدعوة الاسلامية منذ مستهل القرن التاسع عشر في بعض أجزاء آسيا وفي السودان . وفي افريقيا الفرنسية ( سابقا ) وبين البدو والمقيمين في أقصى جنوبي المغرب الأقصى . . . وان السنوسية التي أنشأها الفقيه الجزائري سيدي محمد ابن علي السنوسي في سنة ١٨٣٧ متأثرا بالدعوة الوهابية كانت من أقوى الفرق الصوفية أثرا في افريقيا خاصة كما كان لهم أثر بارز في آسيا أيضا كان مركز السنوسية واحة جغبوب في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس وفي هذه القرية كان يتعلم كل عام - في نظام دقيق دينسي وعسكري - مئات من الدعاة ثم يرسلون الى كافة أجزاء افريقيا الشمالية وفي أرجاء السودان والحبشة وسنغامبيا والصومال كافة وفي بلاد العرب والعراق - وفي ارخبيل الملايو في آسيا .

## \* الزحف الاستعماري على العالم الاسلامي :

لا حاجة بنا الى الحديث عن ضعف الدولة العثمانية وعن طمع

الدول الأوروبية مجتمعة في ميراثها وهي على قيد الحياة وعن الغسز و  
الاستعماري للوطن العربي منذ القرن التاسع عشر .  
ولما كانت الدولة العثمانية ممثلة الخلافة الاسلامية والحكم الاسلامي  
منذ أن تولى العثمانيون قيادة العالم الاسلامي فان انقراض الدول الأوروبية  
على ( أملاك الرجل المريض ) وانتزاعها بالقوة يحمل في طياته معنى  
محاولة القضاء على الاسلام والانتصاف من المسلمين وان لم يكن في وسعنا  
أن نسلسل الاحداث التي عصفت بالعالم الاسلامي منذ الحروب الصليبية  
الى أن تولى العثمانيون قيادة العالم الاسلامي - لأنها معلومة من  
مواضعها في كتب التاريخ - وان نتحدث عن الدور المجيد الذي قام به  
العثمانيون في عهد دولتهم الأولى والذي ردوا فيه الكرة على أوروبا حتى  
طرقوا أبواب ( فيينا ) حاضرة البلاد الأوروبية في ذلك الحين - مرتين -  
فان مما تجدر الاشارة اليه والحديث عنه هو اعطاء تفسير علمي لذلك الغزو  
الاستعماري الحديث للعالم الاسلامي على ضوء هذه الاحداث وذلك قبل  
أن نتحدث عن ألوان هذا الاستعمار في كل من افريقيا وآسيا والذي يفسر  
هذا الغزو أمران : الأمر الأول : انه حلقة من حلقات الصراع بين الحضارة  
الاسلامية والحضارة الرومانية وقد كانت الحروب الصليبية الأولى التي  
ابتدأت في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي - حلقة  
أخرى من حلقات هذا الصراع الذي كان في هاتين المرتين صراعا عسكريا  
شاملا وبعيد المدى ولقد فشلت الحروب الصليبية في القضاء على الاسلام  
وأهله أو في تحويل المغول الى المسيحية دفعة واحدة - حتى تبقي  
الأماكن المقدسة في قبضة المسيحية على أقل تقدير - ولكن آثارها المباشرة  
استمرت في عهد السياحات البحرية والسعي عهد استكشاف كولومب - كما  
يوكد المؤرخون .  
ويعود السبب في ذلك الى أن أوروبا جعلت همها بعد فشل هذه

الحروب في كسب المعركة القادمة عن طريق التبشير فوسعت من نطاق  
ارسالياتها التبشيرية منذ سقوط <sup>آخر</sup> معقل للصليبيين في بلاد الشام عام واحد  
وتسعين ومائتين وألف ميلادية حتى القرن الخامس عشر عهد الكشوف الذي  
ركبت فيه البرتغال مغامرة مخفية لا في سبيل حماية المشرىين وتأمين سبل  
العمل لهم وان كانت لهم ذلك بل في سبيل الوقوف <sup>وجه</sup> في الحد الاسلامي  
الجديد هذه المرة يقول ارنست باركر ( فلما اتصلت الارساليات بالحروب  
الصليبية اتسعت غايتها حتى تعدت الحدود التي كانت قد رسمت لها .  
وظهر أمثال رايمند لل الذي كان ينادى بوجوب استبدال الحملة الصليبية  
بعثة تبشيرية وان يقوم التبشير السلمي مقام الحملة الحربية وبهذا أصبح  
تحويل آسيا الى المسيحية فرضا قائما بنفسه .

ويقول ادوين بلس في كتابه ( ملخص تاريخ التبشير ) ان ريمون رول  
الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فسي  
مهمتها ) وخرجت ارساليات كثيرة على نحو ( شاهد على التركيز الوطيد )  
كما يقول باركر الا أن كل ذلك لم يجد نفعاً فقد منيت كل هذه المحاولات  
أخيراً بالفشل .

يقول باركر \* ( وهكذا نرى أن ذلك المشروع الذي كان يرمي الى  
تحويل المذول الى المسيحية دفعة واحدة فيوجد آسيا المسيحية واوروبا  
المسيحية حتى يطبقا على الاسلام فلا يصبح الا عقيدة كليلة الانتشار لا وجود  
لها الا في جزء من اسبانيا وركن من بحر الروم فقد تضائل واختفى ) وذلك  
بعد أن عم الاسلام وسط آسيا في منتصف القرن الرابع عشر وبعد أن اقلت  
أبواب الصين في وجه الأجانب سنة ١٣٧٠ ( فكانت الخاتمة ان قطع السبيل  
على المسيحية ومهدا الطريق للاسلام الذي بلغ شأواً بعيداً من الاتساع  
وترامت أطرافه بفضل الاتراك العثمانيين ) وامام هذه الهزيمة التي منيت  
بها حركة التبشير كان لا بد من توجيه ضربة سريعة الى العالم الاسلامي



قبل أن يستفحل الخطر والواقع ان ( بارقا آخر لمع في خيال الفسرب ) كما يقول باركر ( وكان هذا الأمل الجديد أمينا أن يشمل ثورة من أعنف ثورات التاريخ ذلك ان الطريق الارضي وقد قفل فلما اذا لا تسلك المسيحية سبيل البحر لما اذا لا تبحر الى الشرق فتهاجم الاسلام وتستولي على القسطنطينة من الخلف .

( تلك كانت فكرة كبار المسيحيين الذين كانوا يحملون الصليب فوق صدورهم والذين كانوا يعتقدون مخلصين انهم بعملهم هذا يجاهدون لاستعادة الأراضي المقدسة ) .

ثم يقول باركر ( واذا كان قد قدر لكولومب أن يجد جزائير الكاريبي في طريقه بدلا من كاشاي فاننا نستطيع أن نقول بحق : ان الاسبان الذين عاونوه قد كسبوا قارة جديدة للمسيحية ، وان الفرب استطاع أن يعيد رجحان الميزان لصالحه بسبيل لم تكن تخطر على بال ) .

ونضيف هنا ايضا لمقالة المؤرخ الدكتور باركر هذه ان فتح القسطنطينية والقضاء على الدولة الرومانية العتيقة - التي ناصبت المسلمين العداء منذ القرن السابع للميلاد - قد تم على أيدي الأتراك العثمانيون في أواسط القرن الخامس عشر ( سنة ١٤٥٣ ) وان سقوط غرناطة آخر معاقل الاسلام في اسبانيا قد تم سنة ١٤٩٢ في أواخر هذا القرن حين اجتمع على حربها الملك فرناند والملكة ايزابيلا حاكما أكبر الامارات الاسبانية ( ارجوان وقشتاله ) لقد كان رد الفعل الاوروبي الصليبي قويا وحاسما وفي الوقت الذي اعتذر فيه ملوك اوربا وامراؤها عن تقديم المعاونة لكولومب في مشروعه فان الملك فرناند والملكة ايزابيلا تقدمتا لمعاونة هذا المشروع الذي انتهى الى ما انتهى عليه . وغير ميزان القوى كما يقول باركر . ولا نتوسع هنا بمتابعة الحوادث التي انتهت بحروب الاستعمار والدور الذي أدته ارساليات التبشير ولكننا نقول : ان شعبي اسبانيا والبرتغال

الذين زهاهما الانتصار على المسلمين في الاندلس تابعوا رسالتهم السابقة في محاولة تطويق العالم الاسلامي والانتصاف من المسلمين الذين حكموا شبه جزيرة الاندلس ( اسبانيا والبرتغال ) مدة ثمانية قرون فخرج كبار الملاحين على الصورة التي أشار اليها باركر يبحثون عن مجاهيل الأرض - وهذا ما يفسر كونهم من الاسبان والبرتغال دون الشعوب الاوربية الاخرى ( بغية الوصول الى الهند والجزائر الشرقية ) او الى آسيا الاسلامية التي لم تنجح حركة المبشرين فيها في العقد بين الماضيين وحتى يتحول طريق التجارة مع بلاد الشرق عن المرور بمصر والشام ( وهذا ما فطن له العثمانيون الاشداء في هذا الوقت فتقدموا لحكم البلاد العربية من يد المماليك سنة ١٥١٧ ونجحوا بذلك في حماية هذه البلاد من الخطر البرتغالي ) حتى تضعف هذه البلاد فيعودون الى حكم الاراضي المقدسة من جديد ٤ .

واستطاعت البرتغال المرور حول افريقيا حتى وصلت الى سواحل الهند قبيل مغيب شمس القرن الخامس عشر . أما الدور الذي بدأت تؤديه ارساليات التبشير مع هذه السياحات البحرية فبحسبنا منه ما قاله ادوين بلس في كتابه ( ملخص تاريخ التبشير ) ، ( ان المبشرين الكاثوليك دخلوا ربوع افريقيا منذ أواخر القرن الخامس عشر ) أي في ( أثناء الاكتشافات البرتغالية ) كما يشرح ذلك بلس نفسه .

ثم بدأ المبشرون باداء دور الككتشف الذي يمهد الطريق للاستعمار حتى تمكن العالم الاوروبي خلال بضعة قرون من أن يحتل آسيا وافريقيا عسكريا وان يقدم للمبشرين بدوره الحماية اللازمة لاداء عملهم وبهين لهم المناخ الملائم لتنصير العالم الاسلامي يقول زوير : على ان أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن في ممالك الاسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر (

ولما اعدت الجمعيات التبشيرية عدتها منذ عام ١٩٠٠ وأرسلت مبشريها الى السودان ليقوموا ( بالتبشير العلني ) شجعتهم انكثرا البيروتستنت والكاثوليك منهم على حد سواء ( ولما لم تستطع هذه الجمعيات ان تخطو في التبشير خطى منتجة استعانت بالدول المستعمرة فاعانتها تلك الدول في أماكن متعددة كالبحرين واليمن وبعد أن استولى الانكليز على عدن اتخذ المبشرون عدن مركزا يرسلون منه بعثاتهم التبشيرية الى قلب بلاد العرب وكذلك فعل المبشرون في جزر الهند الشرقية في جاوه وسومطره وسواهما ) وقد اقترح المبشر وطسون ان تتعاون الحكومات الغربية في سبيل منع انتشار الاسلام بين القبائل الوثنية في افريقيا حتى تكون مهمة المبشرون لغقدان المنافسة ويقول غاردنر : ان نزول الارساليات المسيحية على ساحل غانا من نهر غامبيا الى نهر النيجر للتبشير بين الوثنيين من أهل افريقيا . ثم احتلال الدول الأوروبية لهذه المناطق ولما وراءها جعل الاسلام والنصرانية وجها لوجه في تلك الاصقاع كل دين يحاول أن يجذب اليه اولئك الوثنيين ثم يقول : ( ولم يكن في الأمر منافسة لو لم تقف الدول الأوروبية بجانب مبشريها ) وقال جيب : ان القسم الاكبر من المسلمين تحت حكم الدول النصرانية فيجب الاستفادة من هذه الحالة الراهنة وصرح رشر بأ أن واجب هذه الدول إذن أن تمهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا ، وقد اعتبر زويمر نفسه احتلال الجيش الفرنسي لمقاطعة ( وادي ) في افريقية سنة ١٩١٠ ، أهم حادث سياسي في هذا العصر لأن هذه الحادثة كما يقول ستقلال نفوذ المشايخ السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري والتجاري في بلاد الشام . ومهما كان الرأي في هذه الصلصة ( التنظيمية ) المتبادلة بين التبشير والاستعمار فان مما لا خلاف فيه ان الارساليات التبشيرية - التي حلت محل الحملات الصليبية كما رأيت

كانت طليعة الفزوا الاستعماري الجديد - وان حدث هـذـه  
الارساليات ان اشارت بأن يتقد مها الجيش أولا فان ذلك لم يحدث  
على التحقيق قبل القرن التاسع عشر بعد أن بلغ المبشرون في تمهيد  
الطريق اكثر ما يستطيعون وبعد أن بلغت الدولة العثمانية من الضعف  
ما يمكن معه اختراق سورها بطريق عسكري على أن بعض الباحثين والمورخين  
لا يرون في رغبة المبشرين السابقة في أن يتقد مهم الجيش أولا اكثر من أن  
هذا الأمر يسهل مهمتهم ويختصر لهم الطريق في سبيل تعاون الجميع  
على أداء رسالة الحروب الصليبية التي فشلت في أداؤها .

وخلاصة القول : في هذا الامر الاول الذي فسر الزحف الاستعماري  
على العالم الاسلامي - ان الكسب الهائل الذي حققه الغرب عن طريق  
الكشوف الجغرافية وما تبع ذلك من تحويل طرق التجارة عن البلاد الاسلامية  
والذهب الذي بدأ يتدفق على الغرب المسيحي من افريقيا والعالم  
الجديد والى جانب نظام الاقتصاد الاوروبي الربوي كل ذلك قد حقق ثورة  
صناعية لم يعرف العالم لها مثيلا من قبل ولا نتحدث هنا عن أثر الحروب  
الصليبية - واحتكاك الغرب بالشرق في هذه الثورة ولا عن اثر المنهـج  
التجريبي الذي اخذته اوربا عن العالم الاسلامي لان ذلك معروف فسي  
مواضعه ولكننا نقول : ان العالم الاسلامي الذي لم يقم بمثل هذه الثورة  
الصناعية الجبارة لاسباب معروفة في مواطنها أيضا قد وقع في فترة هبوط  
علمي وتخلف على أثر الفارات التي تعاورته من كل مكان وان كان قد خرج  
منتصرا في الحروب الصليبية الطاحنة فان الاثر السيء الذي خرج به من  
هذه الحروب يتمثل في فرط الثقة بالنفس واحتقار كل ما يأتي من العالم  
الاوروبي المسيحي بعد أن وقف على اخلاق فرسان الحروب الصليبية  
وعلم كذبهم وادعائهم في حمل رسالة المسيح عليه السلام حتى بات  
يمتدق أن خيرا لا يأتي من قبل هؤلاء وانهم ليسوا أهلا للمدينة أو

الحضارة . ولو أن هذا الاعتقاد او الشعور خامر الامة الاسلامية في وقت النمو والصعود أو في وقت آخر لماضرها بل ربما نفعها وزاد من قوتها ولكن صادف على النقيض ( فترة ذات وجهين من قبل الشرق ومن قبل الغرب ) فكانت في الشرق فترة هبوط في النهضة العلمية وكانت في الغرب فترة صعود في النهضة العلمية الحديثة قامت بعدها اوربا مقام القيادة على النهضة وتخلف الشرق الاسلامي زمانا عن اللحاق بها وبقي على هذا التخلف مستعصيا بثقة لا تغني عنه شيئا وبمورثات من عصور الانحطاط القريبة كانت بالقياس الى النهضة الاوربية الشاملة التي جاءت على أعقاب الحروب الصليبية ورد فعل لها كافية لان ترد اوربا المسيحية الضربة للعالم الاسلامي وتستأنف حملة استعمارية صليبية جديدة . يقول الدكتور باركسر ( ونستطيع القول : ان الحروب الصليبية قد بدأها السلاجقة المعسكرون في نيقية في آسيا وختمها الاترك العثمانيون المعسكرون في أوروبا نفسها على نهر الدانوب ) ثم يتابع القول ( ولكننا نستطيع اذا اتخذنا وجهة أخرى بأن الأمور عادت الى ماكانت عليه قبل خمسمائة عام : اى حماية فرنسية على الاماكن المقدسة التي يحكمها المسلمون والواقع ان معنى الحرب الصليبية في الاستعمار الحديث قد صرح به قادة جيوش هذا الاستعمار في أكثر من مناسبة كما أكده كتاب اوربا وشعراؤها وبحسبنا في نهاية المطاف مقاله الكاتبان كوليت وفرانسيس جانسون عن الجزائر البعيدة عن الاماكن المقدسة وحيث بلغ العنف الاستعماري أوجه الشدید ( لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الاسلام ومن أجل ذلك ادركوا جميعا ان عليهم أن يعتصموا بالاسلام حتى يقدروا على التحرر. ثم يقرران ( والواقع ان الاحتلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية ) . راجع كتاب التبشير والاستعمار للدكتور عمر فروخ .

الأمر الثاني : ولكن معنى الحرب الصليبية هذا في الغزو الاستعماري للعالم الاسلامي يفسر في الواقع دافع هذا الغزو والحامل عليه كما رأينا وهو ان لم ينفك عن هذا الغزو في الحقيقة فان ذلك لا يعني ان أهدافا أخرى لا يمكن أن تضاف اليه في الطريق وانما تجاوزنا الأهداف المتناثرة التي تذكر عادة في هذا الطريق مثل الطمع في خيرات الشرق وأخذ العبيد للعمل في مناجم الذهب والحديد والاحلام التي كانت تداعب خيال القادمين الى بلاد الف ليلة وليلة الخ فان الأمر الأساسي الذي يفسر حركة الاستعمار الحديث بالاضافة الى الروح الصليبية هو ان الاستعمار قد أضحى في الحقيقة رسالة الرجل الاوروبي الذي بات يعتقد معها انه يقدم للشعوب المستعمرة بفتح الميم ( ملح المدنية وروحها على حد تعبير للمستشرق ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية المسيو ( هانتو ) وأنه يجعلها تتدرج في سبيل الحضارة كما قال وليم بال كراف الذي كان يقول انه متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب أمكن معها للعزل أن يتدرج في تلك السبيل وأمام هذه الرسالة التي بدأ يوءدها الرجل الأوروبي تكون مناح استعماري كامل ينشأ فيه الطفل منذ ولادته وكان هذا المنح يعم الجوا الحضاري من شرقه الى غربه بحيث لا نستغرب أن يقوم كاتب كبير قصاص في أواخر القرن الماضي مثل جوليفير ليصف ملحمة لاتمت بشي ء الى بطولة قومه الفرنسيين ولا للجين الفرنسي بل هي ملحمة تصف فتح روسيا للبلاد الاسلامية في بخارى هذه القصة ان دلت على شي ء ، فانما تدل على سيادة المنح الاستعماري العام من شرق البلاد وغربها بحيث كان الضمير الاوروبي المتحضر في الاشتراك في هذه الملحمة التي نسميها الفتوحات الاستعمارية . ولهذا فقد شاركت أغلب الدول الاوروبية في هذه الملحمة وهرعت للسيطرة واقتسام الفنائم وحتى الافراد الذين تربوا في ظل هذا المنح هرعوا هم أيضا بقدراتهم الخاصة للاشتراك

في هذه الفتوح والاكتشافات فقد غادر استانلي في أواخر القرن الماضي  
وطنه ونزل افريقيا لان بقعة من بقاعها كما شاهد ها على الخريطة لم تلون  
بلون تابع للدول الاستعمارية وأراد أن يلوونها بحيث يقدمها هدية  
لاوروبا كمستعمرة . . .

وبعد أن تم له وضع اليد أهدى الكونغو فعلا لملك بلجيكا يقول  
بلس وتوافد المبشرون على افريقيا الوسطى عقب بعثة لفن ستون واستانلي  
سنة ١٨٢٨ فقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين الالمانى واسكتلندى  
وانكليزى ومورافى وقد بدأ التنافس بين الدول الأوروبية واضحا بعد وقت قصير  
من تحرك البرتغال السابق، أبحر البرتغاليون من شبه جزيرة الاندلس  
كما قدمنا فدار ( دياز ) حول رأس الرجاء الصالح واكتشف كولمبوس القارة  
الامريكية بعد شهر من سقوط غرناطة بأيدي النصارى الاسبان عام ١٤٩٢  
وفي سنة ١٤٩٢ سار فاسكودى غاما مترسما خطى سلفه دياز فاستدار  
حول رأس الرجاء الصالح ووصل الى موزامبيق ومالندى حيث الحكم العربى  
الاسلامى ثم شق طريقه الى قاليقوت ثم عاد الى لشبونا سالكا نفس الطريق  
الذى بدأه من قبل. وبعد أن أنشأ البرتغاليون المستعمرات على ساحل  
افريقيا الشرقى تمكنوا ما بين سنة ١٥٠٢ - الى ١٥٠٦ من انهاء السيطرة  
الاسلامية على شرقى افريقيا والمحيط الهندى واقامة ثلاث مستعمرات أو  
محطات استعمارية رئيسية في كلوا موزمبيق وسوفالا الى جانب مستعمرات  
أخرى في زنجبار وبنما أخذت الدول الأوروبية الاخرى تسلك نفس طريقهم  
فقد استدارت سفينة فرنسية حول رأس الرجاء الصالح في سنة ١٥٢٩ وبدأت  
أول سفن الانكليز تدخل هذه الميدان في سنة ١٥٨٠ وهو العالم  
الذى بدأه فيه البرتغال تفقد مستعمراتها بعد ضمها الى اسبانيا واقتفت  
سفن هولندا أثرها في سنة ١٥٩٥ وفي عام ١٥٩١ تمكن لانكستر  
الانجليزى أن يصل الى الهند سالكا نفس الطريق البرتغالى القديم

وتأسست شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٠ .  
وأخذت كل من إنجلترا وهولندا ترسلان السفن التجارية المسلحة  
لتنتشر من البحر الأحمر الى جزائر الفلبين وقصدت هذه الجهود الى القضاء  
على البرتغاليين . . . وأصبح الانجليز والهولنديين والفرنسيين في صراع  
مستمر من أجل السيادة قرنا من الزمن فقد تفوق الهولنديون أول الأمر  
على الانجليز فأنشأوا مستعمرة في جزيرة مورتييس سنة ١٦٤٤ واستولوا  
على جزيرة سيلان من البرتغاليين سنة ١٦٥٨ وفي نهاية هذا القرن انتشرت المستعمرات  
الهولندية في الخليج العربي وعلى سواحل الهند وفي ارجيل الملايو  
ولكنهم انسحبوا من هذه البلاد في منتصف القرن الثامن عشر وركبوا  
نشاطهم في جزر الهند الشرقية مع احتفاظها بسيلان ومستعمرة الرأس .  
وقد أخذ الانجليز والفرنسيون يدعون وراثة املاك البرتغاليين  
فالفرنسيون تأسست شركتهم في جزر الهند الشرقية سنة ١٦٤٤ واحتلوا  
جزيرة بريون في المحيط الهندي وأخذوا يستعمرون جزيرة مدغشقر وخلفوا  
الهولنديون في جزيرة موريس التي اطلقوا عليها اسم ابل ندي فرانسيس  
سنة ١٧١٢ وبلغ النشاط الفرنسي مداه في منتصف القرن الثامن عشر  
ففي سنة ١٧٥٥ أصبح لهم مثل في البصرة ١٧٧٧ وفي ذلك الوقت  
بدأ الانجليز يهتمون اهتماما خاصا بالهند فاحتلوا سوارات ومدارس  
وكلكتا وانتزعوا تجارة الخليج العربي من الهولنديين ثم خرجوا في صراعهم  
مع الفرنسيين ظافرين فانتصروا في حرب السبع سنوات واصبحت بريطانيا القوة  
الاروبية الاولى في الشرق الاقصى وخاصة بعد انتصارها على نابليون .  
وبقيت السيادة الاسلامية في جميع ارجاء افريقيا الشمالية الشرقية  
حتى احتل الامبراطور منليك هرر سنة ١٨٨٦ ثم استولت ايطاليا على  
لمنطقة الشمالية التي تعرف الآن باسم ارتيريا ثم قسمت البلاد التي تقطنها



القبائل الصومالية الاخرى بمقتضى المعاهدة التي ابرمت بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا واثيوبيا ١٩١٤ وذهبت البلاد الصومالية كلها موزعا بين هذه الدول وقد دخلت فرنسا في سباق جديد مع بريطانيا التي مضت قدما في مد رقعة أملاكها في افريقيا من الجنوب الى الشمال غدت هي رقعة أملاكها من الغرب الى الشرق وفي مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ اتفقت الدول - التي اوضحت تدعى بالدول العظمى على تقسيم افريقيا وفي سنة ١٨٨٨ عقدت بريطانيا وفرنسا مؤتمرا لتحديد مناطق النفوذ الخاصة بكل منهما .

ولم يبرز نجم القرن العشرين حتى كان الاوروبيون اقتسموا افريقيا كلها تقريبا باستثناء جمهورية ليبيريا الصغيرة ونالت حصة الاسد كل من بريطانيا وفرنسا التي حصلت كل منهما على مناطق بلغت مساحتها ثلاثة ملايين ميل مربع هذا الجشع الاستعماري العجيب سيبقى محتاجا الى تفسير ان لم يفهم على انه رسالة قامت لادائها اوروبا في عصر النهضة وعلى أن / ميرر / عاشت عليه حضارتها الجديدة ؟ وهذا لا ينبغي كما قد منا د وافعه الصليبية ورد الفعل تجاه العالم الاسلامي لان ارساليات التبشير لم تنقطع لحظة واحدة خلال هذه الحركة الاستعمارية الرهيبة وانا تجاوزنا التسلسل المفروض في هذا البحث لتشير الى أن هذه الارساليات قد احتكرت العلم والتعليم في جميع تلك الجيوب الاستعمارية تقريبا فان هذا ما يفسر كونه الزعامة الادارية والسياسة الاقتصادية الآن في ايدى النخبة المسيحية <sup>الجديدة</sup> حتى في مناطق التي تقطنها اغلبية مسلمة لان التعليم الآن هو المسلم الحقيقي للوصول الى الزعامة .

دور المؤسسات التي تركها الاستعمار

في العالم الاسلامي

تقسم هذه المؤسسات الى نوعين :

١ - مؤسسات السياسة والحكم .

٢ - مؤسسات التربية والتعليم والقضاء وانظمة الدول بوجه عام .

كانت الديمقراطية وما يتبعها على سبيل المثال وما يتبعها من احزاب وانتخابات وبرلمان أبرز ما ورثه العالم الاسلامي من مؤسسات الحكم الاوروبي حتى صارت هذه المؤسسات في بعض الاحيان العنوان الاهم والشغل الشاغل للزعماء والروءساء وربما المفكرين كذلك .

ويبدو أن الاستعمار الاوروبي قد اطمئن على مستقبل العالم الاسلامي لانشغاله بهذين النوعين من المؤسسات أو بعبارة أدق لأنه شغله بقضية الحكم والانتخابات عن قضية اصلاح المؤسسات التربوية والتعليمية والقضائية ونحو ذلك ولانه من وجه آخر ترك من ورائه قادة وافرادا كثيرين تربوا على هذه المناهج وأخذوا على عاتقهم عبء حمايتها والدفاع عنها وكانت مقاليد الحكم والتوجيه بأيديهم كما هو معلوم لكن الذي حدث في العالم الاسلامي ان كاد المسلمون من هلال مؤسسات الحكم والديموقراطية التي ورثوها عن العالم الاوروبي أن يعيدوا للعالم الاسلامي وجهه الجديد وفي هذا ما فيه من خطر على استمرار الاستعمار الثقافي والاقتصادي من ناحية وما فيه بعد ذلك من تهديد للحضارة الأوروبية بأسرها وهي حضارة كما يقول أهلها دخلت في آخر أطوار انتهاها الحضارات وسقوطها ( مرحلة الغريزة ) .

ولاشك ان المفكرين الفلاسفة وعلماء الاجتماع الاوربيين يدركون أن الاسلام والمسلمين هم الوريثون لهذه الحضارة ولهذا كان تدخل العالم الاوروبي مرة أخرى حادا وحاسما عندما ازدهرت روح الحرية في العالم الاسلامي واقيم على أشلائها أنظمة حكم فردية أبقت على ذلك المنسوخ الاستعماري ثقافيا واقتصاديا وأبعدت المسلمين عن مقاعد التوجيه والارشاد ويبدو أن سقوط بعض الصروح الاستعمارية على أيدي الزعيم الجديد

كان شرطا من شروط اعطائه هذا يأمر به وينهى حتى يأخذ منه الناس يدل على ذلك بقاء تجربة الديمقراطية في بعض الشعوب التي رحلت عنها الاستعمار في الوقت الذي رحل فيه عن بعض الشعوب الاسلامية كما هي الحال في الهند والباكستان .

### موقع العالم الاسلامي ومزايا هذا الموقع

الخصائص العامة لجغرافية العالم الاسلامي :

#### نقصد بالعالم الاسلامي :

مجموعة الدول التي يزيد عدد المسلمين فيها ( ٥٠ ) بالمائة من مجموع السكان ويبلغ عدد هذه الدول ثلاثا واربعين دولة . ويبلغ مجموع مساحتها نحو من ثلاثين مليون كيلو متر مربع اى مايزيد قليلا عن ثلاث وعشرين بالمائة من مساحة اليابسة وعدد سكانها يزيد عن ستمائة مليون والواقع ان العالم الاسلامي اوسع من مجموع الدول الاسلامية المذكورة آنفا لان هناك اقاليم اسلامية في دول غير اسلامية مثل كشمير في الهند والتركستان في الصين وروسيا كذلك وجزيرتا زنجبار وتنزانيا وغيرهما ونكتفي هنا باعطاء فكرة عن الخصائص العامة للموقع والموارد الطبيعية وعن السكان في مجموع الدول الاسلامية السابقة .

#### أولا :- الموقع :

يقع العالم الاسلامي في اسيا وافريقيا وبشكل كتلتين من الدول المتجاورة والكتلة الاولى وهي الاله والاكبر تمتد من المحيط الاطلسي غربا حتى باكستان الغربية شرقا ومن الصومال جنوبا حتى كرخستان شمالا وتبلغ مساحة هذه الدول اكثر من سبعة وعشرين مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي اربعمائة مليون نسمة ، يزيد عدد سكانها المسلمون نحو ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة وفي اراضي هذه الكتلة تقع مفااتيح البحر

الاسود ( مضيق البوسفور والدرنيل ) ومفاتيح البحر الابيض المتوسط  
( مضيق جبل طارق وقناة السويس ) ومفاتيح البحر الاحمر ( قناة السويس  
ومضيق باب المندب ) ومفاتيح للخليج العربي ( مضيق هرمز ) وعبر دول  
هذه الكتلة تمر أهم الطرق البرية والبحرية والجوية بين الشرق والغرب  
ما ساعد على نمو التجارة فيها منذ القديم .

وتتألف الكتلة الثانية من اندونيسيا واتحاد ماليزيا وتبلغ مساحتها  
اكثر من مليوني كم ٢ وعدد سكانها حسب الاحصاءات القديمة ( ٢١٨ )  
مليون نسمة منهم ( ١١٥ ) مليون من المسلمين وتقع ضمن هذه الكتلة  
الممرات البحرية في المحيط الهندي والهادي وبين قارتي آسيا واوراليا  
ما ساعد كذلك منذ القديم على تقديم التجارة فيها .

ويتمتع هذا الموقع الجغرافي للدول الاسلامية بمكانة استراتيجية  
هامة وخاصة أثناء الحروب العالمية ، كما أن الاتصال الجغرافي بين  
الدول الاسلامية يزيد المقدرة الدفاعية والهجومية لاي دولة اسلامية لانه  
يمكن امدادها بالمحاربين والعتاد الحربي برا وجوا من الدول الاسلامية  
الاخرى غير أنه يوجد في العالم الاسلامي الآن مناطق ضعف عسكري  
هي الباكستان الشرقية ( بنغلادش ) مساحتها ( ١٤٠ ) ألف كيلومتر مربع  
وعدد سكانها مليون نسمة . وبشكيريا وتاتاريا ومساحتها ( ٢٠٠ ) ألف  
كم ٢ وعدد سكانها اكثر من مليوني نسمة ويحيط بكل منهما دول غير  
اسلامية وقد رسمت الهند عام ١٩٧١ ؛ موضوع سلخ باكستان الشرقية وساعدت  
فيه وقد امكنها التدخل بسبب الاتصال الجغرافي البري معها بينما فشلت  
باكستان في انقاذ اقليمها الشرقي بسبب عدم اتصاله به وبعده عنها .

### ثانيا : الموارد الطبيعية :

يمكن تصنيف الموارد الطبيعية الى قسمين :

— الموارد الحرارية والمائية والترابية والنباتية التي لا بد منها لتطوير

## الزراعة .

بـ الموارد الأولية والوقود اللازم لتطوير الصناعة . فالقسم الأول من الموارد موزع ومنتشر في مختلف المناطق بينما يوجد القسم الثاني في مناطق محدودة .

٦ـ الموارد الحرارية والمائية والترابية والنباتية ومستقبل تطوير

## الزراعة :

تبلغ مساحتها الأراضي العامة في الدول الإسلامية ( ٢٩٥٠ ) مليون هكتار تتوقف قيمتها الزراعية على وحدة العوامل للحياة النباتية ( حرارة - مياه - التربة - النبات ) وعلى طرق استغلالها من جهة أخرى، الحرارة وأثرها :

١ـ ان العالم الاسلامي غني جدا من الطاقة الحرارية الشمسية المتجددة فالتوازن الحراري للاشعاع الشمسي في أغلب مناطق العالم الاسلامي يبلغ من ( ٦٠ - ١٢٠ ) حرة في السم ٢ فسي السنة لذلك يحتاج الروسي والكندي على سبيل المثال الى وجبات غذائية كثيرة مركزة من اللحم والزبدة والسكر لكي يفي نفسه من برد الشتاء بينما يكفي المصري والسوداني نصف الكمية التي يحتاجها الروسي والكندي وينوعية أخرى كذلك ( الخضار والفواكه البان زيوت نباتية ) .

يضاف الى ذلك ان الحرارة فوق الصفر البيولوجي اللازم لبدء النمو النباتي وهو وسطي الحرارة اليومي + ٦ والحرارة اللازمة لبدء النمو النباتي النشط وهي وسط الحرارة اليومي فوق + ١٠ تتوافران في أغلب مناطق العالم الاسلامي على أغلب مدار السنة . أما في شمال الاتحاد السوفييتي وكندا فتتوفر هذه الدرجات من الحرارة لمدة ( ١٠٠ ) = ١٨٠ يوما فقط وذلك يمكن جنسي

محصولين أو ثلاثة محاصيل في أغلب مناطق العالم الاسلامي  
بينما لا يجني اكثر من محصول واحد في شمال الاتحاد السوفييتي  
وكندا .

٢- وكذلك الاتربة في العالم الاسلامي غنية بالاملاح المعدنيـــــة  
ويستثنى من ذلك التربة المدارية الحمراء في جنوبها .

٣- اما انهطال ( الامطار والثلوج والبرد ) فقليل بشكل عام وموزع  
بشكل متفاوت وتنعكس قلة الانهطال هذه على الحياة النباتية  
والا مكانيات الزراعية فالصحارى تشكل ( ٦٣ ٪ ) من مساحة العالم  
الاسلامي والمراعي ( ١٧ ٪ ) من المساحة وكلا المنطقتين غيرصالحة  
لقيام الزراعة البعلية كما تشغل الغابات ( ٩ ٪ ) منه أيضا .

أما المنطقة الصالحة للزراعة البعلية المستقرة فستبلغ ( ١١ ٪ )  
من المساحة العامة يزرع منها الخمسان والثلاثة أخماس الباقية  
مناطق بور ومناطق لم تستصلح بعد . يستنتج مما تقدم ان مشكلة  
تطوير الزراعة الاولى هي تأمين المياه للرى بغية الاستفادة  
من الموارد الحرارية الهائلة والمواد الغذائية في التربة .  
وفي العالم الاسلامي كما نعلم عدد كبير من الانهار على كسل  
حال لا يستفاد منها على نحو ملائم بالاضافة الى أن الدراسات  
الجيولوجية المعاصرة ما تزال تكشف عن كميات هائلة من المياه  
الجوفية الموزعة حتى في الصحارى .

٤- يمتد العالم الاسلامي من اندونيسيا الواقعة على خط العرض  
( ١٠ ) جنوب خط الاستواء حتى بكشكيريا وتاتاريا على خط  
( ٥٦ ) عرض شمال خط الاستواء ومعنى ذلك أن العالم الاسلامي  
يمتد على بيئات زراعية متنوعة جدا لذلك فان تحسين البيذور  
الزراعية والسلالات الحيوانية وتوزيعها في الاقاليم المناسبة

لها سيزيد من مودود الهكتار وتخفيض كلفة الانتاج وسيؤدي  
هذا من أهم الامور الى التكامل هذه الاقاليم اقتصاديا من جهة  
أخرى فمثلا ان الفواكه والخضار اكثر حلاوة وعطرية وأذ طعما  
وأبكر نضجا بحدّة ( ٤ - ٦ ) أشهر في المناطق الجنوبية في العالم  
الاسلامي منها في المناطق الشمالية مما يمكن من تصديرها من  
المناطق الاولى الى المناطق الثانية .

٥- تعرف الزراعة في العالم الاسلامي كل أشكال الاستثمار الزراعي  
من الزراعة البدائية التي تعتمد على الجهد البشري والحيواني  
الى أحدث المزارع العلمية الرأسمالية والتعاونية ومزارع الدولة  
المجهزة بأحدث الآلات وان لم يكن من الضروري أن يكون مورد  
هذه الاراضي المزروعة بأحدث الآلات أفضل من تلك المزروعة  
بالادوات القديمة .

٦- في ضوء هذه المعطيات ومعطيات أخرى كثيرة نستنتج مايلي :  
أ- يوجد نقص في انتاج الحبوب والسكر يستعاض عنه بانتاج  
الفواكه والخضار وهذا يعني ان العالم الاسلامي يحقق  
الاستقلال الذي تفتقر اليه أكثر الدول الصناعية كانكلترا  
وايطاليا وبولندا ولكن توزيع الثروة الزراعية في البلاد الاسلامية  
متفاوت وماينقص قطر منها يمكن أن يعوضه قطر آخر .

ب- تسهم الدول الاسلامية في تجارة المواد الزراعية بتصدير  
القطن والتبغ والمطاط والخضار والثمار المبكرة والمتأخرة  
النضج وغيرها وهذا سليم تماما لان الهكتار المزروع بهذه  
الغلال يعطي دخلا أعلى بعدة مرات من زراعته بالقمح .  
وقد انتجت الدول الاسلامية ( ٥٥ ) % من المطاط و ( ٤٠ ) %  
من القطن في العالم .

ج - المواد الخام والوقود وامكانية تطوير الصناعة :

تتألف القشرة الأرضية في العالم الاسلامي من الصخور النارية الحاوية على معادن ( فلزية ) كالحديد والنحاس والكروم وغيرها ومن الصخور الحاوية على المعادن اللافلزية كالبتروول وغيرها . وقد بلغ انتاج فلز الحديد في الدول الاسلامية الواقعة خارج الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٦٨ مقدار ( ١٩ ) مليون طن بينما انتجت الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي ( ١٦ ) مليون طن من فلز الحديد .

ومن الوقود انتجت الدول الاسلامية الواقعة خارج الاتحاد السوفييتي ٧ ملايين من الفحم في حين انتجت الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي ( ٦٩ ) مليون طن من الفحم ويعوض البتروول هذا النقص من انتاج الفحم بل ان مكانة البتروول الآن في الصناعة وفيما يشترك منه من الصناعات التحويلية أفضل بكثير من الفحم وغيره ، كما يعوض النقص أيضا في انتاج الدول الغنية اذا انتجت الدول الاسلامية خارج الاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٨ مقداره ( ٥١ % ) من انتاج الدول الرأسمالية المتقدمة صناعيا ودول العالم الثالث .

كما أنتجت الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي مقدار ( ٥٨ % ) من مجموع البتروول في الاتحاد السوفييتي ، ونستخلص بما تقدم أن أهم الوقود والمواد الأولية في العالم الاسلامي هي البتروول والفوسفات .

فالبتروول لا بد منه لتحريك وسائل الانتاج والقتال الحديثة وينتج العالم الاسلامي منه أكثر من نصف انتاجه في العالم أجمع



أما الاحتياطي فأكثر من ثلثين والفوسفات مادة أولية  
سواء لصنع المخصبات الزراعية أو القنابل المحرقة وينتج العالم  
الاسلامي اكثر من ثلث انتاج العالم .  
كما يوجد اليورانيوم في النيجر ومصر وغيرها من الدول  
الاسلامية .

٧ - الخصائص الكمية والنوعية للسكان وعوامل الوحدة واللقاء بين  
شعوب العالم الاسلامي :

يبلغ عدد المسلمين في العالم حوالي ( ٦٠٠ ) مليون نسمة  
عام ١٩٦٨ وهم يتزايدون بسرعة ويبلغ تزايدهم السنوي ( ٣٪ )  
تقريبا ولهذا التزايد نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية  
هامة .

من المتوقع ان يتضاعف عدد المسلمين خلال الخمس وعشرين  
سنة القادمة .

\* ويتوزع المسلمون في العالم على الشكل التالي :

- ١ - دول اسلامية ( اكثرية سكانها مسلمون ) وعدد ها ( ثلاثة واربعون )  
دولة ويعيش فيها مايقارب من ( ٦٠٠ ) مليون منهم حوالي  
( ٥٠٠ ) مليون من المسلمين .
- ٢ - دول تشكل فيها الاقليات الاسلامية نسبة كبيرة تتراوح من :  
( ١٠ - ٤٥ ٪ ) من عدد السكان وعدد ها ( ١٨ ) دولة وعدد  
المسلمين ( ٧٥ ) مليون .
- ٣ - دول تشكل فيها الاقليات الاسلامية نسبة ضئيلة تتراوح من ( ١ )  
الى ( ١٠ ) بالمائة من عدد السكان وعدد ها سبعة عشر دولة .
- ٤ - دول نسبة المسلمين فيها أقل من واحد في المئة وهي دول العالم  
الجديد ( أمريكا الشمالية والجنوبية ) استرالية واغلب الدول في

أوروبا الغربية ويعيش فيها حوالي مليون مسلم .

\* الخصائص النوعية للسكان :

ويعني بها الانسجام الفكري والاجتماعي والكفاءة الانتاجية :  
١- يتكون المسلمون من مختلف الأجناس والشعوب ولا حاجة بنا  
هنا الى التذكير بأن الاسلام دين الفطرة وانه يتصف بالعموم  
والشمول والعالمية وان المساواة تشكل روح الحضارة الاسلامية  
في الوقت الذي شكلت فيه الروح الامبراطورية المبرر الذي قامت  
عليه الحضارة الرومانية وفي الوقت الذي شكلت فيه الروح الاستعمارية  
روح الحضارة الاوروبية المعاصرة .

ونتيجة لذلك فان المسلمين اليوم يتألفون من الشعوب التالية :

٢- شعوب الملايو في اندونيسيا واتحاد ماليزيا ( ١٨ ٪ ) من  
المسلمين والشعوب الباكستانية ( ١٧ ٪ ) والترك ( ١٢ ٪ )  
والمغول ( ١٢ ٪ ) والشعوب السود ( ١٣ ٪ ) والهنود  
( ١٠ ٪ ) والبرانيين والافغان ( ٧ ٪ ) والصينيين  
( ٤ ٪ ) والمبرر ( ٢ ٪ ) وغيرها .

ان التزواج بين الشعوب الاسلامية خلال ( ١٤ ) قرنا

أدى الى تقاربها من الناحية العرقية .

٢- الانسجام الفكري والروحي للمسلمين :

يمكن تلخيص هذا الامر بالنظرة المشتركة الخاصة للمسلمين  
للكون فبينما تهتم المجتمعات العلمانية ( الرأسمالية والاشتراكية )  
بالكيان المادي للانسان وتهمل الجانب الروحي يجمع الاسلام  
بين هذين الجانبين وبينما يقدر المجتمع الرأسمالي الملكية  
الفردية ويلغسي المجتمع الاشتراكي الملكية الفردية لوسائل الانتاج  
يوفق الاسلام بين الحفاظ على كيان الفرد وحقوق المجتمع . وسوف

نعود للحدِيث عن عوامل الوحدة واللقاء في فقرة خاصة ونكتفي هنا بالاشارة الى أن اختلاف المسلمين في فهمهم للمعقيدة الاسلامية التي تجمعهم وما تبع ذلك من شيع وفرق واحزاب لم يوءثر على وحدة المسلمين كما لم يوءثر في مجرى حياتهم اليومية لأن الخلاف اما أن يكون فرعا أو أن يحمل طابع السياسة ولم يختلف أحد على المبادئ الأساسية في الاسلام .

### الكفاءة الانتاجية للسكان :

—٣—

ان ثروة الامم لا تعتمد على الموارد الطبيعية بقدر ما تعتمد على الكفاءة الانتاجية للسكان التي تتوقف على العوامل التالية :

أ- مستوى تنظيم القوى المنتجة الاجتماعية فحتى الآن لا توجد منظمة علمية واقتصادية وسياسية وعسكرية على مستوى العالم الاسلامي على غرار الجامعة العربية يضاف الى ذلك أن المعاهد الاسلامية العليا - الازهر في مصر - القرويين في فاس - عاجزة عن القيادة الفكرية للعالم الاسلامي ناهيك عن المعاهد العليا في الدول المتقدمة صناعيا .

ب- نسبة السكان العاملين لمجموع السكان وهي ضئيلة في العالم الاسلامي .

بسبب النسبة العالمية للاحداث - الاطفال - دون سن العمل ولان العالم الاسلامي لا يزال بتخطيط في موضوع خروج المرأة للعمل أو ايجاد العمل الذي يلائمها ، كما أنه فقد مبدأ التخصص بين المرأة والرجل وهذا التخصص الذي يتيح انتاجا اكبر بالنسبة للرجل وانسانا أفضل بالنسبة للمجتمع - ٢- مستوى الخبرة الفنية - وهو ضعيف أيضا في العالم الاسلامي فحتى الآن لا تقيم فيه معاهد بحث علمي ومؤسسات انتاجية متخصصة تخصصا دقيقا .

كما في الدول الصناعية وانا أردنا الدقة في هذا العامل  
لقلنا ان العالم الاسلامي ما تزال تحكمه ظروف خاصة حتى تبقى  
فيه هذه الخبرة ضعيفة والدليل على ذلك ما نراه الآن من هجرة  
الأدمغة والعقول من هذا العالم الى العالم الصناعي . وخلاصة  
القول ان العالم الاسلامي يتمتع بموقع استراتيجي هام وفر يسد  
وله موارد حرارية ومائية وترابية ونباتية ضخمة لتطوير زراعته  
ومعادن ووقود وفيرة لتطوير صناعته وقوة بشرية هائلة متزايدة بسرعة  
وهي عالية المثل ولكن ينقصها حسن الاستفادة والتوجيه والبدء  
الحقيقي من الذات حتى يبدأ المسلمون بدورة حضارية جديدة  
بعد افلاس النظم الرأسمالية والاشتراكية وبدلا من أن يكسبوا  
منتجات الحضارة عندهم كما هي الحال في أكثر بقاع العالم  
الاسلامي حتى الآن .

#### \* عوامل الوحدة واللقاء بين الشعوب الاسلامية :

من الملاحظ في عالم اليوم اتجاه اكثر دول العالم نحو التجمع  
كما نرى الآن الاحلاف بين الدول الشرقية وفي السوق الأوروبية المشتركة  
ودول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية واللقاء العربي الافريقي  
وغير ذلك بل ان بعض دول اليوم وشعوبه تنسى عداوتها التقليدية  
مع بعض الشعوب الاخرى في سبيل هذا التكتل والتجمع كما هي الحال بين  
أعضاء السوق الأوروبية المشتركة ، كما أن الروابط بين بعض الشعوب  
والتكتلات الأخرى ربما كانت أو هي من بيت العنكبوت في مثل هذا العالم  
تبرز كتلة الشعوب الاسلامية كوحدة وتميزه على الرغم من المحاولات  
الدائبة لتمزيق شعوب هذا العالم ضمن التكتلات الأخرى السابقة .

ان الشعوب الاسلامية اليوم بينها من أسباب الوحدة واللقاء  
بمقايير العصب اكثر مما تملكه أية مجموعة أخرى فالعالم الاسلامي بالاضافة

الى مزايا الموقع التي تحدثنا عنها سابقا ان لهذا العالم تاريخه المتميز وحضارته وخصائصه كما أن له دوره الذي يقوم به في المستقبل القريب وعلى الرغم من كثرة هذه العوامل التي توحد بين الشعوب الاسلامية الا أنها في التحليل الأخير تعود بنا الى العقيدة الاسلامية وما تتحلى به من مزايا وخصائص تحقيقا لقول الله تعالى ( انما المؤمنون اخوة ) وقوله عز من قائل ( لو انفقنا ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبهم ولهذا فان من الخطأ عند الاسلام قسيما ( واحد منها ) لهذه العوامل في الوقت الذي تعود جميع العوامل اليه في نهاية المطاف .

ولعل هذا بطبيعة الحال أن يذكرنا بما هيية العوامل التي تلتقي عليها الشعوب اليوم وهي عوامل فكرية وشعورية واعتقادية في المقام الأول كما نلاحظ ذلك في الدول التي تضم أكثر من قومية واحدة والاقتصاد هنا وسيلة لا غاية بدليل اجتماع الشعوب التي تنطلق من ثقافة واحدة ومن تصور اعتقادي واحد وقد نقف عند اللغة والتاريخ في الاعتبار الأول بوصفهما أهم عنصرين من عناصر تشكيل القومية عند القوميين لنثبت أن العالم الاسلامي يشكل وحدة متكاملة حتى على هذا الصعيد ولكن نقدم قبل ذلك الملاحظات التالية :

١- يخلط الكثيرون بين مفهوم القومية ومفهوم الامة وقد ظن بعض القوميين ان الواحدة تحل محل الثانية وهذا خطأ ربما كان مصدره ان بعض القوميات في بعض مراحل التاريخ كانت تنزع الى تشكيل أمة خاصة بها ، كما حصل في أوروبا في عصر القوميات ولكن الواقع يثبت امكانية قيام أمة تضم بين جنباتها أكثر من قومية واحدة وليست القومية في نظر الاسلام بأكثر من انتماء وانتساب لا يجوز له أن يصبح غاية في نفسه فضلا عن أن يتخذ عقيدة

أودينا يحل محل الدين قال الله تعالى : يا أيها الناس  
أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا  
ان أكرمكم عند الله أتقاكم .

فقد أشارت الآية الكريمة الى وحدة الاصل الانساني ثم  
أشارت بعد ذلك الى مبدأ تقسيم الناس الى شعوب وقبائل  
ثم حددت الغاية من هذا الجعل والتقسيم وانه التعارف  
والتعاون لتكمل البشرية بعضها بعضا تأكيدا لوحدة الأصل  
السابق لا ليفخر بعضهم بذلك على بعض أو يتخذ من هذا  
الانتماء عقيدة أودينا .

٢- ان عوامل تشكيل الأمم ليس ثابتا كما يظن بعض الباحثين عند ما  
يريدون الخلافة والنقاش في هذا الموضوع ان الاتجاه الذي أشرنا  
اليه في صدر هذا البحث - اتجاه الشعوب نحو التجمع - يدل  
على هذا التبدل والتطور في عوامل نشأة الأمم ومن الخطأ البين  
الظن بأن شعوب العالم اليوم تلتقي على مثل العوامل التسي  
التقت عليها الشعوب في عصر التخلف وفي عصور الجاهلية .

٣- واذا أردنا أن نضع يدنا على القانون الذي يحكم تطور هذه  
العوامل لاحظنا أنه يشير الى التخفف من الروابط المادية  
كالارض والجنس والاقتصاد والمال صعدا نحو الروابط الفكرية  
والمعنوية وهذا هو الذي دعا الاسلام اليه وهو في نفس الوقت  
يمثل مرحلة هائلة في تقدم الانسان .

\* اللغة :

تعتبر اللغة العربية من أهم عوامل الوحدة واللقاء بين الشعوب  
الاسلامية وان كانت بعض هذه الشعوب لا تتحدث بها في البيت والسوق  
والمجتمع وقبل الحديث عن هذه النقطة نورد ما يلي :

١- ان التوسع الذي اصابته اللغة العربية بوجه عام كان بفضل الاسلام وتحت راية القرآن وما أظن أن واحدا من القوميين يناقض هذه النقطة وان كان بعضهم حاول فك الارتباط بين اللغة العربية والاسلام نظرا لوجود عرب غير مسلمين/غير عرب وسوف يتضح لنا بعد قليل ان هذا التقسيم لا قيمة له عندما نحلل ماهي اللغة وكيف تكون عاملا من عوامل الوحدة واللقاء .

٢- وكان الأصل عندنا كذلك أن يتم التعريب حيث تم انتشار الاسلام في العالم عملا بقاعدتين اثنتين :

الأولى : عالمية الدعوة الاسلامية .

الثانية : ما وصف الله به عز وجل كتابه الكريم من أنه بلسان عربي مبين بل ان القارىء لترجمة القرآن الكريم لا يعتبر قارئا للقرآن ولا يبنى عليه كذلك الثواب الذي وعد به النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قارىء القرآن أن يكون له بكل حرف عشر حسنات .

ولتخلف حرية التعريب عن حركة انتشار الاسلام في العالم أسباب خارجة عن طبيعة القرآن الكريم نفسه ومن أشهر هذه الأسباب سببان :

الأول : ان انتشار الاسلام في اغلب بقاع العالم الاسلامي اليوم انما تم عن طريق بعض الدعاة والمرشدين من التجار وغيرهم الذين عبروا الى افريقيا وجنوب الصحراء أوبحروا بسفنهم الشراعية تجاه ارض بيل الملايو .

وكان في وسع التاجر الفرد أن ينقل المئات أو الألاف الى الاسلام بالدعوة والقُدوة والاسوة الحسنة ولكنه لم يكن في وسعه ان يعرب لسانهم بحال ممن الأحوال .

الثاني : ان كثيرا من الشعوب والسلالات التي دخلت فسي  
الاسلام نهضت بالدعوة اليه والفتح له قبل أن يشرب  
لسانها هي كما هي الحال عند المفل والأترك العثمانيين  
وغيرهم .

٣- ومن المؤكد على كل حال ان اللغة العربية معروفة عند جميع  
المسلمين بدون استثناء العربي و غير العربي منهم ويكفي أن  
نذكر التعريب الذي أصاب العلم الديني في جميع أنحاء العالم  
الاسلامي وعلى نحو عال ودقيق كما هي الحال عليه الآن في ندوة  
العلماء بالهند والمدارس الشرعية في الاقليم الشمالي من نيجريا  
والمدارس والجامعات الاسلامية في اندونيسيا وغيرها كثير .  
بالاضافة الى تعلم جميع المسلمين قدرا من العربية  
يصحح به صلاته وعبادته على الاقل .

٤- وقد اسهمت اللغة العربية نتيجة احتكاك المسلمين من غير العرب  
باخوانهم العرب المسلمين هذا الاحتكاك التاريخي الطويل  
أسهمت اما في تطعيم لغاتهم أو لهجاتهم المحلية أو في صنع  
بعض اللغات الجديدة بين طهرانيهم كلغة الاردية التي تبلغ  
نسبة الكلمات العربية فيها اكثر من ( ٣٠ ٪ ) والتي يتحدثونها  
الشعب الباكستاني .

ولدينا الآن مجموعة من اللغات الشرقية يطلق عليها بعض  
الباحثين اللغات الاسلامية وهي عندنا لغات الشعوب الاسلامية  
وتكتب بالحرف العربي كالفارسية والتركية .

٥- وأخيرا وبالاضافة الى كل ما قدمناه فان الشعوب الاسلامية غير  
العربية لا تختلف عنا في مضمون اللغة العربية وان اختلفت معنا  
في أداة التعبير عنها ذلك ان اللفظة ليست عبارة عن مجموعة



من الاصوات او الحروف لكن كل لغة من لغات العالم عبارة عن  
فكر ووعاء لحضارة معينة ويقول بعض علماء التربية - فيليب فنكس.  
ان اللغة هي عبارة عن مجموعة أو نظام من الرموز يحكي تاريخ  
حضارة وأمة معينة ويقول أيضا ( ان دراسة اللغة الاجنبية ليست فائدة لها  
محصورة في تعلم لسان جديد لكن فائدتها تكمن في الاطلاع على ثقافة أمة  
أخرى وحضارتها واللغة العربية بهذا الاعتبار هي وعاء الاسلام  
والحضارة الاسلامية والتاريخ الاسلامي .

والشعوب الاسلامية غير العربية - كما قلنا - توءمن معنا بهذا  
المضمون الثقافي والحضاري وان اختلفت معنا في اداة التعبير عنه ولهذا  
فان لغاتها الخاصة بها تكاد تكون محصورة في السوق والحاجات اليومية  
ولم ترتفع الى مستوى لغة الثقافة والحضارة .

وان أثرها السيء على اللقاء بين الشعوب الاسلامية ليس بأبعد  
من أثر اللهجات العامية التي نتحدث بها في الشعوب العربية نفسها  
والخلاصة : فان اللغة العربية بهذا الاعتبار تعتبر من أهم عوامل الوحدة  
واللقاء بين الشعوب الاسلامية على حد سواء وينبغي على هذا بطبيعة  
الحال ان الطرح القومي لموضوع اللغة ليس في وسعه أن يمزق وحدة  
العالم الاسلامي ووحدة شعوبه .

### \* التاريخ :

يعتبر التاريخ في الطرح القومي كذلك العنصر الثاني . لأهم فسي  
وحدة الشعوب ولكننا لا نجد فيه كذلك إلا عاملا هاما موحدا لا مفرقا  
بين الشعوب الاسلامية جميعا لان تحليل عنصر التاريخ سينتهي بنا كما  
رأينا في عنصر اللغة السابق الى الوحدة الفكرية والثقافية والشعورية  
التي تمثلها العقيدة الاسلامية .

ان التاريخ يؤدى دوره في ربط الشعوب وفي تشكيل ذاكرة مشتركة

بينها وفي التوحيد بين آمالهم وذكرياتهم الماضية ونظرتهم الى المستقبل لا بمجرد كونه مجموعة من الحوادث مرت على الآباء والاجداد الذين كانوا في بقعة واحدة ولا يكفي مجرد مرور هذه الحوادث لتشكيل تلك الذاكرة أو توليد هذا الشعور بل لا بد أن تكون نظرتنا الى هذه الحوادث جميعا واحدة حتى يوءى دوره المأمول أو المرتقب وعلى العكس من ذلك يمكن اعتبار التاريخ من أكبر وأهم عوامل الشقاق والنزاع اذا اختلفت النظرة اليه والى احداثه وبالتالي اختلف الشعور الذى يجده كل واحد مننا تجاه هذه الأحداث . ولا خلاف على أن هذه النظرة المشتركة انما هي وليدة الفكر الواحد والعقيدة الواحدة . ولهذا كانت نظرة جميع المسلمين الى تاريخهم نظرة واحدة فهي تشترك اليوم في تقسيم التاريخ الى مرحلتين تاريخ ما قبل الاسلام - وتسمية تاريخ الجاهلية وهو عندها تاريخ ميست لا يذكي ولا يغير بالانتماء الى جانب دون آخر بل لا يحمل على الاعتذار والافتخار بشيء من احداثه ووقائعهم ورجاله وشخصياته الا على معنى مكارم الاخلاق التي أقرها الاسلام فيما بعد ودعا اليها .

والتاريخ فيما بعد الاسلام - التاريخ الاسلامي وينظر الجميع اليه نظرة اعتزاز وافتخار ويشعرون جميعا بروح الارتباط به بما يشعر بأداء دوره بينهم من ناحية وبتميز الخارجين عنه من ناحية أخرى بمعنى أننا لو طرحنا الموضوع على الصعيد القومي لوجدنا ان المسلمين من غير العرب قد يكونون أقرب الى الارتباط بالتاريخ من بعض العرب أنفسهم حيث يظهر التاريخ كما أشرنا سابقا كعامل مفرق لا عامل موحد عندنا ينظر بعض العرب أنفسهم على سبيل المثال لحادثة هامة على أنها فتوح وتحرير وبراها عرب آخرون انها احتلال واستعمار.

ان التاريخ الذى يذكي في نفوس أبناء العالم الاسلامي جميعا روح

الارتباط بالعرب فيفرح المسلم الهندي باند حار أجداد وأمام جحافل العرب المسلمين لان هذا الانتصار هي له الفرصة الدخول في الاسلام والهداية اليه .

ان هذا المسلم ارتبط معنا بالتاريخ بعد ارتباطه باللفة وهذا يؤكد في نهاية المطاف ان جميع العوامل التي يمكن الحديث عنها بالاضافة الى اللفة والتاريخ كالاقتصاد والآمال المشتركة والثقافة والعادات الاجتماعية انما تعود في نهاية المطاف كما عاد عنصر اللفة والتاريخ الى العقيدة والنظرة المشتركة الى الكون وهذا هو مصداق قوله عز وجل ( انما المؤمنون أخوة ) وقوله تعالى : ( لو انفقنا ما في الارض جميعا ما ألقت <sup>بين</sup> قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ) وقوله ( صلى الله عليه وسلم ) المسلم أخو المسلم وقوله صلى الله عليه وسلم ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) .

وأخيرا ونظرا للتاريخ من هذا الاثر فقد حاولوا تشويهه وحاولوا احيا تاريخ ما قبل الاسلام من أجل تعزيق المسلمين وتفريقهم لان المنطقة التي انتشر فيها الاسلام في العالم شهدت أغرق حضارات التاريخ . وان اعتزاز كل شعب اسلامي بحضارة من هذه الحضارات يعتبر من وجهة نظر الاعداء من أسباب الخلاف والخصام وتقليل دور هذا التاريخ الحي .

\* \* \*

## أفغانستان

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع في وسط آسيا وتجاور الاتحاد السوفياتي ( تركستان الغربية ) في الشمال والصين الشعبية ( تركستان الشرقية ) في أقصى الشمال الغربي وباكستان في الشرق والجنوب وإيران في الغرب وتبلغ مساحتها ( ٦٥٠ ر ٢٠٠ ) كم٢ .

وهي محاطة باليابسة وليس لها منفذ على البحر وتمتاز بكثرة جبالها العالية وهضابها الواسعة ففي الشمال الشرقي من البلاد تتربع هضبة باميرا على هضاب العالم وأشد ها وعورة وتسمى سقف الدنيا وتقع بين أفغانستان وباكستان والصين .

وتتفرع منها جبال هندكوش العالمية التي تمتد نحو الغرب والجنوب على شكل مروحة وجبال سليمان التي تشكل في معظم أجزائها الحد الطبيعي بين أفغانستان وباكستان ، أما قلب أفغانستان فتشغله هضاب فسيحة هي أهم مناطق الرعي في البلاد .

وفي الشمال يمر نهر جيحون (اموداريا ) الذي يفصل بين

أفغانستان والاتحاد السوفييتي .

### \* المدن الرئيسية :

وفي أفغانستان مدن كثيرة أهمها كابل ( العاصمة ) وهرات وقندهار

ومزار شريف وغزنة .

### \* التاريخ :

عرفت بلاد الأفغان في القديم باسم أريانا وفي صدر الإسلام باسم خراسان ثم أخذت في العصر الحديث اسم أفغانستان وقد وصلها الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ( ٢٣ ) هجرى وحل الإسلام فيها محل البوذية والزرذشتية وقد أصبحت بلاد الأفغان

بعد ذلك مركزا اسلاميا انطلق منه المد الاسلامي فمن هناك قام الفاتح المسلم محمد بن القاسم بفتح بلاد السند ووصل الى حدود الملتان ومن تلك الجبال انحدر السلطان محمود الغزنوي ينشر لواء الاسلام عبر نهر السند الى بلاد البنجاب والملتان والسند وغوجارت ومن كابل انطلق محمد بابر يتوغل في بلاد الهند ويؤسس الدولة المغولية التي انتشر الاسلام في عهدا حتى بلغ اقاصي الهند .

وفي القرن الماضي اخذت روسيا تزحف وتتوسع في اواسط آسيا فاحتلت بخارى وسمرقند واتجهت نحو بلاد افغان فقاتلها الافغانيون ولن يمكنوها من احتلال بلادهم كما حاول الانكليز الذين كانوا قد تمكنوا من الهند أن يمدوا نفوذهم الى افغانستان فاشتبكوا مع القبائل الافغانية التي تتاخم الهند الانكليزية بمعارك ضارية ومتواصلة وأخيرا تمكن الانكليز من احتلال مناطق من بلادهم ولكنهم ذاقوا المر من بأس الافغانيين فكانوا لا يستقرون في كابل وقندرهار حتى يثور عليهم المسلمون وينكروا بهم ولا يزال الانكليز يذكرون تلك الثورة التي افنى فيها الثوار وهم دون خمسة آلاف الجيس الانكليزي الذي كان حوالي ( ١٧ ) ألفا بمعداته الحديثة . وقد تعلم الانكليز من تلك الموقعة ان الافغانيين غير جيرانهم الهندوس وان الافغاني لا يقبل ان يسطر الأجنبي أرضه . وكان من أفضل امراء الافغان في تاريخها الحديث الأمير عبدالرحمن الذي وسع حدود بلاده من جهة الشرق واستولى على ولاية كافرستان التي هدى الله اهلها على يده الى الاسلام فسامها نورستان ثم جاء من بعده ابنه الأكبر حبيب الله ثم ابن حبيب الله امان الله الذي اشعل الحرب ضد الانكليز فصالحوه على الاعتراف باستقلال الافغان في الامور الخارجية ، كما باشر بتنظيم المملكة وتدريب الجيش وأرسل عددا وافرا من الطلاب للتحصيل في اوروسيا ومن جملتهم اولاده واخواته الصغار ولكنه تطرف في الميل الى التفرج والافتداء بالاروبيين في كل شيء واعجبه مسلك مصطفى كمال في تركيا

وكثر كلامه في القضاء على العادات الاسلامية القديمة والتخلص من حجاب المرأة فانتفض عليه الشعب المسلم والجاه الى الفرار من بلاده ولكن البلاد وقعت في قبضة ابن السقاء وهو أحد قطاع الطرق المخربين وقد حكم البلاد عدة أشهر الى أن وصل سردار محمد نادر خان وكان قائد الجيوش الافغانية التي ابلت بلاء حسنا في حربها الانكليزية وقاد رجال القبائل ضد ابن السقاء وقتله فاجتمعت كلمة الافغانيين عليه ونودي به ملكا على افغانستان باسم محمد نادر شاه عام ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

ونهب محمد نادر شاه باعباء الملك الى ان اغتيل عام ( ١٩٣٣ )  
فتسلم زمام الأمور ابنه محمد ظاهر شاه .

#### \* الحياة الاقتصادية :

يعيش اكثر الشعب على الزراعة والرعي وتعتمد الزراعة المنتشرة في السهول والودية على الري وأهم المنتجات الزراعية القمح والشعير والرز والفواكه والقطن والسكر وأشهر ثروتها الحيوانية غنم الكركول ( استركان ) والحيوانات الثمينة وهو من أجود الانواع في العالم وتكثر الاحراج في أطراف الجبال والبلاد غنية بالمعادن ولكنها لم تستغل بعد بشكل جيد وأهمها الفحم الحجري والحديد والنحاس .

أما الصناعة فقد اشتهر الافغانيون منذ القديم بصناعة السجاد كجيرانهم الايرانيين كما تقدمت في السنوات الاخيرة صناعة النسيج - والاسمنت والسكر ولا تزال طرق المواصلات في افغانستان سيئة بسبب كثرة الجبال ووعورة الارض وقد اهتمت الدولة حديثا بشق الطرق وانشاء المطارات في عدد من البلدان ومنها المطار الدولي في كابل .

ووحدة النقد هي الافغاني وكل دولار يساوي ٢٠٥ افغانيا .

#### \* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان حسب تقديرات الدولة عام ١٩٦٣ - ١٩٠٠ ١٤٦٨

نسمة ( ٩٩ ٪ ) منهم مسلمون معظمهم من أهل السنة وفيهم قليل من الشيعة ويتبع أهل السنة هناك مذهب الامام أبي حنيفة . وأغلب السكان من أصل قوقازى من البختونية والتاجيك ويميل الافغانيون من الأصل البختوني الى سكنى الجبال والرعي وقيادة القوافل التجارية ويتكلمون اللغة البختونية ( البوشتو ) التي تعد اللغة الرسمية للبلاد وهم يشكلون ( ٦٠ ٪ ) من السكان وأهم قبائلهم الباتان التي تقطن جبال سليمان .

أما التاجيك فيميلون الى الزراعة ويستقرون في السهول الزراعية القريبة من الحدود الايرانية وهم زراع وصناع وتجار مهرة ويتكلمون اللغة الفارسية وهو ٤٠ ٪ يشكلون ( ٣٠ ٪ ) من السكان وهم من أصل ايراني ولكنهم من أهل السنة المعروفين بتشددهم في الدين وهناك عناصر أخرى من السكان من أصل تركي ومغولي ومنهم الهزارة الذين يتبعون المذهب الشيعي .

والافغانيون معروفون بتمسكهم بأداب الدين الاسلامي وحرصهم على أداء فرائضه وهم مشهورون بالكرم والشجاعة وحسب الاستقلال .

وقد حرص الافغانيون منذ القديم على نشر الثقافة الاسلامية ولا تزال المعاهد الدينية في بلاد افغان تضطلع بجانب كبير من مهمة التعليم كما أسست الحكومة حديثا الى جانبها المدارس الابتدائية والثانوية وجعلت تعليم الدين الاسلامي فيها اجباريا وأنشأت جامعة كابول .

ولكن التعليم لا يزال مع ذلك محدودا .

=====

## "الباكستان"

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تتألف الباكستان من وحدتين جغرافيتين تفصل بينهما في أقرب نقطة مسافة ( ١٧٠٠ ) كم وتبلغ مساحتها الكلية ( ٩٤٤٦٦٨ ) كم<sup>٢</sup> وتقع باكستان الغربية شمال غربي الهند وتتاخم في الشمال أفغانستان وفي الغرب ايران وتطل في الجنوب على بحر العرب. وتتباين طبيعة أراضيها فمن القمم الشاهقة المغطاة بالثلوج في الأجزاء العليا من جبال هيمالايا الى صحراء السند القاحلة .

أما باكستان الشرقية فتقع شمال شرقي الهند وتتاخم مقاطعة اسام الهندية وعلى طول الحد ود الشمالية والشرقية واقليمي بنغال الغربي وبنغال الهنديين من الغرب كما تجاور بورما في الجنوب الشرقي ، أما في الجنوب فتتفتح على خليج البنغال وتضم باكستان الشرقية القسم الاكبر في دلتا الغانج ، وهي سهول مفتوحة للمؤثرات البحرية القادمة من خليج البنغال .

### \* المدن الرئيسية :

في باكستان الغربية : اسلام اباد ( العاصمة وهي في طور الانشاء ) راولبندى ( العاصمة المؤقتة ) ، كراتشي ( اكبر مدن باكستان ) وميناءوها على بحر العرب ويزيد عدد سكانها ( ١٥ ) مليون حيدر اباد السند وفي باكستان الشرقية دكا ( عاصمة باكستان الشرقية ) شيتاغونغ ( وهي ميناء على خليج البنغال ) .

### \* التاريخ :

كانت بلاد الهند قبل بضع وعشرين سنة تضم جمهوريتي الهند وباكستان وقد عرف العرب بلاد الهند منذ أقدم العصور وتبادلوا



معها التجارة من طريق البحر وحين جاء الاسلام حمل التجار والدعاة المسلمون هذا الدين الى ارض الهند ولم يتدخل الفتح الاسلامي الا في اواخر القرن الاول حين اعتدى الهنود بأمر من ملكهم داهار على التجار المسلمين فتقدم الجيش الاسلامي بقيادة محمد بن القاسم وهزم داهار وفتح جزءا من بلاد السند ، كما استولى على الملتان في البنجاب وجعل لاهور مركزا للثقافة الاسلامية وانتشر الاسلام في عهده انتشارا كبيرا وامتد في حوضي السند والبنجاب .

وفي مطلع القرن السابع الهجري قامت سلطنة دلهي الاسلامية في قلب شبه القارة الهندية ثم أسس بابر امبراطورية المغول الاسلامية الهند عام ٩٦٢ هـ وانتشر الاسلام في عهدها حتى بلغ اقاصي الهند وكان من اعظم ملوكها شاه حيهان واورانجزيت وفي القرن الثاني عشر الهجري تسابن الانكليز والفرنسيون على حيازة مناطق واسعة من الهند في الوقت الذي كان فيه المرآتيون والسيخ يعملون على هدم الامبراطورية المغولية وقد استطاع الانكليز في القرن الماضي أن يتغلبوا على منافسيهم الفرنسيين وينفردوا بالسيادة في معظم اجزاء الهند وفي عام ٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م ، ثار المسلمون في الهند على شركة الهند الشرقية التي كانت تحكم البلاد فتدخلت الحكومة البريطانية بالهند وسيطرت على آخر سلاطين الدولة المغولية وحينئذ انقسمت الهند الى اقاليم على الانكليز في اختام الثورة التي تفرق الكلمة ان لم تنهز الولايات الهندية المستقلة لمساعدة الثوار .

وقد أخذ البريطانيون أثناء حكمهم يقصون المسلمين عن المراكز الادارية والمالية والعسكرية واستطاعوا بمحاباتهم الهندون واعتمادهم عليهم واثارتهم احتقادهم على المسلمين أن يقضوا على الممالك الاسلامية ويستقروا في الهند مدة طويلة وكانوا يحاربون الهنود بالهنود وقد حشدوا منهم جيشا كبيرا بلغ أيام الحرب العالمية الثانية مليوني جندي .

ثم تنبه الهنود وحاولوا التخلص من الاستعمار البريطاني فأسس بعض زعمائهم سنة ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م حزب المؤتمر الهندي الوطني الذي كان هدفه الأول حصول الهند على الحكم الذاتي . وتعاون المسلمون والهنود في هذا المؤتمر فاضطرت بريطانيا الى أن تجعل للهنود نصيباً في حكم بلادهم وكان من أبرز زعماء هذا المؤتمر غاندي ومحمد علي جناح .

### \* تقسيم البلاد وقيام باكستان :

ولكن الحقد الوثني الدفين في نفوس الهنود كيعضده الحقد الصليبي عند المحتلّين لم يترك مجالاً للتعاون بين المسلمين وجيرانهم الهنود وس الذين حاولوا تجاهل المسلمين والاعتداء على حقوقهم حتى بات التعايش معهم صعباً . وبعد أن كان المسلمون حكام الهند أصبحوا محكومين - للهند وسيين الذين أسرعوا الى تعلم اللغة الانكليزية واستلام الادارات تحت اشراف البريطانيين وزادت المنافسة بين السعور الاسلامي والقومية الهندية التي كانت تتمتع بحماية البريطانيين وتشجيعهم . وشعر المسلمون بضرورة الانفصال وآمنوا بأنه لا بد من قيام دولة للمسلمين تحميهم من أن يسيروا بحسب آرائهم واعتدائهم عليهم وهكذا ولدت فكرة باكستان وتمخض هذا السعور أول الأمر عن تأسيس ( الرابطة الاسلامية ) عام ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م وقد تعاونت الرابطة اول الامر مع حزب المؤتمر في حرب الانكليز ولكنها ادركت بعد ذلك ان اتجاه المؤتمر هو انشاء حكم هندي يتجاهل وجود المسلمين لان الهند وسهم الاغلبية فاعلنت الرابطة استقلالها وعملها لخدمة المسلمين والمطالبة بحقوقهم واقامة وطن لهم يمارسون فيه حياتهم الاسلامية وحين قامت الحرب العالمية الاولى اخذ المسلمون يناوئون - البريطانيين وقامت الثورات الداخلية وتحمل المسلمون أبشع أنواع الأذى من الانكليز الذين حملوا المسلمين تبعه العصيان المدني ومناصرة الدولة

العثمانية وامتلات السجون بالمسلمين في الوقت الذي كان الهند وسميون  
يوالون الانكليز ويفكرون باستئصال المسلمين من بلاد الهند .  
لذلك لم يعد من الممكن أن يرضى المسلمون الهنود بهذه الحال  
ولم يجدوا بدا من جمع شتاتهم والعمل لقيام دولة تحفظ عليهم دينهم  
وتحميهم من ظلم جيرانهم .

وكان من اعلام المفكرين العاملين لقيام الدولة الاسلامية شاعر  
الاسلام في الهند محمد اقبال وزعيم الحركة السياسية محمد علي جناح  
ويعد اقبال اول من فكر بانفصال الولايات التي تسكنها اغلبية مسـ  
المسلمين وقد اعلن ذلك عام ١٩٣٠ في اجتماع حزب الرابطة الاسلامية  
في اسلام اباد وكان اقبال رئيس المؤتمر في ذلك الاجتماع وقد توفي اقبال  
قبل ان تتحقق امنيته بولادة باكستان .

أما محمد علي فقد كان زعيما عمليا أصر على قيام دولة باكستان ،  
وأعلن ان المسلمين لن ينزعوا من اعناقهم نير الانكليز باغلال الهند وس  
وقد وقف في وجه نهرو الذي حاول ان يتجاهل وجود المسلمين حين  
صرح بأن في الهند حزبين هما الحكومة الانكليزية وحزب المؤتمر الهندي  
وكان حزب المؤتمر آنذاك مواليا للانكليز وكان المسلمون يسامون سوء  
العذاب في السجون والمعتقلات فأعلن محمد علي جناح عندئذ بصراحة  
قائلا بل ان هناك حزبا ثالثا هو الامة الاسلامية فلم يبق بعد ها لاي  
مسلم عذر في ان يبقى عضوا في المؤتمر الهندي او بعيدا عن الرابطة  
الاسلامية وفي عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م عقدت هذه الرابطة اجتماعا  
كسيرا حضره مائة الف مسلم اكدوا عزمهم على قيام الدولة الاسلامية  
وقرروا ان تتخذ الدولة المأمولة اسم باكستان ومعناه الارض الظاهرة .  
وحاول الهندوس الذين أرادوا أن يسيطروا على جميع الهند منسـ  
المسلمين من اقامة دولتهم ولكنهم رضخوا أخيرا أمام صمود المسلمين

وتصميمهم على اقامة كيان مستقل لهم . وبدأ غاندى يفاوض محمد علي جناح في موضوع تقسيم الهند وقامت الثورات والمذابح وجاءت انتخابات ١٩٤٦ م صارخة بفوز حزب الرابطة بمقاعد المسلمين فلم يعد لها مكان الحكومة البريطانية والهند وس تجاهل رغبة مائة مليون مسلم في أن يعيشوا أحرارا في دولة مستقلة فوافق البرلمان البريطاني في عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م على قيام حكومتين في الهند باسم ( الهند ) و ( باكستان ) ولكن أرض الهند لم تقسم بين الهند وس والمسلمين قسمة عادلة بل سيطر الهند وس ويدعمهم الحقد الصليبي البريطاني على كثير من بلاد المسلمين وكانت حكومة الهند ترسل الجيش ليستولي على المقاطعات المختلف عليها كما حدث في كشمير التي تبلغ نسبة المسلمين فيها اكثر من ٨٠ ٪ وكما حدث في حيدر اباد وكذلك استأثرت بالمواني الهامة مثل بمباى وكلكتا والمدن الكبيرة كدلهي وبمعظم الثروة الوطنية وأموال الدولة .

ولم يظفيء هذا كله الحقد الوثني بل قام الهند وسيون والسيخ بمذابح وحشية بين المسلمين وقتلوا مئات الالوف في دلهي وامرتسار وغيرها وفي عربات القطارات المكتظة بالمسلمين المهاجرين من أطراف الهند الى دار الهجرة ( باكستان ) وكان الجيش الهندي هو الساذي يشرف على هذه المذابح وهو الذي يطرد المسلمين الآمنين من بيوتهم في المناطق التي قررت حكومة الهند أن تكون تابعة لها . واستقبل المسلمون في باكستان تسعة ملايين من اخوانهم المهاجرين بروح اسلامية عالية مما اعاد الى الانهال ذكرى استقبال الانصار اخوانهم المهاجرين . وصبر المسلمون على هذه المحنة وسقوا غرستهم الغالية بالسدم الطاهر واستطاعوا رغم محنتهم القريبة وامكاناتهم المادية المحدودة ان يقيموا بايمانهم ولتهم الغتية ولم يكن لهذه الدولة دور للحكومة أو رصيد يذكر من المال أو مصانع كافية أو جيش منظم فتعطلت مرافق

الحياة واضطربت الادارات ولكن لم تثبت باكستان ان تغلبت على البصائب  
وينتد ولتها وصار لها جيش قوى واقتصاد ثابت . وقد تولى الزعيم محمد علي  
جناح منصب الحاكم العام في باكستان ( ١٣٦٦هـ - ١٣٦٧هـ ) الموافق  
ل ( ١٩٤٧م - ١٩٤٨م ) ثم خلفه بعد وفاته الخوجا ناظم الدين هـم  
غلام محمد ثم الجنرال اسكندر ميرزا الذي انتخب رئيسا مؤقتا فأعلن  
الاحكام العسكرية واقتال اعضاء الحكومتين المركزية والاقليمية وحل البرلمان  
واوقف العمل بالدستور وعين الجنرال محمد ايوب خان القائد العام  
للجيش رئيسا للادارة العسكرية وحيث ثار الجيش على اسكندر ميرزا  
تسلم ايوب خان زمام الامور عام ( ١٣٧٨ = ١٩٥٨م ) .  
ولما قامت الاضطرابات الاخيرة وسادت الفوضى ارجاء البلاد  
وعجز الرئيس ايوب خان عن اعادة الاستقرار اعتزل الحكم واستلم مهامه  
السيد يحيى خان الذي قام أخيرا بتنفيذ وعده بالعودة بالبلاد  
الى نظام الديمقراطية فقام باجراء انتخابات عامة في البلاد أسفرت عن  
فوز حزب عوامي برئاسة مجيب الرحمن باغلبية مطلقة في باكستان الشرقية  
وفي برلمان البلاد كذلك وعند فوز حزب الشعب بقيادة ذوالفقار علي بوتو  
أغلبية مقاعد باكستان الغربية ويخشى من بوادر الانفصال بين اقليمى  
البلاد لان في بعض البنود الستة التي خاض الشيخ مجيب الرحمن الانتخابات  
على أساسها ما يشير الى نوع من الاتحاد الفدرالى بين الاقليمين ولعل  
الدوائر الاستعمارية والامريكية بصفة خاصة تفدى مثل هذه النزعة التي  
وقعت في كفتها أحداث الاعصار الرهيب الذي اجتاح باكستان الشرقية  
مؤخرا ويخشى أن يضرب بهذه الانتخابات عرض الحائط ويبقى الجنرال  
يحيى خان يدير دفة البلاد اذ لم يحسن زعيم الحزبين الموافقة بين  
رغبات أهالي الاقليمين على الشكل الذى يحفظ للبلاد وحدتها الكاملة  
بوجه الجارة الهند .

## \* الحياة الاقتصادية :

باكستان من البلاد الزراعية ، وتعتمد الزراعة في كثير من مساحتها على مياه الانهار ، لذلك قامت فيها السدود الكثيرة ، ويعمل ثلاثة أرباع السكان بالزراعة ، وهي تنتج كميات كبيرة من الرز والقمح والحبوب ( القنب ) والقطن والشاي والبذور الزيتية . ويزرع أكثر الحبوب في باكستان الشرقية وهو من أفضل الانواع المعروفة في العالم وتنتج منه باكستان ( ٨٠ ٪ ) من محصوله العالمي .

وفي باكستان ثروة حيوانية جيدة تساعد مع صيد الاسماك الكثيرة في سد حاجة السكان الغذائية كما تعد الاحراج الكثيرة واردا لا يستهان به في اقتصاديات البلاد .

باكستان غنية بالمعادن ولكنها لم تستغل على نطاق كبير ، ففيها البترول والغاز الطبيعي والفحم والكروم .

أما الصناعة فهي تتقدم مستمرا وقد اتسعت صناعة الغزل والنسيج وصناعة السكر والاسمنت والحبوب والزجاج والورق والمحركات . كما انشئت مصانع للراديو والمصابيح الكهربائية والاسمدة الكيماوية وفي باكستان اليوم مصانع لصب الحديد والفولاذ وتركيب القطر الحديدية . وقد تطورت صناعة السفن الحديثة والموانئ الباكستانية - كرتشي وشيتاغونج . وعملت الدولة على تحسين طرق المواصلات التي كانت محدودة عند التقسيم وفيها اليوم شبكة جيدة من السكك الحديدية اما الملاحة الداخلية فتعد من الوسائل الرئيسية للمواصلات في باكستان الشرقية وكراتشي اكبر مركز للطيران في البلاد .

ووحدة النقد في باكستان هي الروبية وتساوي ٢١ ٪ من الدولار .

## السكان واللغة والتعليم :

بلغ عدد سكان باكستان حسب تقديرات الامم المتحدة لعام

١٩٦٢ ( ٩٦٥ ) مليون نسمة ( ٨٨٪ ) منهم مسلمون ، أما الباقون فأكثرهم من الهندوس .

ويتصف الشعب الباكستاني بالذكاء والقوة والجلد والزهد بالمظاهر المادية وهو معروف بتمسكه بالاسلام ورغبته في خدمة العلوم الاسلاميية ولا سيما الحديث . ويتكلم أهل باكستان الشرقية اللغة البنغالية وأهل باكستان الغربية اللغة الاوردية ولا تزال اللغة العربية مكانتها في نفوس الباكستانيين لانها لغة الاسلام وهي منتشرة ومعروفة عند طلبة العلم . وفي باكستان معاهد وجامعات اسلامية كثيرة تهتم باللغة العربية والعلوم الاسلاميية وقد تقدم التعليم بعد الاستقلال تقداً لمعوسا . وأصبح فيها عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية والكليات الجامعية ويدرس الدين الاسلامي في كافة المدارس والكليات بالاضافة الى تعليمه في المساجد والمؤسسات الدينية الخاصة .

#### \* الوضع الحاضرة :

باكستان جمهورية فتية ودينها الرسمي هو الاسلام . وقد لقيت منذ قيامها صعوبات كثيرة داخلية وخارجية كان من أهمها تقسيم البلاد وتعيين الحدود ولا تزال كشمير من أهم القضايا التي تشغل بال المسلمين فكشمير يربطها بباكستان روابط متينة ليس للهند منها فأرضها جزء طبيعي من باكستان الغربية ومن جبالها العالمية تتبع مجارى ونهر السند والاسلام دين غالبية السكان ولكن الهند ضمت القسم الاكبر من كشمير اليها بالقوة وحين ثار المسلمون في كشمير مطالبين بالانضمام الى اخوانهم المسلمين أرسلت حكومة الهند الى كشمير مائة الف من جنودها ودعت حكم المهراراجا الحاكم الهندوسي ، كما أرسلت باكستان جيشا لمساعدة أهل كشمير . فتدخلت هيئة الامم المتحدة وقررت وقف اطلاق النار واجبراء استفتاء حُر تحت اشرافها ولكن الهند لم تنفذ فعادت الحرب ثانية بين الدولتين ثم توقفت دون ان تحل المشكلة .

ومن المصاعب التي تقف في وجه تقدم باكستان انقسامها إلى وحدتين وصعوبة الاتصال بينهما مما سهل للاعداء الخارجيين استغلال هذا الأمر وإثارة المشكلات وفتح المعارضة المنحرفة للمطالبة بالانفصال وتجزئة باكستان إلى دولتين خطوة كبيرة إلى تدمير هذه الدولة التي جمعها الإسلام وباكستان محاطة بأعداء كثيرين فهي تجاور الهند الجارة اللدود التي لا تفتأ تعمل على ابتلاع باكستان وإذلال سكانها المسلمين . كما أنها تجاور الدول السوفياتية المتربصة بالإسلام والتسي لا تزال تحرك اتباعها لإثارة الفتن واستغلال الظروف القاسية التي تمر بها باكستان .

وعلاقة باكستان بالدول الإسلامية جيدة . وقد كانت علاقتها بأفغانستان أول الأمر سيئة بسبب النزاع على الحدود ثم عادت العلاقات الطيبة وهناك صلات تجارية وثقافية بين باكستان وكثير من الأقطار الإسلامية وفي باكستان اليوم حركة إسلامية قوية وتعد ( الجماعة الإسلامية ) التي يرأسها السيد ابوالأعلى المودودي من أقوى الجماعات العاملة في ميدان الدعوة الإسلامية ولما كان الإسلام هو المبرر الوحيد لوجود باكستان وعلى أساسه قامت هذه الدولة الفتية .

فإن الشعب المسلم بباكستان مصمم على أن يكون الإسلام نسيج حياته وهو يسعى وراء علماء العالمين ليحقق هذه الأمنية الخالية وإذا لم يسارع المسوءولون الخطي إلى تظليل أحكام الإسلام استفحل خطر التيارات المنحرفة التي تتجاوب مع مكائد الأعداء المتربصين وتنحرف بالأرض الطاهرة عن الخط السليم الذي رسمه لها الهداة المخلصون ( راجع مجلة الأسبوع العربي العدد / ٦٠٦ / تاريخ ١٨ كانون ثاني سنة / ١٩٧١ / ) .

=====



## " اندونيسيا "

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تعني اندونيسيا جزر الهند الشرقية وهي ارخبيل عظيم يقع جنوبي شرقي آسيا . ويتألف من ١٣٦٧٧ جزيرة منها ٦٠٤٤ جزيرة مأهولة . وأكبر هذه الجزر مساحة ( كاليمانتان ) ، ( وهي جزيرة بورنيو - باستثناء القسم التابع لماليزيا ثم سومطرة وايرايان الغربية وسولا ويسى وجاوة ومادورا . ولكن أهم هذه الجزر وأكثرها سكانا جزيرة جاوة وفيها العاصمة جاكرتا وتبلغ مساحة اندونيسيا / ١٩٠٠٠٠٠ / كم<sup>٢</sup> ترتفع في أوساط الجزر الكبرى سلاسل من الجبال مكسوة بغابات كثيفة وفي بعض الجبال براكيسن قسم منها مشتعل ، اما السفوح والسهول الساحلية فهي مناطق زراعية غنية .

### \* المدن الرئيسية :

أهم المدن الاندونوسية في جاوة : جاكرتا وهي العاصمة ويقدر عدد سكانها الآن بنحو ( ٤ ) ملايين نسمة وهي ميناء هام وفيها اكبر مركز للخطوط الحديدية والبرية في البلاد ثم سوارابايا وياندونغ وجوكجاكرتا . وفي سمطرة ميدان وبالبانغ وفي كاليمانتان : بنجرماسين .

### \* التاريخ :

تأثرت اندونيسيا في القديم بجاراتها فتفتشت فيها الهند وسية والبوندية وحين جاء الاسلام حمل التجار المسلمون من الهند والبسلان العربية مشعل الهداية الى هذه الجزر ولكن انتشار الاسلام بقي محدودا حتى مطلع القرن السادس الهجرى .

ان استطاع بعض الدعاة بوعظهم فشر الدين الاسلامي في بعض أرجاء سومطرة وحين اهتدى ملك سومطرة الى الاسلام في القرن السابع الهجرى قامت هذه الجزيرة اول مملكة اسلامية اهتمت بنشر الاسلام فسي تلك الربوع النائية ويروى لنا ابن بطوطة في رحلاته أخبارا ممتعة

عن هذه الدولة الاسلامية المزدهرة وما جاء القرن التاسع الهجري حتى  
عم الاسلام سكان جزر اندونيسيا وقامت فيها ممالك عديدة .  
وهكذا بزغ نور الاسلام في تلك الجزر الخضراء ووصل الى مالم تصل  
اليه جيوش الغاتحين وان دخول مائة مليون نسمة في الاسلام في تلك البلاد  
البعيدة على الرغم من الاستعمار الاوروبي الطويل وحرية العقيدة للمسلمين  
لدليل على عظمة الاسلام وسهولة اهتداء الفطر السليمة اليه .  
ولولم تحمله اليها كتاب الفتح التي كانت تزيج من طريقها الطفافة  
المتعنتين .

ولكن التجار البرتغاليين الذين وصلوا الى تلك الجزر في اوائل  
القرن العاشر الهجري وجدوا فيها حكومات ضعيفة وطمعوا في موقع هذه  
الجزر وثرواتها الطبيعية فبسطوا سلطانهم التجاري على بعض مرافئها .  
وجاء بعد ذلك التجار الاسبانيون ثم زاحمهم الهولنديون الذين  
أسسوا شركة الهند الشرقية ونجحوا سنة ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٥ م عقد معاهدة  
مع اندونيسيا وبدأوا استثمارهم للبلاد . ويتصفية أعمال الشركة التجارية  
اشرقت الحكومة الهولندية مباشرة على ادارة تلك الجزر . ولقد استمرت مقاومة  
الشعب لهذا الاستعمار البغيض طول مدة حكمه وبخاصة في شمال سومطرة  
التي تسقط نهائيا عام ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ ولكن الثورات العنيفة كانت  
تقع بوحشية وحين اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية احتل اليابانيون  
اندونيسيا واطلقوا سراح زعمائها المعتقلين فأعلن الزعماء الاندونيسيين  
استقلال البلاد وقيام الجمهورية اندونيسيا المستقلة وبسطوا نفوذهم على  
جاوة ومادورة وسومطرة ولكن الهولنديين الذين عادوا الى البلاد مع الجيوش  
البريطانية في أعقاب الحرب قاوموا الحركة الوطنية ونشب القتال واستمر طويلا

حتى اضطرت هولندا أخيراً إلى الاعتراف بالحكومة الأندونيسية ونقل  
السلطات إليها عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م وتولى الدكتور أحمد سوكارنو  
زعيم الحزب الوطني رئاسة الجمهورية بينما تولى الدكتور محمد ناصر  
رئيس الحزب ماشومي ( مجلس شورى مسلمي اندونيسيا ) .

ثم زميله في حزب ماشومي الدكتور سويكيان رئاسة الوزراء ثم قامت  
في البلاد انتخابات مجلس نيابي كان بينها حزب ماشومي والحزب الوطني  
أقوى الأحزاب فألف الحزب الوطني حكومة ائتلافية ولكن هذه الدولة الفتية  
تعرضت منذ نشأتها لمشكلات داخلية ان دارت رحى الخلاف بين زعماء  
البلاد حول الأسس التي تقوم عليها هذه الجمهورية الجديدة ولقد رفضت  
الجمعية التأسيسية محاولة الرئيس سوكارنو انفراد بالسلطة ومناداته  
بنظرية الديمقراطية الموجهة فألغى الجمعية التأسيسية ثم حل البرلمان  
وحارب الأحزاب المعارضة لسياسته الفردية فقام بوجهه زعماء حزب اشومي  
أقوى حزب سياسي في البلاد مع بعض زعماء المعارضة وفريق من ضباط  
الجيش واصلوا الثورة المسلحة ولكن سوكارنو يحتال على قادة الثورة  
ويسجنهم ويقضي على ثورتهم ثم اعتمد على الجيش الذي أصبح له نفوذ  
كبير بعد القضاء على هذه الثورة وقد أصبح سوكارنو الحاكم المطلق بعد  
أن اعطته الجمعية التأسيسية الجديدة لقب القائد العظيم وانتخبته عام  
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م رئيساً مدى الحياة وجعله فوق الدستور .

وقاوم سوكارنو الحزب الاسلامي المعارض واعتمد على الحزب الوطني  
وعلى الحزب الشيوعي المويد لسياسته وعمل على انتشاره ودعمه حتى أصبح  
أقوى حزب شيوعي في العالم الاسلامي وظن هذا الحزب أنه أصبح قادراً  
على قطف الثمرة واستلام الحكم فتعجل في الوثوب على اكتاف سوكارنو إلى  
قيادة الجيش واغتال الجنرالات الستة بمجزرة رهيبه سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥  
ولكن هذه المحاولة فشلت بفضل وعي الشعب الأندونيسي المؤمن ، ان

برزت الى الساحة منظمة اتحاد الطلبة المسلمين في اندونيسيا وقادة الشعب في حركته ضد هذه المحاولة وتسلم السلطة سوهارتو الذي انتخب عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٨ م رئيسا للجمهورية .

#### \* الحياة الاقتصادية :

تتمتع اندونيسيا بثروة طبيعية ضخمة بسبب غنى التربة ووفرة الامطار ولكن الاستعمار الهولندي عمل خلال قرونه الثلاثة على الاستثمار بخيرات البلاد وترك غالبية الشعب في حالة فقر وحين نالت البلاد استقلالها بدأت تعمل على حسن الاستغلال لواردها الطبيعية والاستفادة منها في بناء اقتصاد متين ومن أهم هذه الموارد الحاصلات الزراعية الكثيرة فهي تنتج ( ٤٠ ٪ ) من المطاط في العالم كما تزرع الرز والقمح وقصب السكر وزيت البلح والكيما والبن والشاي والكاكاو والافاديه ( البهارات ) .

كما تستفيد من الاخشاب في غاباتها الكثيفة والاشجار من سواحلها الممتدة وتغطي الغابات ثلثي مساحة اندونيسيا وتغطي أخشاب التاكا وغيرها كما ان السواحل الطويلة تعد الشعب بمورد غذائي جيد وأهم معادنها البترول والقصدير واليوكيست والمنغنيز والحديد .

أما الصناعة فلا تزال ضعيفة لا تقوم بحاجة البلاد وأهمها صناعة النسيج التي تقدم الملابس الاندونيسية التقليدية وفي البلاد خطوط مواصلات متنوعة وكافية وبخاصة في جاوة وتعتمد المواصلات في كثير من الجزر على الخطوط البحرية حيث تلعب السفن الشراعية دورا هاما في التجارة الداخلية وفي اندونيسيا كذلك عدة موانئ نشيطة للتجارة الخارجية وأهمها في جاكرتا وسورابا وميدان .

وفي جاكرتا مطار دولي والوحدة النقدية هي الروبية ويساوي الدولار الأمريكي ( ٤٥ ) روبية .

### \* السكان واللغة والتعليم :

بلغ عدد السكان حسب تقدير الحكومة لعام ١٩٦٧ م (١١٠) ملايين نسمة وهي بذلك خامس دولة في العالم في تعداد السكان وتأتي بعد الصين الشعبية والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ويجمع حوالي (٧٠) مليون نسمة في جاوة ومادوره ، بينما يقل عدد السكان كالياننان وايربان الغربية ، ويبلغ المسلمون (٩٤٪) من مجموع السكان .

أما الباقيون فهم من الوثنيين والنصارى ولغة السكان هي الاندونيسية الشبيهة بلغة الملايو ، وكانت تكتب مثلها بحروف عربية ولكن عهد الاستعمار الطويل أحل محلها الحروف اللاتينية .  
أما اللغة العربية فهي معروفة عند كثير من طلاب العلم ، وهناك آلاف المدارس الإسلامية في اندونيسيا تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولغة القرآن وأهمها الجامعة الإسلامية في جوكرتا .

\*\*\*\*\*

## - افريقييا -

قبل حديثنا عن البلاد الاسلامية في القارة الافريقية لابد من كلمة وجيزة في التعريف بهذه القارة .

هي احدى قارات العالم القديم وتبلغ مساحتها حوالي ( ٣٠ ) مليون كم<sup>٢</sup> ويفصلها عن اوروبا في الشمال البحر الابيض المتوسط وعن آسيا فسي الشرق المحيط الهندي والبحر الاحمر ، بينما يمتد المحيط الاطلسي فسي غربها من مصيقي جبل طارق الى رأس الرجاء الصالح .  
وتقع معظم القارة في المناطق المدارية ولكن أطرافها معتدلة للمناخ .

وتشغل الصحارى مساحة واسعة من اراضيها . ومصادر القسوة المائية متوفرة ولكنها لم تستغل بعد . وتقوم الزراعة معتمدة على المطر والرى في كثير من الجهات والثروة المعدنية فيه لا بأس بها ولها الصدارة بين قارات العالم في انتاج الماس والذهب واليورانيوم ولكن القارة فقيرة نسبيا في البترول .

دخل الاسلام الى القارة الافريقية منذ أيامه الأولى حين هاجر المسلمون الاولون الى الحبشة هجرتهم الاولى ووجدوا في النجاشي ملجأ يحميهم من ظلم كفار قريش ثم دخل المسلمون هذه القارة فاتحين أيام عمر رضي الله عنه ولم يلبث شمال افريقيا ان دخل في حكم الاسلام . ومنذ ذلك الحين قامت للاسلام دولته في هذه القارة وأخذ يمتد نحو الجنوب باحتكاك المسلمين بالافريقيين الوثنيين حتى أصبح الدين السائد فسي شمال افريقيا ووسطها وقد نشر الاسلام في تلك الربوع حضارته الانسانية : واحرح الناس من الوثنية وعبادة الطوغم الى عبادة الله وعلم تلك القبائل التائهة في دومة الصحراء باعماق الغابات كيف يرقى الانسان الى حضارة اللباس والعلم ومكارم الاخلاق .

ظل الاوروبيون النصارى يجهلون هذه القارة فيما عدا الشريط الشمالي منها حتى كان القرن التاسع الهجرى حيث بدأ الغزو البرتغالي ثم تسابقت الدول الاوروبية الى اكتشاف مجاهل افريقية واستعماراً قطارها طمعا في خيراتها ومواردها البكر . ومنذ عشرين سنة لم يكن في افريقيا كلها من الدولة المستقلة الا مصر والحبشة وليبيريا واتحاد جنوب افريقيا وكان استقلالها غير تام .

وبدأت شعوب افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية تكافح من أجل التحرر والاستقلال ولم يمض غير سنوات معدودة حتى أصبحت معظم الاقطار الافريقية تملك استقلالها .

حاول الاستعمار الاوروبي خلال السنين الطويلة التي حكم فيها افريقيا ان يمد جذوره ويستقر في هذه القارة الفنية بثرواتها الطبيعية ومواردها الكثيرة فشجع استيطان الاوروبيين فيها وملأها بالمبشرين وساعدهم على نشر النصرانية التي أخذت طريقها بصعوبة الى بعض القبائل الوثنية في افريقيا الجنوبية والوسطى . ولكنها استطاعت بعد بدعم من الاستعمار الذى ساد القارة قروناً أن تصل ببعض اتباعها الى مراكز الحكم والادارة في كثير من الاقطار الافريقية ولكن الاسلام بما فيه من مقومات تنسجم مع فطرة الانسان السليمة لا يزال يغالب النصرانية ويسابقها على الرغم من قسوة ظروفه وضعف دعاته . وقد بلغ عدد المسلمين فيها اكثر من ( ١٧٠ ) مليون وهم اغلبية السكان في هذه القارة .

=====

## — نيجيريا — =====

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تحدها شمالا النيجر وشرقا الكمرون ، وجنوبا خليج غينيا على المحيط الاطلسي وغربا داهومي وتبلغ مساحتها ( ٩٦٨٩٥٢ ) كم ٢ . وتنسب نيجيريا الى نهر النيجر الذي يمر فيها . وتتكون أراضيها من سهول ساحلية واسعة تتوسطها دلتا وتقسم اودية نهري النيجر وبينونيجريا الى ثلاثة أقسام تتكون منها الاقاليم الثلاثة .

// الشمالي والغربي والشرقي //

### \* الاقليم والمدن الرئيسية :

نيجيريا جمهورية اتحادية عاصمتها لاغوس وتضم أربعة أقاليم

تكون اتحادا فيدراليا وهي :

١- الاقليم الشمالي : عاصمة ( كادونا ) وأهم مدنه كانو - وسكوتو - وزاريا وكاتسينا .

٢- الاقليم الغربي : وعاصمته ( أنانان ) ومن مدنه اغبوموشو - واشغبره

٣- الاقليم الشرقي : وعاصمته ( انوفو ) ومن مدنه اونيتشا - وبورهاركور .

٤- الاقليم الغربي الاوسط : وعاصمته ( بنين ) ومن مدنه سبيل وقدشكل

بعد الاستقلال عام ١٩٦٢ م نتيجة استفتاء عام .

كذلك نعد في هذا الاتحاد الكمرون الشمالي الذي انضم السيسى

الاتحاد عام ١٩٦١ وكان تحت الوصاية البريطانية . ومنطقة العاصمة الفيدرالية

لاغوس . ولاغوس ميناء تجارى على خليج غينيا .

### \* التاريخ :

دخل الاسلام نيجيريا منذ القرن الثاني الهجرى مع التجار والمرشدين

والوافدين من الشمال الافريقي وفي القرن الثامن الهجرى أخذت البلاد

طابعا اسلاميا واضحا عندما دخل الغولانيون المسلمون نيجيريا وامتزجوا



بطريقة سلمية بالهوسا في الشمال ، اما الجنوب فكانت قبائل اليوروبا  
لا تزال ممعنة بوثنيتها وقد ازدهرت الممالك الاسلامية في الشمال في نهاية  
القرن العاشر الهجري فقامت فيه دول الهوسا ومملكة يورنو الاسلامية التي  
بلغت مستوى حضاريا جيدا .

ولكن الحضارة الاسلامية انحطت بعد ذلك في نيجيريا حتى  
كانت مطالع القرن الماضي ان قام عثمان دان فوديو الغولاني بنشر  
تعاليم الاسلام واحياء الروح الدينية في البلاد وجمع زعماء الهوسا  
تحت ادارة واحدة واجتمعوا على دعوتهم وخلعوا عليه لقب أمير المؤمنين  
وأرسل أمراء لنشر الاسلام في الجنوب الوثني وامتد نفوذ الغولاني  
المسلمين في الشرق والغرب والجنوب وبذلك قامت في الاقليم الشمالي  
من نيجيريا مملكة اسلامية مزدهرة .

وفي الوقت نفسه كان الاوروبيون قد تمكنوا في الجنوب في المناطق  
الوثنية وأقاموا علاقات تجارية مع البورويين .  
وفي سنة ١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م تم للرواد الاوروبيين اكتشاف  
النيجر بكامله .

ولم يلبث المبشرون والتجار أن تبعوهم ليمهدوا الطريق للمستعمرين  
ابتداءً من لاغوس وعلى ضفاف النيجر .

وبعد أن اتفق الفرنسيون والانكليزيون على الحدود بدأ الانكليز  
بالتوغل في الداخل وما جاء القرن الحالي الا وكانت نيجيريا محمية  
بريطانية في الشمال ومستعمرة في الجنوب وفي اعقاب الحرب العالمية  
الاولى احتل البريطانيون غربي الكاميرون وحكموها جزءاً من نيجيريا .

ثم أخذت البلاد تتطعم من حكم المستعمرين وتطالب بالتحريرو  
بن نهرهم وفي عام ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م ظهر في الاقليم الشمالي حزب  
مؤتمر الشعوب الشمالية ( بزعامه الحاج أحمد ويلو ، أحد أحفاد

الشيخ عثمان دان فوديو وفي العام التالي طالبت الحكومة باسـتقلال  
نيجيريا فتم لها ذلك وظهرت جمهورية نيجيريا الاتحادية المستقلة وتولى  
رئاسة الجمهورية الدكتور ازيكيوى وبقي الحاج أبو بكر رئيسا للوزارة الاتحادية  
بينما كان السيد احمد بوطور رئيسا لحكومة الاقليم الشمالي . ولكن الاستعمار  
الذى ساءه أن يكون زعماء نيجيريا الشمالية والحكومة الاتحادية  
مسلمين خلافا لما هي في أغلب الدول الافريقية من حكم الاقلية المسيحية  
الاجلبية المسلمة فدفع قبائل الايبو أنذابه في البلاد الى أن ينفذوا بوحشية  
مجزرتهم الرهيبة فقام بعض ضباط الجيش باغتيال الشهيد بين بوبكر تغاوه بليو  
واحمد ويلو ومن قدروا عليه من زعماء المسلمين وضباطهم البواسل في أواخر  
رمضان سنة ١٣٨٥ هـ كانون الثاني ١٩٦٦ م وفر المجرمون بعد أن نفذوا  
مؤامرتهم واستلم زمام البلاد شريك القتلة الجنرال ايرونسي القائد العام  
للجيش ولم يدم الأمر طويلا حتى ثار الجيش النيجيرى على الضباط الخونة  
واسترد منهم مقاليد الحكم بعد أن انتقم منهم لزعمائه .

ولكن الاستعمار الخبيث لم يرضخ لانتصار أبناء البلاد فدفع الاقليم  
الشرقي ( بيافرا ) الى اعلان انشقاقه عن الدولة الاتحادية ، واستتاع  
هذا الاقليم المنشق بمساعدة الدول الاستعمارية وامداداتها المتواصلة  
الصريحة او المستترة بالصليب الاحمر أن يقاوم جيش الحكومة الاتحادية  
مدة طويلة ولكن مقاومة الانفصاليين انهارت أخيرا في ٥ ذى القعدة ١٣٨٩ هـ  
كانون الثاني ١٩٧٠ م وهرب زعيمهم اوجوكو مع أعضاء حكومته ونحن لانستبعد  
أن تظهر الصليبية والاستعمار مرة أخرى في زى جديد لتمثل دورها الخبيث  
على مسرح نيجيريا المسلمة .

#### \* الحياة الاقتصادية :

نيجيريا بلد زراعي وتقع اكبر المساحات المزروعة في الشمال والجنوب  
وأهم المحصولات الزراعية الكاكاو وزيت النخيل والفول السوداني، ونيجيريا

غنية بالثروة الحيوانية والغابات .

أما المعادن فأهمها القصدير والكولمبيت (١) والفحم الحجري -  
والبتروول ولا تزال الصناعة ضعيفة ولكنها بدأت تتطور بسرعة بعد الاستقلال  
لأنها تملك اليد العاملة والمواد الأولية والأسواق الكبيرة .  
وشبكة المواصلات في البلاد جيدة فهي تملك الطرق المعبدة  
والسكك الحديدية وتقوم فيها الملاحة النهرية والبحرية وفيها مطاران  
د وليان في كانوفي الشمال ولاغوس في الجنوب .  
ووحدة النقد هي الجنيه النيجيري . وبساوى في قيمته الجنيه  
الاسترليني .

#### \* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد سكان نيجيريا ( ٥٥ ) مليوناً و ( ٧٥ ٪ ) منهم مسلمون  
والباقيون من الوثنيين والنصارى ويعيش في الاقليم الشمالي اكثر من نصف  
السكان ، ( ٩٩ ٪ ) منهم مسلمون وهم من قبائل الهوسا والغولا ويعملون  
بالزراعة والرعي والتجارة وللدن مكانة كبيرة في نفوسهم ولكنهم لا يزالون  
مختلفين سيطر عليهم بعض المعتقدات المنحرفة والعبادات الغريبة والطرق  
المنتشرة هناك متناهرة فيما بينها وأهم هذه الطرق التيجانية والقادرية .  
والمذهب السائد في نيجيريا ومعظم أقاليم افريقيا هو المذهب المالكي .  
وفي كل مدينة امير لا تقام صلاة الجمعة الا في مسجده ولو ضاق على  
المصلين .

---

(١) : يستعمل الكولمبيت خليطاً للفولان لتقوية مقاومته لدرجات الحرارة  
المرتفعة عندما يستعمل الفولان في توريينات الغاز ومحركات  
الطائرات النفاثة ويستخرج من نيجيريا ( ٨٠ ٪ ) من انتاج  
الكولمبيت في العالم . . . . .

وقد عمل الاستعمار خلال حكمه على تجهيل المسلمين لضعافهم وجعلهم عاجزين عن ادارة شؤون بلادهم لذلك نرى أكثر الموظفين والغنيين في الشمال من الايبو أو البوريين النصارى .  
أما اللغة السائدة فهي لغة الهاوسا التي يفهمها أكثر النيجيريين وتعد لغة التجارة في أكثر مناطق السودان وهي تكتب بالحروف العربية أو اللاتينية .

وأما العربية فلا تزال تحتفظ برصيد جيد عند المسلمين انيعدون تعلمها ضروريا لفهم أحكام الدين ولكن الاستعمار الذي أراد أن يقطع أواصر القربى بين المسلمين حارب المدارس العربية حريا لا هوادة فيها . وانشأت مدرسة الشريعة في كانولتخريج القضاة والائمة المسلمين . وهي تهتم اهتماما كبيرا بتعليم اللغة العربية ويتفرع عنها عدد من المدارس الاسلامية .

أما الاقليم الغربي فتسكنه قبائل البيروبا التي كانت معنسة في الوثنية ولكن الوثنية كانت ان تنحى هناك أمام الاسلام الذي امتد نوره من الشمال والمسيحية التي دخلت مع المستعمرين من الجنوب وقد تأثرت هذه القبائل بالعبادات الأوروبية .

ويعلم هذا المعهد الاسلام والعربية ويؤمها طلبة العلم من نيجيريا والبلاد الافريقية المجاورة .

وقد جاء في أهدافه أنه معهد اسلامي عربي لتعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية .

وللمعهد فرقة من الجواله تسمى الجواله العربية ويتبعها هذا المعهد ( ٨٠ ) مدرسة لتعليم العربية والاسلام .

وأما الاقليم الشرقي فتعيش فيه قبائل الايبو التي تنصر معظمها بتأثير التبشير الذي سبق الى هذه المنطقة ونجح بمعاون المستعمرين وقد

شغل كثير من أبناء هذا الاقليم مناصب ادارية وعالية في الغرب والشمال وكانوا عوناً للمستعمرين في حكم الاقليم النيجرية ولكن اهميتهم تضائلت بعد الاستقلال وانتشار الوعي والثقافة في الاقليميين الشمالي والفرسي وقد خلف المستعمر وراءه شعور العداء والبغضاء بين أبناء هذا الاقليم وبغية النيجيريين .

وأما المسلمون في هذا الاقليم فهم قلة .

وقد سار التعليم في نيجيريا بعد الاستقلال خطوات واسعة وبخاصة في الاقليم الشمالي الذي ينتظر أن يلحق بركاب الاقليم الأخرى وفي البلاد اليوم اكثر من الف مدرسة ثانوية وخمس جامعات ومئات المعاهد لاعداد المعلمين .

أما المدارس العربية في نيجيريا فمع أنها تبلغ ( ١٥٠ ) مدرسة تابعة الى مركز غيغي في الجنوب أو مدرسة الشريعة في كائو في الشمال فهي ضعيفة ولا تقف امام العدد الضخم من المدارس التبشيرية المدعومة بالاموال والاختصاصيين الذين يخططون للقضاء على الاسلام في افريقيا .

+++++

## الصومال

### \* الموقع والمساحة والعالم الطبيعية :

تقع جمهورية الصومال شرقي افريقيا ويحدها من الشمال خليج عدن ومن الشرق والجنوب المحيط الهندي ومن الغرب كينيا واثيوبيا ( الحبشة ) وتبلغ مساحتها ( ٦٨٥٠٠٠ كم ٢ ) والبلاد بصورة عامة هضبة بها سهل ساحلي قاحل .

### \* المدن الرئيسية :

أهمها مقاديش وهي العاصمة والميناء الرئيسي للصومال وتتمتاز بطابعها الاسلامي الواضح وفيها ( ١٤٨ ) مسجداً وكانت مركزا للصومال الايطالي ثم هرجيسه وتقع في الداخل وكانت مركزا للصومال الانكليزي . وكسماوى يووزيلع وبربره .

### \* التاريخ :

كانت الصلة وثيقة منذ القدم بين الجزيرة العربية وبين الصومال وغيره من بلدان شرقي افريقيا وحين جاء الاسلام ازادت الصلة برحلة التجار وبهجرة بعض القبائل التي حملت الدين الجديد الى تلك المناطق وقد انتشر الاسلام انتشارا واسعا في الصومال بين القرنين الرابع والسادس الهجريين وامتد الى داخل البلاد الحبشة النصرانية وقامت في الصومال عدة سلطنات اسلامية أهمها عدل - وايقان - وهرر .

وعندما دخل العثمانيون البلاد العربية بسطوا نفوذهم على الصومال وناصروا سلطانه الذي كان في صراع مع الأحباش النصاري . وعندما جاء محمد علي باشا الوالي المصرى ضم اليه السودان وبلاد الصومال . وكان الحاكم المصرى لبلاد الصومال يقيم في هرر التي كانت تعد عاصمة الصومال وتبعتها ثلاث محافظات في تاجورة - وزيلع وبربرة ولكن الحكم المصرى مالبت ان ضعف بعد محمد علي واشتد الأمر سوءا بعد الاحتلال البريطاني

لمصر مما زاد في سيطرة السلاطين المحليين .  
وقد أخذ الاوروبيون في تلك الفترة يتطلعون الى احتلال سواحل  
البحر الأحمر ومضيق باب المندب مما جعل بلاد الصومال نهبا موزعا  
في أيدي الطامعين عقدت بريطانيا عام ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م معاهدة  
مع سلطان سومطرة واحتلت بعد ذلك زيلع وبربرة وأخرجت الموظفين  
المصريين من اقليم هرر وتوسعت في احتلالها حتى بلغت ما عرف بعد ذلك  
باسم الصومال الانكليزي وعاصمته هررجيسه .

كما عقدت فرنسا معاهدة مع سلطان تاجورة عام ١٣٠١ هـ = ١٨٨٤ م  
ثم امتد نفوذها حتى شمل ما عرف بالصومال الفرنسي وعاصمته جيبوتي . وأما  
بريطانيا فقد دخلت الصومال حين استأجرت من سلطان زنجبار مواني  
بنادر وعند هاضع السلطان تنازل عن هذه المواني للايطاليين . وفي  
تلك الفترة استولى امبراطور الحبشة على منطقتي هرر - واوغادين وأخذ  
منطقة اليهود من الانكليز وتكون الصومال الحبشي الذي لا يزال تحت حكم  
اثيوبيا وقد منحت الحبشة المناطق الداخلية من بنادر للايطاليين كما  
تنازلت انكلترا لاطاليا عن منطقة الجوبا السفلى وتشكل ما كان يسمى بالصومال  
الاطالي وهو أهم الاجزاء الصومالية واكبرها وكانت عاصمته مقاديشو .  
كما أعطيت كينيا الراضي الواقعة شرقي بحيرة رود وكوف وهي مسن  
الراضي الصومالية .

\* مشكلة الحدود :

أهم المشكلات التي يعانيتها الصومال مشكلة الحدود مع الحبشة وكينيا  
وعودة الاقاليم المفتتصة الى الوطن الأم .  
أما الحبشة فلا تزال تحتل ما يعرف اليوم بالصومال الحبشي الذي  
يضم مناطق هررو واوغادين واليهود وهي من أخصب المناطق الصومالية واغناها  
وقد احتلت الحبشة هذه المناطق بمعاونة الاستعمار الانكليزي والاطالي

وأصبح الملايين من المسلمين تحت سلطان هيلاسيلاسي الحاكم النصراني المتعصب الذي أخذ على نفسه أن يببدا المسلمين في الحبشة والصومال وكان ما قاله في الكونغرس الامريكى أثناء زيارته للولايات المتحدة الامريكية ان أهم الاهداف التي نسعى اليها توحيد الدين واللغة في بلادنا ويدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئا من التقدم . وهو يريد بذلك افناء المسلمين واستصال العربية في تلك البلاد الذبيحة وحين سئل عن المسلمير قال : ( نعم توجد هناك اغلبية مسلمة في الجنوب ) ، ( اقليم هرر ) اعتنقت الاسلام بتأثير الا جانب وقد وضعنا لها برامج منذ اثني عشر عاما فلا يمضي وقت طويل الا وقد عادت الى حظيرة دين آباؤها ) وقد قال مثل هذا في خطاب العرش الذي ألقاه عند افتتاح البرلمان الزيف عام ١٩٥٢ م .

وبذلك نرى أن هذه المنطقة تمر بأقصى مراحل الصراع الديني الذي دام قرونا بين الاسلام المنطلق من اقليم هرر وبين دولة النصرانية التي تحصنت في الحبشة .

وأما كينيا التي كانت مستعمرة بريطانية فقد صم اليها الانكليز المناطق الصومالية الجنوبية المجاورة عندما تنازلت عنها ايطاليا للانكليز وحين استقلت جمهورية الصومال طالبت بتسوية الحدود مع كينيا وعرضت اجراء استفتاء لابناء المنطقة المختلف عليها ولكن جومو كينيا الزعيم الكيني رفض اعطاء الحق لأهله ولا تزال الثورات المحلية قائمة في هذا الاقليم مطالبة بوحدة الصومال الذي يجمع بين أبناء الدين الواحد والمشاعر المشتركة .

وأما الصومال الفرنسي وعاصمته جيبوتي فان فرنسا التي خيرت مستعمراتها حسب دستور ديفول اقامت انتخابات مزيفة فيه وعلت على



بعضه تابعاً لادارتها ولكن الشعب المسلم استنكر هذا أسلوب .  
الاستعماري الجديد وقام يطالب ولا يزال باستقلاله التام  
وانضمامه الى جمهورية الصومال وقامت في البلاد اشتباكات واضرابات  
كثيرة قمعتها فرنسا بالبطش وقد لجأ الى مقاد يشو كثير من الوطنيين  
الغارين من ظلم فرنسا وشكوا هناك جبهة تحرير الساحل الصومالي .  
\* الحياة الاقتصادية :

كانت بلاد الصومال حتى الاستقلال فقيرة ومتخلفة تعتمد على  
الأموال الأجنبية في اقتصادها ولكنها بدأت تطور اقتصاديا وترفع مستواه  
وبلاد الصومال صحراوية بالدرجة الاولى وفيها مراعي واسعة تنمو أعشابها  
بسبب الرطوبة الناشئة من مجاورة الساحل وبسبب الامطار الصيفية وتشكل  
الثروة الحيوانية المورد الرئيسي في البلاد ويمتنع أكثر السكان العرضي .  
أما الزراعة فتأتي بالدرجة الثانية وتعتمد على مياه الامطار  
وعلى الري في الجنوب وعلى ضفاف النهرين شبيلي وجوبا . وأخصب  
أراضي الصومال يقع تحت نفوذ الحبشة وأهم المحصولات الزراعية الموز  
والفول السوداني والسمسم . ويعمل بعض السكان في صيد السمك  
من المحيط الهندي والثروات الدفينة لا تزال مجهولة وقد دلت  
الدراسات الاخيرة على وجود البترول .

وأما الصناعة فقد عمل الاستعمار بأنواعه على تخلفها وفي الصومال  
طرق معبدة تربط مقاد يشو بالمدن الرئيسية وفيها كذلك اربعة عشر  
مطارا تستخدم للنقل الداخلي .

والوحدة النقدية هي صومالو ويمادل شلنا استرلينا واحدا .

\* السكان واللغة والتعليم :

يقدر عدد سكان الصومال بحوالي ( ٣ ) ملايين نسمة جميعهم من  
المسلمين الذين يؤلفون شعبا واحدا له لغته الخاصة وتقاليده الموروثة

وهم من اهل السنة ومعظمهم يتبع مذهب الامام الشافعي . والشعب الصومالي ينحدر من قبائل البانتو الزنجية التي اختلطت بالقبائل العربية المهاجرة من بلاد العرب القريبة . وفي البلاد اليوم جاليات عديدة والحياة القبلية هي السائدة في الصومال والصومالي معروف بتمسكه الشديد بالاسلام وشجاعته وصبره وقوة احتماله المشقات ولا عجب في ذلك فهو ابن الصحراء وقد أظهر أيام الاستعمار ضروبا من الشجاعة وابي الذل ولكن ضعف السلاطين وتفرق الكلمة ووحشية المستعمرين مكنت للاستعمار في البلاد حتى كانت الحركات التحررية الاخيرة التي اجلت رجال الصليبية الطامعة . وللصوماليين لغتهم الخاصة وهي ليس لها حروف مكتوبة ويحسن كثير من الصوماليين العربية ويخطب بها خطباء المساجد وكثير من الصحف تصدر بعض صفحاتها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الاجنبية التي كانت سائدة في المنطقة ايام الاحتلال .

أما التعليم فهو ضعيف لان الاستعمار بانواعه طبق سياسة التجهيل على ابناء الصومال وحارب الثقافة الاسلامية ولم يبق في البلاد الا كتاتيب بسيطة تتابع تعليم القرآن الكريم ومبادئ الكتابة بينما افتتح المدارس الاجنبية والتبشيرية التي تظن الثقافة الاوروبية ولغة المستعمرين وتجنب الصوماليون هذه المدارس ليحفظوا في ابنائهم مقومات امتهم وكانت النتيجة انتشار الجهل والامية في البلاد .

وقد اهتمت الحكومة الصومالية المستقلة بالتعليم فافتتحت المدارس الوطنية الكثيرة في أنحاء الصومال ولكن المدارس الايطالية والانكليزية

لا تزال قائمة .

وقد أنشأت بعض البلدان العربية عددا من المدارس الاعدادية والثانوية ولعل أجمل مدارس الصومال وأكبرها مدرسة المؤتمر الاسلامي ومعهد الدراسات الاسلامية في مقديشو .

\*\*\*\*\*

## ارتيريا -

\* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع ارتيريا شرقي افريقيا على البحر الاحمر بين السودان واثيوبيا والصومال وتبلغ مساحتها ( ١١٩٠٠ ) كم<sup>٢</sup> .  
وتتكون من اقليمين : السهل الساحلي الضيق وتقوم فيه الزراعة والمرتفعات الداخلية وهي جبال صحراوية يمتهن سكانها الرعي .

\* المدن الرئيسية :

اهم المدن الرئيسية اسمره وهي العاصمة وتعد من المدن الجبلية ثم مصب ومصبوع وهما ميناءات على البحر الاحمر .

\* التاريخ :

عرفت ارتيريا الاسلام زمن الهجرة الاولى حين استقبل عثمان بن عفان وصحبه رضي الله عنهم ثم فتحت أيام الامويين وضمت الى الدول الاسلامية وقد ظلت تحتفظ بسيادتها في ظل الاسلام وحين دخل العثمانيون البلاد العربية في القرن العاشر احتلوا ميناء مصبوع وقسما كبيرا من ارتيريا ثم خلفهم المصريون في حكم البلاد وفي عام ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م غسزا الايطاليون اراضي ارتيريا فذاق الارتيريون المر في هذا الاستعمار الوحشي وحين هزم الايطاليين في الحرب العالمية الثانية واخرجوا من ارتيريا حل محلهم الانكليز . ثم وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على اقتراح الولايات المتحدة الامريكية الذي يقضي باتحاد ارتيريا مع الحبشة اتحادا فيدراليا على أن يبقى لارتيريا استقلالها الذاتي فتم ذلك سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م وخافت حكومة الحبشة من أن يطالب المسلمون في ارتيريا والحبشة بحقوقهم اذا قامت في البلاد حياة دستورية لمشروع الامم المتحدة فاغتالت شروط الاتحاد واعلنت سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م

ضم ارتيريا نهائيا الى امبراطوريتها متجاهلة قرار الامم المتحدة . وقد عملت حكومة الحبشة متعاونة مع الاوروبيين والهيئات التبشيرية على سحق الاسلام في تلك البلاد ، فاغلقت جميع المدارس الاسلامية ومنعت تدريس اللغة العربية واطعت معهد اسمرا الديني وهو المعهد الاسلامي الوحيد في البلاد كما حصرت التوظيف في الاقلية المسيحية والفت الا حزاب الاسلامية وكمت الافواه وملأت السجون والقبور بالمسلمين والثائرين على التعسف والظلم ولكن الارتيريين المسلمين لم تضعف مقاومتهم بل استمروا في جهادهم متحدين الاعمال الوحشية التي يقوم بها سبط يهودا وحامسي النصرانية في افريقيا هيلاسيلاسي ولا تزال جبهة التحرير الارتيرية تقوم بجهد كبير في فضح جرائم الصليبية الحاقدة والتعبير عن آمال المسلمين في الخلاص من الاستعمار الحبشي الخبيث وهي تطلب من الامم المتحدة بالحاح ارسال لجنة حيادية للتحقيق في الشكاوى الموجهة ضد الحبشة والتأكد من رغبة الشعب الارتيري في الحرية والاستقلال .

#### \* الحياة الاقتصادية :

تقوم الزراعة في السهل الساحلي الضيق معتمدة على مياه الامطار أما الداخل فمعظمه جبال صحراوية لا تصلح للزراعة في الاجزاء القليلة التي يصيبها قدر كاف من المطر لذلك يقوم فيها الرعي . ويمتهن اكثر السكان تربية المواشي كجيرانهم الصوماليين . ولا تيريا أهمية تجارية لوقوعها عند مدخل البحر الاحمر وهي المنفذ البحري الوحيد للحبشة ومعظم تجارتها تخرج عن طريق ميناء مصوغ ثم ميناء عصب وهناك خط حديدي يصل بموضوع مركز الادارة أسمرأ ومنها الى اجوردات حيث يتفرع نحو الجنوب ونحو حدود السودان .

#### \* السكان واللغة :

يبلغ عدد سكان ارتيريا ( ٢٥ ) مليون نسمة ( ٧٥ % ) منهم مسلمون والباقيون من النصارى الا قباط ومعظم السكان رعاة يعملون مع الرعي في جمع

الصمغ .

وهم يختلفون من حيث الدين واللغة والجنس والتاريخ عن الاحباش . فالارتيريون معظمهم يدين الاسلام ويتكلم اللغة العربية كما يتكلم بعضهم اللغة النيجيرية ولا صلة بين هاتين اللغتين وبين اللغة الامهرية الحبشية . لذلك لا يستطيع الارتيريون والاحبشاش أن يتفاهموا ومعنى هذا دمج ارتيريا بالحبشة نوع من أنواع التسلط والاستعمار . ونصر الدستور الارتيرى على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية ولكن السلطات الاثيوبية بدأت باهمال الطلبات التي تكتب باللغة العربية ثم احرقت الكتب العربية التي استوردتها وزير المعارف من القاهرة .

أما خريجوا الجامعات العربية فمنحتهم نصف مرتب خريجي الجامعات الأخرى في عام ١٩٦٣ م منعت تدريس اللغة العربية حتى في المدارس الالوية وأمرت بتدريس الدين الاسلامي باللغة الامهرية وبدأت الثورة المسلحة فيها عام ١٣٨١ هـ أول أيلول ١٩٦١ م حين خرج الشيخ حامد عواتي رحمه الله الى الجبال على رأس مجموعة من الفتيان المجاهدين لا يزيد عددهم على (١٣) كانوا نواة جبهة التحرير الارتيرية ولم يكن معهم من الاسلحة غير تسع بنادق ايطالية عتيقة وبنادق انكليزية واحدة ولكنهم ثبتوا بفضل ايمانهم العميق بالله تعالى والتف حولهم الشعب الارتيرى وزاد عددهم واستطاعوا أن ينتصروا على الاحباش في كثير من المعارك المشرفة . . . .

•••••

## ” اثيوبيا ”

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تحد اثيوبيا من الشمال ارتيريا ومن الشرق الصومال ومن الجنوب كينيا ومن الغرب السودان وتبلغ مساحتها حوالي مليون كم ٢ .  
وهي بلاد جميلة وعرة يصعب الانتقال فيها وتسقط فيها صيفا  
أمطار غزيرة يذهب قسم منها الى بحيرة تانا في الشمال الغربي حيث ينبع  
النيل الازرق .

### \* المدن الرئيسية :

أهم المدن الرئيسية اديس أبابا العاصمة ، وهي مدينة تجارية  
وفيها تنتهي سكة الحديد التي تربط الداخل بالبحر ، ثم هررود وودوا  
وهما أهم مدن المسلمين في اثيوبيا وهي مشهورة بكنائسها الكثيرة .

### \* التاريخ :

اثيوبيا كلمة يونانية تعني الوجه المحروق وقد عرف العرب هذه  
البلاد باسم الحبشة نسبة الى قبيلة عربية هاجرت اليها عبر البحر الاحمر .  
وكان سكان اثيوبيا القدماء يهودا ثم دخلوا في المسيحية في القرن الرابع  
الميلادي وارتبطوا بالاقباط في مصر .

وملكت اثيوبيا قبيل الاسلام اليمن وبنى أبرهة الاشرم الحبشي  
الكنيسة بصنعاء ليصرف الناس عن بيت الله الحرام اليها ، ثم كان ما كان  
من أعراض اليمن عن ذي الكنيسة واحدا ثم فيها وغضب أبرهة وتوجه مع  
جيوشه أصحاب الفيل لهدم الكعبة وضلال كيده وهلاكه .

وحين جاء الاسلام شق طريقه في أيامه الأولى الى الحبشة  
فقد هاجر اليها المسلمون الاولون هجرتهم الاولى . ووجدوا في نجاشيها  
حاميا لهم وراضيا بدعوتهم ، ان قال عن آيات الله التي سمعها ان هذا  
والذي جاء به عيسى ليخبر من مشكاة واحدة ومضت القرون الهجرية

الاولى والاسلام يأخذ طريقة ببطء الى نفوس الاحباش عن طريق التجار المسلمين الذين أينعت ثمراتهم في ارتيريا والصومال وأطراف اثيوبيا ، وما انتهى القرن الخامس الهجرى حتى كانت في تلك البقاع ممالك اسلامية مزدهرة وأخذ حكام الحبشة النصارى في تلك الفترة باضطهاد المسلمين وأشعلوا معهم حروبا ضارية استمرت خمسة قرون ولكن مد الاسلام لم يتوقف وفي القرن العاشر الهجرى قام بعض السلاطين المسلمين في الصومال بغزو اثيوبيا واخضاع كثير من أراضيها فدخل في الاسلام على أيديهم خلق كثير ، كان فريق منهم يتظاهر قبل ذلك بالنصرانية خوفاً من البطش والاضطهاد . واستنجد حكام الحبشة النصارى بالبرتغاليين اخوانهم في الدين حين ظهروا في البحار فخفوا لنجدتهم وصدوا جيوش المسلمين ولكن الاسلام ظل يأخذ طريقه الى قلوب الكثير من الاثيوبيين على خوف من النجاشي وملائمتهم ان يفنهم فهاقص مضاجع كثير من المسيحيين في اثيوبيا وخوفهم من ان يصبح المسلمون اكثرية في الحبشة وعندما تشوفت الدول الغربية الى حكم الحبشة حاولوا التقرب من ملكها منليك الثاني وأمدوه بالاسلحة الحديثة مقابل اعترافه بمناطق نفوذ لهم على البحر الاحمر واستغل منليك الفرصة وأخذ يبتلع الممالك الاسلامية ويوسع رقعة اثيوبيا على حسابها وبذلك ظهرت الامبراطورية الاثيوبية بحدودها الحالية . بعد أن كانت تحكم رقعة صغيرة وقد رافق احتلال هذه الممالك كثير من الأعمال الوحشية من قتل وسلب حتى كسرت شوكة المسلمين وقضي على سلطانهم في تلك البقاع وجاء الامبراطور ليح ياسوع بعد موت منليك فرفع الاضطهاد عن المسلمين حتى قيل ان اعتنق الاسلام ولكن حكمه لم يدم غير ثلاث سنوات ان برأ البابا المسيحيين من قسم الطاعة له وغلب ليح ياسوع على أمره وجاءت بعده ابنة يتواينة منليك ، ثم الرأس الذي صار امبراطور اثيوبيا ولقب بهيلا سيلاسي سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م .



### \* الحياة الاقتصادية :

أهم صادرات اثيوبيا الحبوب والبن والعسل والجلود والذهب ومواصلاتها الداخلية صعبة ومتخلفة وأهم صلة لها بالعالم الخارجي سكة الحديد الوحيدة من اديس أبابا الى جيبوتي وقد ملكت بمسند تسلطها على ارتيريا ميناءين هاميين على البحر الاحمر وهما مصوع وحسب.

### \* السكان واللغة والتعليم :

يعيش في اثيوبيا اليوم حوالي ( ٢٢ ) مليوناً و ٦٠ ٪ منهم مسلمون والباقيون من النصارى والاقباط وفيهم بعض اليهود والوثنيين والسكان متحرف للشعوب المختلفة في الدين واللغة والجنس والعادات ولا يزيد الاثيوبيون الاصليون على ثلث سكان اثيوبيا الحالية ويسكنون المناطق الوسطى والشمالية ومعظمهم من النصارى والاقباط وهم مرتبطون بالكنيسة المصرية ولا تزال فيهم آثار واضحة من عادات اليهود وشعائرهم الدينية وتكثر الكنائس في اثيوبيا .

كما يكثر رجال الدين ومعظمهم جهال منحالو الاخلاق لا يتعففون عن اتيان المنكرات ظناً منهم ان الله يغفر ذنوبهم .  
المسلمون فيسكن اكثرهم في الشرق ( الدناقل ) والجنوب الشرقي ( اراضي ) الصومالية المختصبة والجنوب ( الجالا ) وفي أقصى الشمال الغربي ( حيث تعيش بطون من القبائل السودانية ) . ويعيش معظمهم على شكل قبائل .

والحبشي بوجه عام ثبت قوى الاعصاب بارد المزاج ، قل ان يهيجه غضب أو يستخفه طرب وهو في اكثر حالاته مهذب يحتفظ في كلامه ولكنسه معروف بالمكر وحسن الحيلة . مشهور بزخرفة القول وتمويهه وهو يحسب الحرب ويصبر على اذائها يقسو على حيواناته ويقيمها على الخسف ويبذل خدمه ويروضهم على الضيم .

وكان الاثيوبيون النصارى الى عهد قريب يسومون اسراهم سوء العذاب

ويقتلون اعداءهم وخصوصهم صبرا بعد أن يمثلوا بهم تمثيلا وحشيا . ومن عاداتهم الغربية أكل اللحم النبيء وهم مولعون بمعاقرة الخمرة وناشروها سكرها غابت احلامهم وفقدوا اخلاقهم وركبوا روءوسهم ومالوا الى الشر فتشائموا وتنايدوا باللقاب وتبادلوا الركل واللكم والطعن بالمدى . لذلك يفضل الرحالون الغربيون استخدام المسلمين الاثيوبيين في تجوالهم في ربوع اثيوبيا المختلفة لتجنبهم الخمر ولا نهم أهدي وأصدق قيسلا واقوم لذلك سبيلا .

أما اللغات في اثيوبيا فكثيرة متعددة تعدد الاجناس والقبايل وأشهرها .

الأمهرية وهي لغة الاحباش وقد جعلتها الدولة اللغة الرسمية كما جعلت الانكليزية اللغة الثانية وهي لغة التعليم للاطفال بعد سن التاسعة

وتصدر الجريدة الرسمية باللغتين الامهرية والانكليزية . اللغة العربية وهي منتشرة في المناطق الاسلامية وقد كانت لغة الثقافة والتجارة تدرس في المدارس الكثيرة المنتشرة في أنحاء البلاد ولكنها صارت الآن مطاردة تخالف سياسة الدولة فسي القضاء على الاسلام ولغته .

أما معاملة هيلاسيلاسي المسلمين فهي معاملة ملؤها الجور والحقد ومع ان الامبراطور معروف برقته في معاملة شعبه فهو يتابع مع المسلمين سياسة سلفه منليك وقد أخذ على نفسه كما صرح اكثر من مرة ان يقضي على الاسلام في الحبشة ويعيد في امبراطوريته دولة الحبشة النصرانية القديمة التي تجسد فيها الاحقاد الصليبية في موقفها ضد المد الاسلامي في افريقيا .

وقد اجتمع سنة ١٩٦٣ بأديس أبابا معظم رؤساء الدول الافريقية لتنسيق العلاقات بينها وانتهى المؤتمر الى انشاء منظمة الوحدة

الافريقية .

## " السنغال "

\* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع على ساحل الاطلسي وتحده في الشمال مورتانيا وفي الشرق مالي وفي الجنوب غينيا وتبلغ مساحتها ( ١٩٧٠٠٠ ) كم ٢ .  
وتتألف بصورة عامة من سهول تخترقها اخاديد حفرتها أنهار

السنغال .

\* المدن الرئيسية :

( دكار ) وهي العاصمة . وسانت لويس . وروفيك وكاولاك .

\* التاريخ :

دخل الاسلام الى السنغال من الشمال بعد انتشاره في مراكش وموريتانيا وقد كانت السنغال خلال القرنين السابع والثامن الهجريين جزءا من امبراطورية مالي الاسلامية التي اتخذت عاصمتها تمبكتو، ومدت سلطاتها على مناطق واسعة في بلاد السودان الغربي وكان لها فضل كبير في نشر الاسلام وتثبيت دعائمه في معظم بلاد التكرور وقد وصل البرتغاليون الى سواحل السنغال في القرن التاسع الهجري طمعا في الذهب ثم نازعهم الانكليز ثم الفرنسيون الذين اقتصروا احتلالهم حتى أواخر القرن الماضي على الخط الساحلي وجعلوا منه قاعدة لعملياتهم الحربية في غربي افريقيا . وفي مطلع هذا القرن الهجري انتهى الفرنسيون حكم قبائل الغولانيين المسلمين وضموا الاقاليم التي المستعمرات الفرنسية ومن بلاد السنغال امتد الاستعمار الفرنسي الى اواسط افريقيا، وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية عندما اشتعلت الثورات التحررية في الاقطار الافريقية هبت هذه الاقطار تطالب باستقلالها وتعج المستعمرين عرض ديفول على المستعمرات الفرنسية في افريقيا . دستور الذي يخير الاقاليم المستعمرة بين أن تتمتع بالاستقلال الداخلي وتبقى أعضاء في مجموعة الشعوب الفرنسية فتكون السلطة المركزية لفرنسا

في الدفاع والاقتصاد والشؤون الخارجية وبين ان تحصل هذه الاقاليم على الاستقلال التام وعندها تقطع عنها فرنسا كل معونة، وقد جرى الاستفتاء في هذه الاقاليم وكانت طاقتها محدودة بعد أن سلبها الاستعمار الطويل كل قدرة ففضل بعضها أن تبقى ضمن مجموعة الشعوب الفرنسية لئلا تقطع عنه فرنسا عونها المادي والفني .

وكانت السنغال جزءاً من افريقيا العربية الفرنسية لحين ارادت فرنسا التخلي عن هذه البلاد جزأتها الى دول عديدة ومنها جمهورية السنغال التي رضيت ان تكون عضواً بمجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا وكونت اتحاداً مع مالي لم يكتب له طول العمر فانحل الاتحاد وأصبحت السنغال جمهورية مستقلة ولكنها بقيت مرتبطة بفرنسا وذلك عام ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م وتولى رئاستها ليوبراد ساخور الحاكم الحالي .

#### \* الحياة الاقتصادية :

السنغال بلد زراعي واهم مزروعاته الغول السوداني والذرة الافرنجية وتربى فيه الابقار والاعنام ولكنه يستورد ما ينقصه منها من موريتانيا . وتصاد الاسماك بكميات جيدة من سواحل الاطلسي وأهم المعادن المستخرجة فوسفات الكالسيوم وفوسفات الالمنيوم اما الصناعة فأهمها مصافي زيست الفستق في منطقة دكار ثم الاسمنت والنسيج وتعليب الاسماك وفي البلاد طرق معبدة حديثة وسكك حديدية تربط العاصمة دكار بالمدن الكبرى كما تصلح الانهار للملاحة الى حد ما . وتعتبر دكار اكبر ميناء في غربي افريقيا . ووحدة النقد هي الفرنك الجديد ويساوي الدولار الأمريكي ( ٢٤٦٨٥٣ ) فرنكا .

#### \* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان في جمهورية السنغال ( ٣ ) ملايين نسمة ( ٩٥ % ) منهم مسلمون والباقيون من الوثنيين والنصارى الافريقيين

والأوروبيين . ويتكلم السكان لغات متعددة بحسب قبائلهم والفرنسية هي اللغة الرسمية وقد كانت السيادة للإسلام في هذه البلاد ولكن الاستعمار الفرنسي حين دخلها وكسر شوكة المسلمين فيها عمل بالتعاون مع الرسائل التبشيرية على نشر النصرانية والمدنية الأوروبية ، كما جعل لغته الفرنسية لغة الإدارة والتعليم في المدارس .

وقد قامت الرسائل التبشيرية بفتح المدارس الأجنبية فأنشأ لبناء الفرنسيين والوثنيين وبعض المسلمين الذين رغبوا فيما عند المستعمرين من ثقافة ووظائف إدارية ولا تزال هذه الرسائل تشرف حتى اليوم على أكثر المدارس في الجمهورية ففيها حوالي ( ٧٠ ) مدرسة ابتدائية وخمس ثانويات من أصل خمسة عشر مدرسة للدولة . أما جامعة دكار فتقوم بنشر الثقافة الأوروبية وقد قاطع المسلمون المدارس الأجنبية خوفاً على نفوس أبنائهم من أن تفسدها سموم المستعمرين ولكنهم عجزوا في الوقت نفسه عن نشر الثقافة الإسلامية والمحافظة على حيويتها مما كان له أثر واضح في تخلفهم وغيابهم عن المسرح السياسي والاجتماعي .

وحين اضطروا المستعمرون إلى أن يسلموا مقاليد الحكم إلى أبناء البلاد رأوا في تلاميذهم من أبناء السنغال الذين تربوا في مدارس الميسرين أقرب الناس إليهم فأسلموها أكثر المناسب الإدارية والغنية وما يزال الرئيس ليوبولد سنغوري يحكم الأكثرية من أبناء السنغال .

\* مالي :

#### الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع جمهورية مالي في أفريقيا الغربية ويحدها من الشمال الجزائر وموريتانيا ومن الشرق النيجر ومن الجنوب فولتا العليا وساحل العجاج وغينيا ومن الغرب السنغال . وتبلغ مساحتها ( ١٢٠٤٠٠٠ ) كم<sup>٢</sup> يشكل شمالها جزءاً من الصحراء الكبرى بينما يجري في جنوبها الخصب نهر النيجر والسنغال .

## \* المدن الرئيسية :

باماكو وهي العاصمة وكاس وسيغو .

## \* التاريخ :

بدأ الاسلام بعد أن تمكن من شمال افريقيا يتسرب عبر الصحراء الي افريقيا الغربية تدريجيا ولكن أعظم انتصار احرزها الاسلام في تلك الاقاليم كان في القرن الخامس الهجرى على يد المرابطين الذين تزعموا حركة الاصلاح البربرية وحملوا راية الجهاد . فقد هجر المصلح البربري عبد الله بن ياسين المسجد الذي كان قد بناه في جزيرة السنغال الادنى وراح يدعو ببرابرة ادرار ( في موريتانيا ) وزوج تكرر الى اعتناق الاسلام فاعتنق ملك تكرر وأسرته الدين الاسلامي وتبعه بعد ذلك ماندينغ (مالي ) الذي كان يقطن النيجر العليا كما اعتنق الاسلام في تلك الفترة ملك سونفاي في منطقة غاو في أواسط النيجر وبعد أن حرر هذا المصلح عبد الله من قبيلة لمتونه باحتلال كومبي عاصمة امبراطورية غانا ، وقضى على نفوذها في تلك المنطقة .

وفي القرن السابع الهجرى قامت مملكة مالي الاسلامية وبسطت نفوذها على بلاد تمبكتو وأراض واسعة حول النيجر الوسطى كما قامت في هذه المنطقة بعد ذلك امبراطورية غاو السونغية ثم ازدهر الاسلام في بلاد افريقيا الغربية في مطلع القرن الماضي على يد المصلح النيجري الكبير عثمان دان بوالذي بدأ بنشر الاسلام مابين النيجر وتشاد وأسس امبراطورية سوكوتو . وقد خلفه في عمله العظيم سيكو حمان وبساري توكولور حاج عمر الذي نشر الاسلام في كثير من البلدان الافريقية ثم حارب الفرنسيين الذين كانوا يحملون بسط نفوذهم في المنطقة ولكن حين قتل الحاج عمر لم يتمكن ابنه من الوقوف في وجه الزحف الفرنسي وكذلك حين حاول ساموري امام غينيا تأسيس امبراطورية اسلامية تضم السنغال وفولتا العليا تغلب عليه الفرنسيون وأسروه .

وفي مطلع هذا القرن استطاع الفرنسيون بقواتهم التي كانت قد تمكنت على الساحل الغربي من بلاد السنغال ، بسط نفوذهم على ما يسمى اليوم بلاد النيجر وداهومي وفولتا العليا وساحل العاج ومالي وغينيا وموريتانيا والسنغال ، وقد عرفت هذه البلاد أيام الاستعمار بأفريقيا الغربية الفرنسية وفي عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م . شكك الفرنسيون في منطقة مالي الحالية اقليما سموه ( السنغال العليا والنيجر ) ثم استبدلوا به اسم ( السودان الفرنسي ) .

#### \* الحياة الاقتصادية :

من المحصولات الزراعية في مالي الرز والفول السوداني والقطن . ومن موارد البلاد المواشي الكثيرة وجلود الحيوانات البرية . والاسماك التي تصاد في نهري النيجر والسنغال وأشجار الصمغ والملح الذي يستخرج بكميات كبيرة من مدينة الملح شمالي تمبكتو . وتقوم الصناعة على المنتجات المحلية . وفي مالي كثير من الطرق المعبدة . وسكة حديد تربط العاصمة باماكويكي من كوناكري ( عاصمة غينيا ) وابيدجان ( عاصمة ساحل العاج ) ووحدة النقد هي الفرنك الجديد .

#### \* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد سكان مالي ( ٤٥ ) مليون نسمة ( ٦٠ ٪ ) منهم مسلمون والباقيون اكثرهم من الوثنيين ويحتوي السكان الى عدد من القبائل أهمها سبارا ولكل قبيلة لغتها الخاصة بها وبعض هذه اللغات تكتب بحروف عربية لكن الفرنسية هي اللغة الرسمية وقد حاول الاستعمار نشر ثقافته الأوروبية ولغته الفرنسية على حساب العلوم الاسلامية واللغة العربية وفي مالي اليوم بعض الكتاتيب التي تلقن مبادئ القراءة والكتابة العربية والديين الاسلامي وقد افتتحت الحكومة عددا من المدارس الابتدائية والثانوية والغنية ، ومع ذلك فلا يزال التعليم ضعيفا . وليس في مالي جامعات ان يمضي الطلبة الى دكار وغيرها لمتابعة تعليمهم العالي .

## النيجر

\* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تجاور جمهورية النيجر في الشمال الجزائر وليبيا . وفي الشرق تشاد وفي الجنوب نيجيريا وداهومي وفي الغرب فولتا العليا ومالي ، وليس لها منفذ على البحر وتبلغ مساحتها ( ١٨٨٧٩٤ ) كم ٢ .  
يؤلف القسم الشمالي والوسط من أراضي النيجر جزءا من الصحراء الكبرى ويقوم الرعي على أطراف الصحراء ، اما في الجنوب الغربي حيث يرويه نهر النيجر وفي المناطق الممتدة شرقا حتى بحيرة تشاد فتقوم الزراعة التي تعتمد على الري ومياه الامطار .

\* المدن الرئيسية :

نيامي وهي العاصمة وزندروتا هـ و . . . . .

\* التاريخ :

تسرب الاسلام عن طريق دعائه المخلصين الى ارض النيجر وغيرها من بلاد السودان في القرون الهجرية الاولى وما جاء القرن الخامس حتى كانت البلاد تحت حكم زعماء الهاوسا والطوارق المسلمين وفي القرن العاشر الهجري دخلت بلاد النيجر في ظل امبراطورية غاوا السونغية .  
وفي مطلع القرن الماضي دانت البلاد للزعيم الديني الكبير عثمان دان غوديو الذي نشر الاسلام في تلك البقاع . وفي هذا القرن الماضي تطلع المستعمرون الاوروبيون الى امتلاك الاقطار الافريقية واستغلال خيراتها . وسترخوا نواياهم الاستعمارية بدعوى السياحة واكتشاف منابع الانهار ومجاهل البلاد . وهم يريدون بذلك ان يتعرفوا على طبيعة الارض ومسالكها ليسهل عليهم غزوها ، كما زعموا أنهم يحبون نشر الحضارة في البلاد المتخلفة وتعليم الافريقي الاخذ بأسلوب وأسباب المدنية



الحدیثة . وهم يريدون في الحقيقة افساد الاخلاق واصطياد العواطف  
وشراء الانصار والعملاء وقد تعاون رجال الكنيسة مع الاستعمار كما هو  
معروفاً وقد استطاع المبشرون أن يجعلوا كثيراً من سكان البلاد عبيدا  
يسلمون بلادهم ومقاليد امتهم لسادتهم الذين يحملون اليهم الانجيل  
يفتحون لهم بزعمهم ابواب الجنة ، فكانوا كما قال بعضهم : اعطونا  
الانجيل وسلبونا الارض ، تركونا ننظر الى السماء بينما كانوا هم ينظرون  
الى ما في ايدينا . وهذا ما حدث في النيجر وغيرها من البلدان الافريقية  
في مطلع هذا القرن الهجري مضى الخبراء البريطانيون لاستكشاف نهر  
النيجر والتقوا بابن عثمان دان فوريو وعادوا بأول دراسة دقيقة للمنطقة  
ثم تبعهم الفرنسيون ثم كانت المعاهدة الانكلو فرنسية التي اتفقت فيها  
الدولتان المستعمرتان على حدود النيجر وتعاونتا طويلا على اخضاع  
المنطقة حتى تم للفرنسيين احتلال بلاد النيجر نهائيا . وحين فازت  
معظم الشعوب الافريقية حديثا باستقلالها أصبحت النيجر جمهورية  
مستقلة ضمن الرابطة الفرنسية . وتولى رئاستها السيد ديوري هاماني  
زعيم الحزب التقدمي النيجري ثم انفصلت عن الرابطة الفرنسية ونالست  
استقلالها التام عام ١٢٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ولا يزال السيد ديوري هاماني  
حاكم النيجر وحزبه يحتل كافة مقاعد المجلس التشريعي .

وهناك روابط دينية وتاريخية وثيقة تربط النيجر بنيجيريا الشمالية .

#### \* الحياة الاقتصادية :

تقوم الزراعة في جنوب النيجر واهم المزروعات القطن والذرة والفول  
السوداني . أما الرعي فيقوم في الوسط وتصدر النيجر عددا كبيرا  
من المواشي الى نيجيريا .

وأهم المعادن القصدير ثم السفيث وخام الحديد . ولا تزال  
الصناعة خفيفة واهمها صناعة الجلود واستخراج الطح .

هناك شبكة من خطوط المواصلات مع الدول المجاورة وفي ميامي مطار دولي . أما نهر النيجر فيصلح للملاحة في بعض شهور السنة . ووحدة النقد في النيجر هي الفرنك الجديد .

### \* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان النيجر حوالي ( ٣ ) ملايين نسمة ( ٨٩ ٪ ) منهم مسلمون . ومعظم السكان من قبائل الهوسا والسنغال والطوارق ، وكلهم مسلمون .

وللك قبيلة لغتها الخاصة . ولكن لغة الهوسا هي اللغة التجارية السائدة بين السكان والفرنسية اللغة الرسمية في البلاد . وقد عمل الفرنسيون كعادتهم على ان يتركوا أبناء البلاد متخلفين في كل مجالات الحياة ولم يقوموا بنشر التعليم الا ما كان منه في مدارسهم التي تعلم الفرنسية والثقافة الا وروبية البعيدة عن شخصية أبناء البلاد الاصلية . ولا تزال المدارس الآن قليلة لا تفي بحاجة السكان . كما أن التعليم العالي غير موجود وهناك بعض الطلاب من النيجر يتابعون دراستهم العالية خارج البلاد .

××××××××××

## تشاد

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع جمهورية تشاد في افريقيا الاستوائية وتجاوز في الشمال ليبيا ، وفي الشرق السودان وفي الجنوب جمهورية افريقيا الوسطى ، وفي الغرب الكومون ونيجيريا والنيجر وتبلغ مساحتها ( ٠.٠٠٤٨٢٤٠٠ ) كم ٠٢ . ويمتد في البلاد سهل فسيح تخترقه اودية أنهر شارى ولوتجون وبحر الفزال مع حوض ترسيبي ينحدر تدريجيا وينتهي بحيرة تشاد .

### \* المدن الرئيسية :

أهم المدن ( فورت لامي ) وهي العاصمة ثم فورد تشامبولت وموندو .

### \* التاريخ :

وصل الاسلام الى تشاد مع التجار المسلمين الذين كانوا يقبلون من الشمال عبر الصحراء او من مصر عبر السودان ، ومنذ القرن الخامس الهجرى قامت في هذه المناطق ممالك اسلامية اتسع نفوذها حتى شمل البلاد كلها .

وفي مطلع هذا القرن الهجرى كانت هناك مملكة اسلامية واسعة في هذه المنطقة تضم معظم اواسط السودان ويرأسها السلطان عبدالكريم . وفي هذه الفترة كان الفرنسيون قد تمكنوا من شمال وغرب افريقيا وبدأوا غاراتهم على اواسط افريقيا وعقدوا معاهدات مع بعض سلاطينها وقد تصدى لهم أبناء السلطان عبدالكريم وكان قائد قواتهم الامير رابح الذي تصدى للجيش الفرنسي طويلا ، وفي احدى المعارك معهم قتل القائد الفرنسي ليرمي الذي سميت كبرى مدن تشاد باسمه ، استطاع الفرنسيون بعد استشهاد الامير رابح دخول تشاد والانتقام من أبنائها المسلمين ، وقد قتلوا بالساطور في مذبحه ككب وحدها ( ٤٠٠ ) عالم وأخذوا بتنفيذ سياستهم الاستعمارية البغيضة في القضاء على السروح

الاسلامية في حياة التشاد بين وفي سنة ١٩٥٨ أجرت انتخابات في البلاد أصبحت تشاد بموجبها عضوا في مجموعة الشعوب الفرنسية ثم استقلت عنها عام ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م وأصبح فرانسوا تمباي رئيسا للجمهورية مع احتفاظه برئاسة الوزراء . وفرانسوا تمبلباي من الحزب التقدمي التشادي الذي قام في البلاد برعاية فرنسا وتمكينها ليكون وصيا على المصالح الاستعمارية بعد خروج الفرنسيين وقد عقد تمبلباي مع فرنسا معاهدات فنية واقتصادية ودفاعية ، كما فتح الباب لدولة اسرائيل لتغزو البلاد اقتصاديا وسياسيا . وقد هب المسلمون التشاديون يقاومون هذا الاستعمار الجديد . وأسسوا أخيرا جبهة التحرير الوطني التشادي ( فرومينا ) التي بدأت - المقاومة الشعبية المسلحة من داخل البلاد وكادت تطيح بحكومة تمبلباي لولا أن استنجد بسادته الفرنسيين فاجدوه بطائرات حربية تحمل أسلحة هدامة حاولت القضاء على الثوار أبناء البلاد ، ولكنها لم تستطع ، وقد واصل المجاهدون مقاومتهم وسيطروا على مناطق واسعة من البلاد . ومن المؤسف ان الدول الاسلامية الافريقية المجاورة لا تساعد الثوار المسلمين في تشاد او غيرها ولا ترضى ان تقاوم حكومة تمبلباي وأمثاله من المتسلطين على رقاب المسلمين في افريقيا بحجة انتعاشها جميعا الى منظمة الوحدة الافريقية هذه المنظمة التي قامت لتحمي الحكام لا الشعوب - المحكومة ، وسكتت عن جرائم هيلاسيلاسي في مسلحي الحبشة وارتيريا ووقفت موقف المتفرج من ذبح زعماء المسلمين في نيجيريا .

#### \* الحياة الاقتصادية :

في تشاد طبيعة كافية لأن تكون مخزن الحبوب في افريقيا ومع ذلك فتشاد اليوم بلد فقير حافظ الاستعمار على فقره وبقائه محتاجا للمساعدات الفرنسية . ولا تزال الزراعة بدائية وأهم المحصولات القطن والرز ( الذرة الرفيعة ) وفي البلاد مراع واسعة تربي فيها الاغنام وغيرها .

كما أن الاسماك تصاد بكمية كبيرة من بحيرة تشاد . أما المعادن وأهمها البترول الذي اكتشف أخيرا في الصحراء . وطرق المواصلات قليلة وتمكن الملاحة في الانهر لبعض اشهر السنة . ووحدة النقد هي الفرنك التشادى .

#### \* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد السكان في تشاد ( ٣ ) ملايين نسمة ( ٨٨ ٪ ) منهم مسلمون و ( ١٠ ٪ ) وثنيون و ( ٥ ٪ ) نصارى ويعيش معظم السكان على الزراعة والرعي وصيد الاسماك وتتبع تقاليد الشعب وآدابه الاجتماعية من الاسلام فهو شعب كريم وشجاع يتفانى في الدفاع عن بلادهم كما أنه عرف بحبه للصيد .

#### \* التحرر الوطني التشادى :

ويتكلم التشاد بون اللغة العربية مشوبة باللهاجة السودانية بالاضافة الى اللهجات المحلية المختلفة وقد كانت العربية منذ قرون لغة الثقافة عند جمهور المسلمين ولكن الفرنسيين الذين حكموا تلك البلاد حاربوا المدارس العربية وعلموا على سيادة لغتهم بين المثقفين . أما التعليم فلا يزال ضعيفا في تشاد .

ان عمل الفرنسيون على تجهيل المسلمين وقصروا التعليم على الذين اعتنقوا المسيحية ولا تزيد نسبة المتعلمين في البلاد على ( ٣ ٪ ) من السكان وليس في تشاد اليوم الا مدرسة ثانوية واحدة وثلاث مدارس فنية ومعهد للمعلمين . ونظام التعليم في البلاد لقد عمل الاستعمار الاوروبى في تشاد وغيرها على خفض مستوى المسلمين ، وأبعد وهسم عن الميادين السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية واستمر طويلا يعيث في الأرض فسادا الى أن استيقظ الافريقي من غفلته وهسب كالأعصار الأسود لا ييقى ولا يذر ولم يجد الا وروبيون سد من

التخلي عن مستعمراتهم فخرجوا من أكثرها في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ولكن هذا الاستقلال الذي نالته البلاد الإسلامية في أفريقيا لم يكن كاملا فقد خلف الاستعمار في بلاد المسلمين جراحا عميقة لم تندمل بعد ان ترك أبناؤها يعانون الجهل والفقر والمرض ومكن للأقلية التي تعلمت في مدارسها أن تتحكم بالأغلبية وتعيب بقدراتها .

+++++

## تانزانيا وتنجانيقا وزنجبار

### \* الموقع والمساحة والمعالم الطبيعية :

تقع تنجانيقا وزنجبار شرقي افريقيا ويحد تنجانيقا من الشمال اوغندا وكينيا ومن الشرق المحيط الهندي ومن الجنوب موزامبيق ونياسالا ندروديس الشمالية ومن الغرب الكونغو وتكون بحيرات فكتوريا وتنجنيقا وتياسا أجزاء من حدودها . وتبلغ مساحتها ( ٨٠٠ ر ٨٩١ ) كم<sup>٢</sup> وتتألف أراضيها من سهل ساحلي ضيق وهضبة عالية في الوسط ذات منحدرات سحيقة على طرفيها الشرقي والغربي .

أما زنجبار فجزيرة تقع في المحيط الهندي تجاه ساحل تنجانيقا وكانت توألف مع جزيرة بامبا القريبة لسلطنة زنجبار وتبلغ مساحتها ( ٢٦٥٢ ) كيلومتر مربع .

### \* المدن الرئيسية :

أهم المدن زنجبار عاصمة زنجبار وهي ميناء هام يقع على الساحل الغربي للجزيرة وسكانها خليط من الافريقيين والهنود والباكستانيين والعرب والاروبيين ودار السلام عاصمة تنجانيقا وجمهورية تانزانيا وفيها مطار دولي وميناء هو أهم موانئ الجمهورية .

### \* التاريخ :

كان لتانجانيقا وزنجبار منذ القديم أهمية تجارية وكان صلتها وثيقة بجزيرة العرب والهند وحين جاء الاسلام شق طريقه الى ساحل افريقيا الشرقي مع التجار المسلمين الذين مضوا تجارا ودعاة الى الله وسرعان ما قامت دويلات اسلامية على طول هذا الساحل . ففي القرن الخامس الهجري حكمت هناك امبراطورية الزنج الاسلامية التي اتخذت عاصمتها كيلوا ومدت سلطتها على طول الساحل الشرقي من افريقيا ووقعت تلك

المناطق تحت رحمتهم حتى ازاحهم عنها سلاطين عمان واستمر نفوذها حتى ظهر البرتغاليون على الساحل الافريقي .

ففي عام ١٠٦٢ هـ = ١٦٥٢ م قدم امام عمان سيف بن سلطان لنجدة الامارات الاسلامية المتنافرة على الساحل الافريقي وبسط سلطانه على تلك البقاع . ثم امتد نفوذ أئمة عمان من المواني الصومالية شمالا الى رأس ديلجاد وجنوبا ونقلوا عاصمتهم من مسقط الى زنجبار ولكن السلطنة لم تثبت ان ضعفت واصبحت عمان محمية بريطانية ووقعت املاكها في أيدي الدول الأوروبية الطامعة فاستولت ايطاليا على القسم الشمالي ( الصومال ) كما أخذت بريطانيا القسم الاوسط الذي عرف فيما بعد بمحمية كينيا . وحازت المانيا القسم الجنوبي الذي عرف فيما بعد تانجانيقا .

وحين هزمت المانيا في الحرب العالمية الاولى انتزعت من الجيوش البريطانية تانجانيقا . واستمرت في حكمها الى عام ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م حيث استقلت والفت فيها حكومة برئاسة بوليوس بنا ريري .

أما سلطنة زنجبار التي كانت مع كينيا من نصيب بريطانيا فقد استقلت عام ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م ولكن الانقلاب الذي قام بعد ذلك فيها أطاح بالسلطان جشيد واثى بالشيخ عبد الكريم رئيسا لجمهورية زنجبار ومالبت أن اتحدت مع تانجانيقا وكونت معها تنزانيا ، الجمهورية المتحدة لتانجانيقا عام ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م وعين يوليوس يناريري رئيسا للجمهورية .

والشيخ عبدالكريم نائبا للرئيس .

### الحياة الاقتصادية :

تزرع تنزانيا الذرة الصفراء والرز والقطن والبن والسيسل (١) والقرنفل (٢)

- (١) : السيسل نبات معمر يزرع الالياف التي تستخلص من الاوراق ويدخل في صناعة السجاد والحقائب وصبوات السكر والبن .
- (٢) : القرنفل هو شجرة مستديمة الخضرة تستعمل براعمها الزهرية الغير متفتحة لا كساق الاطعمة نكهة طيبة ، تثبت كثرة في اندونيسيا وزنجبار



وتعد تنجانيقا المصدر الرئيسي للسيسل في العالم كما تعد زنجبار  
أكثر بلاد العالم إنتاجا للقرنفل .  
وفي تنزانيا احراج تستفيد منها الخشب والثروة المعدنية الجيدة  
أهمها الماس والذهب والقصدير .  
أما الصناعة فتقوم على استثمار المحاصيل الزراعية مع بعض الصناعات  
الخفيفة الأخرى .  
وفي البلاد طرق معبدة وسكك حديدية وملاحة بحرية وفيها خمسون  
مطارا وعدة موانئ تجارية .  
والوحدة النقدية هي الشلن الافريقي .  
\* السكان واللغة والتعليم :

يبلغ عدد سكان تنجانيقا ( ١٠ ) ملايين نسمة ( ٦٠ % ) منهم مسلمون  
والباقيون من النصارى والوثنيين ومعظم السكان الوطنيين من البانتو وفي  
البلاد جاليات أوروبية وآسيوية عديدة .  
يتكلم الشعب لهجات محلية عديدة ولكن اللغة الساحلية هي السائدة  
واللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية .  
أما عدد السكان في زنجبار فيبلغ مليون نسمة ( ٩٩ % ) منهم مسلمون  
واللغة العربية معروفة عند كثير من أبناء البلاد وهي ذات أثر واضح  
في ثقافتهم ولغتهم السواحلية .  
ولا تزال هناك كتابات تعلم القرآن الكريم واللغة العربية ، وقد  
قامت بعد الاستقلال مدارس وطنية الى جانب المدارس الاجنبية التي  
أقامها الاستعمار وفي دار السلام جامعة انشئت حديثا ولا تزال في مراحلها  
الأولى .

=====

## انتشار الاسلام في افريقية

### العرب في شمال افريقية

ان تاريخ الاسلام في افريقية الذي يستغرق فترة تقرب من الثلاثة عشر قرنا ، والذي ينتظم ثلثي هذه القارة الواسعة ، بما فيها من مختلف القبائل وشتى الاجناس ، ليضع مشاكل بعينها في طريق بحث الموضوع بحثا منظما ، ان يستحيل علينا ان نصور انتشار الاسلام في كافة ارجاء القارة تصويرا دقيقا يقوم على نظام تاريخي . وقد عالجننا في فصل سابق الصلة بين انتشار الاسلام وبين الكنائس المسيحية في مصر وبقية افريقية الشمالية ، ثم بينه وبين كنائس بلاد النوبة وبلاد الحبشة ، اما في هذا الباب فنريد ان نتتبع تقدمه بين الوثنيين في افريقية الشمالية اولا ، ثم في السودان وعلى طول الساحل الغربي ثانيا ، واخيرا على طول الساحل الشرقي ومستعمرة الكاب .

### اسلام البربر

وان ما لدينا من اخبار انتشار الاسلام في الشعوب الوثنية في شمال افريقية ، لا يكاد يزيد الا زيادة طفيفة على تلك الحقائق القليلة التي ذكرناها من قبل عن زوال الكنيسة المسيحية . لقد قاوم البربر الجيوش العربية مقاومة عنيفة ، ويظهر ان استعمال القوة في تحويلهم الى الاسلام كان له اثر اكبر مما استخدم في سبيل هذا التحويل من وسائل الاقناع والترغيب . فكانوا كلما سنحت لهم الفرصة ، ثاروا على الدين كما ثاروا على حكم الفزاة الذين فتحوا بلادهم ، حتى ليقرر المؤرخون العرب ان مرات ارتدادهم عن الدين بلغت اثنتي عشرة مرة . وفي تاريخ الكفاح الطويل بين العرب والبربر ، اشارات

قليلة بسيطة عن دخول الاخيرين في الاسلام . ويظهر ان اسلام البربر في بعض الاحيان انما كان يدفع اليه علمهم بأنه لا فائدة من التمسك في مقاومة الجيوش العربية . فحين وقف البربر في وجه الغزاة سنة ٧٣٠ آخر وقفة لهم ، تنبأت الكاهنة ، وكانت نبئتهم ، وزعيمتهم المقدامة ، ان النصر سيتحول عنهم . وارسلت ابناؤها الى معسكر القائد العربي ، واوصتهم بأن يسلموا ويقفوا في صف الاعداء . اما هي فقد اختارت لنفسها ان تموت وهي تحارب في جانب مواطنيها في المعركة الكبرى التي حطمت قوة البربر السياسية ، واخضعت افريقية الشمالية للعرب . وعقد الصلح بين الفريقين على شريطة ان يقدم البربر اثني عشر الفا محارب الى صفوف الجيش العربي ، وتكون من هؤلاء البربر جيشان ، وضع كل منهما تحت امره واحد من ابناء الكاهنة . وبتلك الحيلة ، نعتي ادخال البربر في جيوش العرب ، امل قواد المسلمين ان يدخلوهم في الاسلام ، وذلك بأن يطعموهم في الغنائم .

وكان الجيش المؤلف من سبعة آلاف من البربر ، والذي ابحر من افريقية سنة ٧١١ م ليفتح اسبانيا بقيادة طارق وكان هو نفسه بربريا ، يتألف من اشخاص كانوا قد دخلوا في الاسلام حديثا . وقيل ان دخولهم في الاسلام كان عن يقين ثابت . وقد اختير العلماء والفقهاء من العرب ، ليقرءوا ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم . ويعلمون كل ما فرضه الدين الجديد من واجبات . واظهر موسى ، فاتسح افريقية العظيم ، حماسة نحو اهلها شأن الاسلام ، بأن خصص جزءا كبيرا من المال الذي كان يعطيه اياه الخليفة عبد الملوك ، ليشترى امثال هؤلاء الاسرى اذا ما تعهدوا بأن يظهروا انهم جذيرون بأن يكونوا

بناءً أوفياءً للإسلام . ” فكان كلما وجد عدداً من الرقيق ، معروضاً للبيع ، عقب أي انتصار ، اشترى كل الذين يظن أنهم سيعتقدون الإسلام راغبين ، والذين كانوا من أصل كريم ، والذين يظهرون ، إلى جانب ذلك ، بمظهر الشباب العامل النشيط . وكان أول الأمر يعرض على هؤلاء أن يعتقوا الإسلام ، فإذا ما تحولوا إلى خير الأديان ، بعد فصل مداركهم وتهيبعتهم لاستقبال الحقائق السامية وكان تحولهم إليه صادفاً ، استخدم مهم على سبيل تجربة كفاياتهم ، فإذا اثبتوا استعداداً ومواهب طيبة اعتقهم في الحال ، وعينهم في مراكز هامة في جيشه ، ورفاههم حسب كفاياتهم ، وإذا كان العكس ، ولم يظهروا صلاحية في أعمالهم ، أعادهم إلى مستودع الأسرى العام التابع للجيش ، ليتخلص منهم حسب العادة المتبعة عندهم ، وهي أن ينتزعوا بالسهم ما فيهم من فساد . ”

أما معرفة إلى أي حد كان إسلام البربر سطحياً ، فيمكن أن نحكم على ذلك مما حدث حين عين عمر بن عبد العزيز الوريث في سنة ١٠٠ هـ ( ٧١٨ م ) إسماعيل بن عبد الله والياً على شمال أفريقيا ، وأرسل معه عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي البربر في أمور دينهم ، فلم يكن يظهر حتى ذلك الوقت أنهم كانوا يعلمون أن دينهم الجديد يحرم عليهم شرب الخمر . ويقال هذا الوالي الجديد أظهر نشاطاً عظيماً في دعوة البربر إلى قبول الإسلام ، ولكن الحكم بأن جهوده كللت بالنجاح ، بحيث لم يبق واحد من البربر لم يدخل الإسلام ، حكم لا شك غير صحيح . وذلك لأن تحويل البربر إلى الإسلام كان من غير شك عمل قرون عديدة ، بل أنهم يحتفظون حتى الوقت الحاضر بكثير من نظمهم الفطرية التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية .

ولم ترسخ قدم الاسلام بينهم الا بعد ان اتخذ شكل حركة قومية ،  
واصبح مرتبطا بتولي دول البربر الحكم ، تلك الدول التي دخل في  
عهدا كثير من البربر في حظيرة الاسلام ، وكانوا من قبل يعدون  
قبول هذا الدين رمزا على ضياع الاستقلال السياسي . اما عن  
التغيرات المختلفة التي طرأت على حالة البربر السياسية ، فليس هنا  
مجال الحديث عنها ، ولكن الذي يستحق ان نخصه بالذكر في تاريخ  
الدعوة الى الاسلام ، هو ظهور المرابطين ، باعتباره حركة قومية  
عظيمة جذبت عددا كبيرا من قبائل البربر نحو الاندماج في الاممة  
الاسلامية . وفي مستهل القرن الحادي عشر الميلادي نجد يحيى بن  
ابراهيم شيخ قبيلة صنهاجة ، احدى قبائل الصحراء ، يبحث في  
المراكز الدينية في افريقية الشمالية ، في اثناء عودته من حج بيت الله  
بمكة ، عن معلم تقى متفقه ، يصحبه الى ابنا قبيلته الجهلة المظلمين  
داعيا الى الاسلام : فوجد في اول الامر ان من العسير ان يعثر  
على رجل يرضى بترك اعتكافه العلمي ويستهيى بمخاطر الصحراء ،  
ولكنه اخيرا وجد في عبد الله بن ياسين الشخص الذي يليق لهذا  
العمل ، ان كان فيه من الاقدام ما يكفي للقيام بمثل هذه الرسالة  
الشاقة ، وكان تقيا زاهدا في حياته ، متفقا في الدين والشريعة  
وغيرها من العلوم . وان رجعنا الى القرن التاسع الميلادي وجدنا  
ان دعاة الاسلام شقوا طريقهم بين بربر الصحراء ، واقرأوا فيهم  
دين النبي ، ولكن هذا الدين لم يجد هناك من القبول الا قليلا .  
وقد وجد عبد الله بن ياسين انه حتى الذين اقرأوا بالاسلام كانوا  
يهملون شعائرهم الدينية اهمالا شديدا ، ويستسلمون لكل السوان  
العادات الموزولة . فكرس نفسه ، متحمسا ، لهدايتهم الى

السرّاط المستقيم ، وفقّيههم في امور دينهم ، ولكن العنفا الذي زجرهم به عن رذائلهم ، وحاول بواسطته ان يصلح سلوكهم ، حول عواطفهم عنه ، فدفعه في الغالب اخفاه في رسالته الى ان يهجر هذا الشعب العنيد ويقصر جهوده على هداية السودان الى الاسلام ولما استحث على الا يترك عملا كان قد زاوله من قبل ، لجأ مع من جمعتهم حوله دعوته من تلاميذ ، الى جزيرة في نهر السنغال حيث بنوا بها رباطا اسلموا انفسهم فيه لعبادة متصلة . اما هو<sup>٤٦</sup> البربر الذين كانوا اكثر استعدادا للتدين ، والذين حملهم على الثوبة تفكيرهم في الرذيلة التي اخرجت معلمهم المتدين من بينهم فجاءوا خاضعين الى جزيرته يلتمسون منه العفو ، ويتلقون تعاليمه في حقائق الدين المخلصة . وعلى هذا النحو تجمعت حوله هناك يوما بعد يوم جماعة من تلاميذه اخذت في النماء ، وكانت على الاخص من لمتونه وهي فخذ من قبيلة صنهاجة ، اخذت اخيرا في الزيادة حتى بلغت حوالي الف شخص . بعد ذلك رأى عبد الله بن ياسين ان الوقت قد حان للخروج الى محيط اوسع للعمل ، فطلب الى اتباعه ان يعبروا عن شكرهم لله على هذا التنزيل الذي انعم به عليهم وذلك بأن ينقلوا العلم به الى غيرهم من الناس : " اخرجوا على بركة الله تعالى وانذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وابلغوههم حجته . فان تابوا وانا ابوا ورجعوا الى الحق واقتلوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم ، وان ابوا ذلك وتمادوا في غيرهم ولجوا في طغيانهم استغثنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا " . ومن ثم ذهب كل رجل الى قبيلته وعشيرته فوعظهم ان يتوبوا ويصدقوا ، ولكنهم لم ينجحوا في هذه السبيل : كذلك اخفقت جهود عبد الله بن ياسين نفسه ، الذي ترك رابطة لعلة يجد رؤساء

البربر في ذلك الوقت اقوى رغبة في الاصغاء لدعوته . واخيرا ، قاد اتباعه في سنة ١٠٤٢ م ، الذين سماهم بالمرابطين — وهو اسم مأخوذ من نفس المادة وهي الرباط اى الخلوة التي اتخذها في جزيرة بنهر السنغال — وهاجم القبائل المجاورة وارغمهم على قبول الاسلام . وقد بدا لقبائل الصحراء ، ان النجاح الذي حالف بن ياسين في غاراته الحربية ، كان حجة اقوى على اقناعهم من جميع تعاليمه ، وسرعان ما تقدموا طواعية الى اعتقاد دين كفل لجيوش اتباعه مثل هذه الانتصارات الباهرة . ومات عبد الله بن ياسين في سنة ١٠٥٩ ، ولكن الحركة التي كان قد بدأها لم تمت بموته ، بل جاءت قبائل كثيرة من البربر الوثنيين لتزيد في جموع ابناء وطنهم المسلمين ، واعتقدوا الاسلام على انه القضية التي كافحوا من اجلها ، وتدفعوا من الصحراء على افريقية الشمالية ، ثم فرضوا سيادتهم آخر الامر على اسبانيا كذلك .

ولا يبعد ان تكون الحركة القومية الكبرى التي نشأت بين قبائل البربر ، واعني بها ظهور الموحدين في بداية القرن الثاني عشر الميلادي ، قد جذبت الى المسلمين بعض القبائل التي كانت بعيدة عن الاسلام حتى ذلك الحين . وقد قرب ابن تومرت ، مؤسس دولة الموحدين ، الى العامة عقائد هذه الطائفة في التوحيد ، وهي التي تمسكوا بها ، وكان ذلك عن طريق ما ألفه من كتب باللغة البربرية شرح فيها قواعد الاسلام الاساسية ، من وجهة نظره الخاصة ، كما اتاح للقومية البربرية امتيازا ابعد من هذا ، ان امر بأن يكون اذان الصلاة باللغة البربرية ، ومع هذا ، ظل بعض قبائل البربر على الوثنية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، الا ان الاتجاه

العام كان بطبيعة الحال سائرا نحو اندماج هذه الجماعات الصغرى في الجماعات الاسلامية الكبرى . وقد شهد القرن السادس عشر الميلادى نشأة حركة نشيطة ، في نشر تعاليم الدعوة في بلاد المغرب ، كانت ترجع الي رد الفعل الذي احدثته انتصارات المسيحيين في اسبانيا وافريقية الشمالية — وقد امتدت هذه الحركة نظام المرابطين بدافع قوى ، وخرجت جموع كبيرة منهم من الربط في جنوب مراكش ليقوموا بحملة ارشاد سلمية في كافة انحاء بلاد المغرب ، مجددين عقيدة هؤلاء المسلمين الذين فتر ايمانهم ، ومحولين الى الاسلام جيرانهم من الوثنيين . وقام اللاجئون من اسبانيا بنصيبتهم في حركة نشر تعاليم الدعوة الى الاسلام هذه ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ان جاءوا لمساعدة الاشراف وابتاء ادريس بن عبد الله ، الذين كانوا قد فروا الى مراكش هربا من فضب هارون الرشيد . ومن الصحراء الكبرى ، ذاعت معرفة الناس بالاسلام اول الامر بين زنوج السودان . ويكتنف الغموض تاريخ هذه الحركة القديم ، ولكن يظهر ان هناك شيئا من الشك في ان البربر هم اول من ادخل الاسلام في البلاد لتي يرويها نهر السنغال والنيجر ، حيث اتصلوا بممالك وثنوية ان بعضها ( مثل غانة Ghana و صنفاي Songhay ) عريقا في القدم . وكانت لمتونة وجدالة القبيلتان البربريتان اللتان تنتميان الى شيرة صنهاجة تميزان بصفة خاصة بحماستهما الدينية في تحويل الناس الى الاسلام ، وبجهودهم اشرت حركة المرابطين في قبائل السودان الوثنية . وكان عهد يوسف بن تاشفين مؤسس مراكش ( ١٠٦٢ م ) وتاني امراء دولة المرابطين ، حافلا جدا بدخول اس في الاسلام . واخذ كثيرون من الزنوج الذين كانوا تحسبهم يتعلمون مبادئ محمد . وفي سنة ١٠٢٦ م طرد البربر



الذين ظلوا وقتا ما ينشرون الاسلام في مملكة فانة ، الاسرة الحاكمة التي يحتمل انها كانت اسرة فلبى Fulbe ، واسلمت هذه المملكة القديمة عن بكرة ابيها ، وفي القرن الثالث عشر الميلادى فقدت استقلالها واحتلها المندنجو Mandingos .  
اما عن دخول الاسلام في مملكة سنغاي Songhay القديمة التي يقال انها وجدت في عهد مبكر يرجع الى سنة ٧٠٠ م ، فلم يذكر لنا التاريخ الا ان اول ملك مسلم كان يسمى زاكسي وكان الملك الخامس عشر من اسرة زا ، وقد اسلم في سنة ٤٠٠ هـ ( ١٠٠٩ - ١٠١٠ م ) واصطلح على تسميته في لغة سنغاي باسم مسلم دام Muslim-dam ويدل هذا الاسم على انه دان بالاسلام بمحض ارادته لا عن طريق الارغام ، ولكن لم يرد اى ذكر عن الموءثرات التي دان لها باسلامه .

### في السودان الغربي

وفي هذا القرن نفسه تأسست على النيجر الاعلى مدينتان قدر لهما في القرون المتعاقبة ان توءثرا تأثيرا قويا في تقدم الاسلام في السودان الغربي — احدهما مدينة جني Genne التي تأسست سنة ٤٣٥ هـ ( ١٠٤٣ - ١٠٤٤ م ) ، والتي قدر لها ان تصبح مركزا تجاريا هاما ، والاخرى مدينة تمبكتو Timbuktu وهي مركز هام لتجارة القوافل مع الشمال ، وقد تأسست هذه المدينة حول سنة ١١٠٠ م . وقد اسلم كنبرو Kunburu ملك جني حول نهاية القرن السادس الهجرى ( اى حول سنة ١٢٠٠ م ) ، فحذا حذوه سكان المدينة ، ويقال ان كنبرو لما عزم على اعتقاد الاسلام جمع كل العلماء في مملكته ، وكان عددهم يبلغ ٢٠٠ عالما ( ومهما يكن

هذا العدد مبالغا فيه فان الرواية تبين لنا فيما يظهر ان الاسلام تقدم تقدا عظيما في البلاد التابعة لهذا الملك . ثم طلب النسي هو علماء العلماء ان يدعوا الله كي ينصر مدينته ، ومن بعدها هدم قصره وبنى في مكانه مسجدا عظيما ، وكانت تمبكتو الى جانب شهرتها بالتجارة ، مدينة اسلامية منذ البداية " مادنتها عبادة الاوثان ، ولا سجد على اديمها قط . لغير الرحمن " . وبعد ذلك بسنين صارت ذات شأن كمركز للتعاليم الاسلامية والتقوى ، وتوافد عليها الطلبة وعلماء الدين في جموع كبيرة ، مدفوعين بما كانوا يلاقونه فيها من تشجيع ورعاية . وقد اثنى ابن بطوطة ، الذي تنقل في هذه البلاد في اواسط القرن الرابع عشر على الزوج لحماستهم في اداء عبادتهم وفي دراسة القرآن ، ويخبرنا هذا الرحالة انه اذا كان يوم الجمعة ولم ييكر الانسان الى المسجد لم يجد ايين يصلي لكثرة الزحام . وفي عصره كانت اقوى ولاية في السودان الغربي هي ولاية ملي Melle او مالي Mali ، وكان امرها قد علا قبل ذلك بقرن ، بعد فتح غانة على ايدي المندنجو ، وهم من اعظم اجناس افريقية رقيا : ويذكر عنهم ليوا الافريقي Leo Africanus انهم اكثر جميع الزنوج مدينية واشدهم ذكاء واجدرهم بالاحترام ، ويمتدح الرحالون المحدثون صناعتهم ومهارتهم وامانتهم . وكان هؤلاء المندنجو من انشط الدعاة الى الاسلام الذي انتشر بواسطتهم بين الجماعات المجاورة لهم .

وكما جاء في تاريخ كانو Kano Chronicle كانت قبائل المندنجو هي التي عرفت قبائل الحوصة Hausa بالاسلام ، وليس تاريخ ذلك محققا ، كما هو الشأن في معظم التواريخ المتصلة بتاريخ ولايات قبائل الحوصة ، وذلك لان قبائل الفلاني Fulb

التي فتحت هذه الولايات في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ،  
اتلفت معظم سجلاتها التاريخية . ولكن اهمية اعتناق الحوضنة  
للاسلام لا يمكن ان نبالغ فيها ، فهم اصحاب نشاط وذكاء ، وقد  
اكسبتهم مهارتهم الفائقة في التجارة نفوذا كبيرا بين شتى القبائل  
التي اتصلت بهم ، فأصبحت لغتهم هي لغة التجارة في السودان  
الغربي . وحيثما ذهب تجار الحوضنة — وهم منتشرون من ساحل  
غينيا Guinea حتى القاهرة — نقلوا معهم الدين الاسلامي .  
وسنتحدث في الصفحات التالية عن نشاطهم في الدعوة للاسلام .  
اما فيما يتعلق باعتناق الحوضنة انفسهم هذا الدين فان الشواهد  
التاريخية تكاد تكون معدومة تمام الانعدام ، كما هو الحال فيما  
يتعلق بظهور ولايات الحوضنة السبع ، وملحقاتها ، ويظهر احد  
دعاة الاسلام الذين بعثوا الى كانوا Kanoa وكتزنا Katsena  
كان بلا شك استاذنا مثقفا ورعا ، وكان من تلمسان ، ذلك هو محمد بن  
عبدالكريم بن محمد المجيلي ، الذي نبغ حول سنة ١٥٠٠ م . ومن  
الممكن ان تكون الحوضنة قد تأثرت في اسلامها بهذه الموجة الكبيرة من  
السيطرة الاسلامية التي سرت من مصر صوب الجنوب في القرن الثاني  
عشر الميلادي . ويفخر تجار كردفان وتجار السودان الشرقي على وجه  
العموم ، بأنهم ينحدرون من العرب الذين شقوا طريقهم الى هذه  
البلاد بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة ١١٧١ . ولكن  
من المحتمل انه كان هناك ايضا الوان من النفوذ الاسلامي ، وقد اتى  
هذا النفوذ من الشمالي الشرقي وتطرق الى افريقية الوسطى . ومن  
مصر ، انتشر حتى دخل كانم Kanem وهي مملكة واقعة الى الشمال  
والشمال الشرقي لبحيرة شاد ، وبعد ان اعتقد اهلها الاسلام بقليل

اصبحت دولة ذات اهمية كبرى وبسطت سلطانها على قبائل السودان  
الشرقي الى حدود مصر وبلاد النوبة . ويقال ان اول ملوك كانم من —  
المسلمين حكم اما حول نهاية القرن الحادى عشر او في النصف الاول  
من القرن الثاني عشر الميلادى . ولكن التفصيلات التي لدينا  
عن انتشار الاسلام من الشمال الشرقي اندر حتى من تلك التفصيلات  
التي ذكرناها من قبل عن تاريخ دويلات السودان الغربي . وان مجرد  
ذكر تواريخ تحول ملوك هذه الدويلات الى الاسلام وتأسيس دول  
اسلامية ، لا يمدنا الا بأخبار قليلة ، ولكن حقيقة واحدة تبرز لنا  
واضحة من هذا السجل التاريخي الهزيل ، تلك هي البطء الشديد  
في تحول الناس هناك الى الاسلام . وان بقاء جموع كبيرة من عبدة  
الوثان يعيشون في الاقاليم التي مرت عليها قرون وهي تحت الحكم  
الاسلامي ، ليدلنا فيما يظهر على ان نفوذ الاسلام ظل محصورا في  
المدن طويلا ، ولم يتخذ طريقه الى الجماعات الوثنية الا تدريجيا .  
والواقع ان النفوذ الاسلامي لم يصادف مقاومة عنيدة كتلك التي جعلت  
جماعة البمبارا Bambara الوثنية يحتفظون بوثنيتهم ، مع  
انهم ( وقد سكنوا السنغال الاعلى والنجر الاعلى ) كانوا محاطين  
مدة قرون بسكان من المسلمين .

وقد حاول مرابط يدعى عمرو كبا Umaru Kaba ان يحول  
البمبارا الى الاسلام فأخفق ، وكان ذلك في اوائل القرن العشرين ،  
وقد اسس هذا الرجل جمعية اخوان دينية جديدة ، كانت على صلة  
بالقادرية ، فلما اخفق في جذب ابناء دينه وجه اهتمامه الى البمبارا  
الوثنيين ، وحاول ان يدخلهم في الاسلام ويضمهم الى جماعته .  
ويظهر انه كان في طريقه الى النجاح ، وكان قد حول الى الاسلام

من قبل قرية وتنية في ولاية سنسندنج Sansanding ، حين  
طرد رئيس الولاية هذا الداعي خارج حدود ولايته ، وامر من دخلوا  
حديثا في الاسلام من البمار ان يرجعوا الى عقادهم الدينيّة  
القديمة .

حيثما كان التزاوج بين امثال هذه الاجناس وبين غيرهم كالعرب  
والبربر الذين اكثروا من هذا التزاوج ، كان الاندماج في المسلمين  
يسير سيرا منتظما ، يضاف الى ذلك ما كان هناك من نشاط في  
الدعوة قامت به تلك القبائل — وهي الفلاني والحوصا ولماندنجو —  
التي امتازت بحماسة في سبيل دينها مما ساعد على نمو المجتمع  
الاسلامي لو لم تكن تلك الحروب الطاحنة التي جعلت كل دولة  
اسلامية تقضي على الاخرى . فهت قبيلة مالي Malle على  
انقراض غانة في القرن الثالث عشر الميلادي وحطمت صنغاي غانة  
في اوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وخربت صنغاي بدورها  
بعد ذلك بقرن على ايدى العرب . لما دالت هذه الدول  
الاسلامية من جراء المذابح الكثيرة التي تميزت بها الحرب في  
السودان ، استزدت الوثنية كثيرا من مكائنها التي كانت قد فقدتها ،  
وكما كان الحال في المسيحية ، كان كذلك في العالم الاسلامي ،  
ان كانت هناك فترات تدهورت فيها الحماسة في الدعوة ، ورضي  
المسلمون في بعض اجزاء السودان ان يتركوا الوثنية التي كانت  
تكتنفهم دون ان يجسها اي نشاط في نشر تعاليم الاسلام .

وفي القرن الرابع عشر الميلادي هاجر العرب التنجور من تونس  
الى الجنوب ، واخترقوا البرنو Bornu وواي Wadai حتى وصلوا  
الى دارفور ، وجاء غير من الشرق فيما بعد . وقد لقي احدهم

ويدعى احمد حفاوة عظيمة من ملك دارفو الوثني الذي تعلق به فجعله مشرفا على شئون بيته واستشاره في كل المناسبات . وان خبرته به بأساليب حكم كانت اكثر رقيا من تلك التي كانت في دارفور ، مكنته من ان يدخل عدة اصلاحات على كل من شئون بيت الملك الاقتصاديين ، وحكومة الدولة . ويقال انه اخضع لسياسته الحكيمة الزعماء المتمردين ، وقسم الاراضي بين فقراء السكان ليضع حدا للاغارات الداخلية ، وبذلك ادخل على المملكة شعورا بالطمأنينة والرضا لم يعرفوه من قبل . ولما لم يكن للملك وريث من الذكور زوج ابنته من احمد ، وعينه خليفة له ، وقد ايد هذا الاختيار ان الناس ضجت باستحسانه . واستمرت هذه الدولة الاسلامية ، التي تأسست على هذا النحو ، حتى القرن الحاضر وكانت اسباب الحضارة التي احدثها هذا الزعيم وذريته قد اقترنت من غير شك ببعض نشاط في نشر تعاليم الدعوة ، ولكن يظهر ان هؤلاء العرب المهاجرين لم يبذلوا الا جهدا يسيرا جدا في سبيل نشر دينهم بين جيرانهم الوثنيين . ومن المؤكد ان دارفور لم تدخل في الاسلام الا بجهود احد ملوكها ويدعى سليمان ، وقد بدأ حكمه سنة ١٥٩٦ ، ولم ترسخ قدم الاسلام في الممالك الاخرى ، الواقعة بين كردفان وبحيرة شاد كوداي وباغرمي ، الا في القرن السادس عشر . وكان اول ملوك باغرمي من المسلمين السلطان عبد الله الذي حكم من سنة ١٥٦٨ الى سنة ١٦٠٨ ولكن مملكة وداي كانت المركز الرئيسي للنفوذ الاسلامي في ذلك الوقت ، وقد اسسها عبد الكريم حول سنة ١٦١٢ م ، ولم تسلم عامة باغرمي الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

ولكن تاريخ الدعوة الاسلامية في افريقية ابان القرن السابع عشر

والثامن عشر ضئيل جدا ، بل لا اهمية له اطلاقا اذا ما قارنناه  
بالنهضة العظيمة في نشاط الدعوة خلال القرن الحاصر . وكان مسلمو  
افريقية في حاجة الى مؤثر قوى يوقظ عزائمهم الخاملة ، فقد كانت  
حالتهم في القرن الثامن عشر ، فيما يظهر ، حالة فتور ديني تقريبا ،  
وكانت نهضتهم الروحية راجعة الى تأثير الحركة الوهابية في اواخر  
القرن الثامن عشر ، ومن هنا جاء ما نصادفه في الازمان الحديثة  
من بعض الاخبار التي تتعلق بحركات نشر تعاليم الدعوة بين الزنوج ،  
تلك الاخبار التي لم تبلغ من التفاهة والضآلة ما بلغت الاخبار التي  
سردناها من قبل ، ولكنها تمدنا بتفصيلات شافية عن ظهور عدة اعمال  
هامية في الدعوة وتقدمها .

دنفديو : وحول نهاية القرن الثامن عشر ظهر من بين جماعة  
الفلالي رجل معروف يدعى الشيخ عثمان دنفديو ، عرف بأنه مصلح  
ديني وداع محارب . وقد ذهب من السودان الى مكة لاداء فريضة الحج  
فعاد من هناك مليئا بالحماسة والغيرة من اجل الاصلاح والدعوة للاسلام  
وتأثر بمبادئ الوهابيين ، الذين كانت قوتهم آخذة في النماء في  
الوقت الذي زار فيه مكة ، فأنكر الصلاة على روح الميت وتعظيم من مات  
من الاولياء ، واستنكر المبالغة في تمجيد محمد نفسه ، وهاجم في نفس  
الوقت رذيلتين كانتا منتشرتين في السودان ، هما شرب الخمر وفساد  
الخلق .

وحتى ذلك الوقت كانت جماعة الفلاني تتألف من عدة قبائل صغيرة  
متناثرة تحيا حياة رعوية ، وقد دانت هذه الجماعة بالاسلام في وقت مبكر ،  
وكانت لاتزال حتى ذلك الحين قانعة بتأليف مستعمرات من الرعاة  
والزراع في مختلف بقاع السودان . وان مالدينا من اخبارهم في مستهل

القرن الثامن عشر ، ليصورهم لنا في صورة اناص مسالمين ، نشيطيين في اعمالهم ، ويتحدث عنهم احد الذين زاروا موطنهم على نهـر الجمبيا سنة ١٧٣١ ، فيقول : " في كل دولة او بلد على كل من جانبي النهر توجد جماعة ذات بشرة سمراء ، يدعون الفولز ( اى الفلانسي ) وهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلم العربية ، لانهم يتعلمونها في مدارسهم ، ولان القرآن ، وهو ايضا شريعتهم ، مكتوب بهذه اللفظة . والمأمهم على وجه العموم اكثر بالعربية من المام اهل اوربا باللاتينية ، ان معظمهم يتكلمها مع ان لهم لغة غير مهذبة تسمى فولي . ويعيشون قبائل او عشائر ، ويبنون لانفسهم مدنا ، ولا يخضعون لاي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون فيها ، مع انهم يعيشون في اراضي هو<sup>٤</sup> الملوك ، وذلك لانهم كانوا اذا اسي<sup>٤</sup> اليهم ، في قوم هم يعيشون بين طهرانيهم ، هدموا مدنهم وارتحلوا الى قوم آخريين ولهم رؤساء من انفسهم يحكمونهم حكما معتدلا الى حد ان كل عمل تقوم به الحكومة يبدو كأنه عمل الشعب اكثر من ان يكون عمل فرد من الافراد . وهذا النوع من الحكومات يدار دولا به في سهولة ويسر ، لان الاهالي اصحاب طبيعة هادئة ، ولانهم تعلموا جيدا ما هو عدل وما هو حق ، حتى ان من يقترب الشر منهم يكون موضعا لكـره الجميع . وهذه الجماعة على جانب كبير من النشاط والاقتصاد ، يزرعون من القمح والقطن اكثر مما يفي بحاجتهم ، ويبيعونه بسعر معتدل ويشتهرون بالكرم الى حد ان مواطنيهم يعتبرون ان من نعم الله عليهم ان تكون بجانبهم بلد من بلاد فولي ، وفوق هذا اكسبهم سلوكهم حدا من الشهرة يجعل من العار ان يعاملهم احد معاملة غير كريمة . ومع ان انسانيتهم تعم جميع الناس ، فشفتهم بأبناء



منسهم مصاعفة ، واذ علموا ان اى فرد من جماعتهم قد اخذ رقيقا اتحد  
الفلاني جميعا وحرروه . ولوفرة الغذاء عندهم لا يدعون ابدا واحدا  
منهم يقاسي الحاجة ، بل انهم يعولون المسن والاعمى والاعرج ويساوون  
بينهم وبين الآخرين . وقلما يغضبون ، ولم اسمع مطلقا واحدا منهم  
يسب الآخر ، ومع هذا فلم تكن وداعتهم صادرة عن حاجة الى  
الشجاعة ، ان انهم شجعان كأي شعب في افريقية ، وهم مهرة  
حدا في استعمال اسلحتهم ، وكانوا يستخدمون اسلحة تتكون من  
الزغيات واليطفانات القصيرة ، والقوس والنشاب ، بل يستخدمون  
البنادق في بعض الاحيان ، وهم مسلمون متمسكون بدينهم ، ومن النادر  
ان يشرب احدهم الخمر او اى مشروب اقوى تأثرا من الماء .

وقد دنفديو هذه الجماعات المنفصلة ، المتناثرة في شتى  
اقاليم الحوصا ، وجعل منهم جماعة قوية . وفي سنة ١٨٠٢ حدثت اول  
ثورة من مملكة جوير التي كانت لاتزال على الوتنية ، والتي بسطت نفوذها  
على اقصى الشمال من بلاد الحوصا ، وقد حاول ملك جوير ان يعسوق  
قوة الفلاني المتزايدة في بلاده فأدى ذلك الى ان رفع دنفديو علم الثورة  
وسرعان ما وجد نفسه على رأس جيش قوى ، لم يتعرض به للقبائل  
الوتنية وحدها ويفرض عليها الاسلام ، بل تعرض ايضا لولايات  
الحوصا الاسلامية ، فسقطت هذه الولايات واحدة بعد اخرى ، واصبحت  
كل اراضي الحوصا تحت حكم دنفديو قبل وفاته سنة ١٨١٦ . ولا يزال  
قبره في سوكتو Sokoto ماثبة تعظمها جموع كثيرة من الزائرين .  
وقد قسم دنفديو مملكته بين ولديه ، اللذين زادوا كذلك في توسيع حدود  
بلاد الفلاني ومدينة ادماوا ، التي اسست سنة ١٨٣٧ على انقاض  
عدة ممالك وثنية تعتبر حدا لفتوحاتهم نحو الجنوب الشرقي . وكانت

مدّينة الورد Ilorin ، في بلاد الورد Yoruba ، الوردتي  
تأسست في عهد دنفديو ، هي الحد الجنوبي الغربي لامبراطورية  
بول Pul . وقد ظلت السيطرة على هذه البلاد طوال القرن  
التاسع عشر في ايدي الفلاني ، على تفاوت في التوفيق والنجاح فسي  
الحكم ، وظهروا بمظهر القسوة والتعصب في الدعوة الى الاسلام ،  
حتى قام الحكم البريطاني في نيجريا سنة ١٩٠٠ .  
وقد ساعد دخول القانون والنظام في نيجريا الجنوبية على نشر  
الدعوة الى الاسلام ، كما كانت الحال في جهات افريقية الاخرى التي  
اصبحت تحت الحكم الاوربي . فاستطاع مسلمو الحوصا ، الذين ينتسب  
بعضهم الى الطريقة التجانية ، ان يتنقلوا في البلاد بحرية ، وان ينفذوا  
الى القبائل الوثنية التي كانت حتى ذلك الحين تمنع ، في تعصب  
وصلابة ، تطرق كل المؤثرات الاسلامية اليها . ويقال ان الاسلام في  
مملكة الوردباوحوه خاص ترسخ قدمه بسرعة . وهناك اسطورة عن محاولة  
قام بها احد دعاة الاسلام في هذه البلاد ، في وقت مبكر الى القرن  
الحادي عشر او الثاني عشر الميلادي ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح .  
كان هذا الرجل من الحوصا جاء الى مدينة ايف Ife حاضرة مملكة  
الورد الوثنية وجعل يدعو الناس ويتلو عليهم آيات من القرآن ، وكان  
لا يستطيع ان ينكلم لغة الورد بطلاقة ، فلم يكن بد من ان يردد على  
سامعيه في لهجة اجنبية قوله " هلم نعبد الله الذي خلق الجبال والوهاد  
وخلق كل شيء وخلقنا " . وكان يقوم بذلك من وقت لآخر دون ان ينجح  
في كسب فرد واحد يتحول الى الاسلام ، وقد مات هذا الرجل بعد  
وصوله الى مدينة ايف بأشهر قليلة . وبعد موته وجدوا المصحف  
معلقا على مشجب في حائط حجرته فصار اهل هذه البلاد يقصدوننه

على انه من وثن . وحيث اخفق داعية هذا الدين القديم نجسـ  
المحدثين من ابناء دينه ينجحون نجاحا رائعا . وفي فترة الفوضى  
التي سبقت الاحتلال البريطاني كانت غالبية المسلمين تقيم في مدن  
كبيرة تكتنفها الاسوار ، ولكنهم يستطيعون في ظل الطمأنينة  
والامن الجديد ان يستقروا في القرى ، على مقربة من اعمالهم الزراعية .  
وعلى هذا النحو اخذ نفوذ الاسلام يزداد اتساعا في هذه البلاد  
وكما كانت الحال في شرقي افريقيا الالمانية ، ثبت ان وجود مسلمين  
في جيش هذه البلاد قد ساعد على نشر الاسلام . وغالبا ما كان  
المجددون من الوثنيين يعتنقون الاسلام كي يتجنبوا سخرية الناس  
ويظفروا باحترامهم . وكذلك نلاحظ في مملكة ايجيبو Ijebu ، في  
نيجريا الجنوبية ، حركة حديثة جدا للدعوة الى الاسلام ، على ان  
الاسلام لم يدخل في هذا الجزء من نيجريا الا في سنة ١٨٩٣ ، وفي  
سنة ١٩٠٨ كانت هناك بلدة بها عشرون مسجدا واخرى بها اثنا عشر  
مسجدا . ويمكن ان نلاحظ سرعة انتشار الاسلام هذه على طول ضفتي  
نهر النيجر في نيجريا الجنوبية بوجه خاص ، ويقرر احد مبشـرى  
المسيحيين ما يأتي : " عندما غادرت هذه البلاد في سنة ١٨٩٨ كان  
هناك قليل من المسلمين بأسفل اده Iddah ، ولكنهم الآن منتشرون  
في كل مكان ، ما عدا اسفل ابو Abo ، وعلى هذا النحو من السرعة  
التي نلاحظها في تقدم الاسلام ، سيكون من النادر ان نجد قرية  
وثنية على ضفتي النيجر في سنة ١٩١٠ . "

محمد عثمان الميرغني : وهكذا كان في هذا الجزء من افريقية

نشاط كبير في الدعوة الى الاسلام قام به رجال لم يمتشقوا الحسام في  
سبيل تحقيق غايتهم — اعني بذلك تحويل الوثنيين الى الاسلام ،

وعلى هذا الاسلوب كان يسير الذين يتبعون بعض المبادئ الدينية الاسلامية الجلييلة ، تلك المبادئ التي كانت تكون الصفة الغالبة على النشاط الديني في افريقية الشمالية . وقد حققت جهود دعاة الاسلام نتائج عظيمة خلال القرن التاسع عشر ، ومع ان كثيرا من اعمالهم لاشك انها لم تدون قط ، لا يزال لدينا اخبار عن بعض الحركات التي بدأها هؤلاء الدعاة . ومن اسبق تلك الحركات حركة يعزى قيامها الى سي احمد بن ادريس ، الذي كان يتمتع بشهرة واسعة كمعلم ديني في مكة من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٣٣ ، وكان الزعيم الروحي لجماعة الخضرية ، وقد ارسل قبل موته سنة ١٨٣٥ احد اتباعه ، ويدعى محمد عثمان الاميرغنى ، في رحلة الى افريقية لنشر تعاليم الاسلام . ولما عبر البحر الاحمر الى القصير ، شق طريقه حتى بلغ النيل . وهنا بين جماعات اسلامية انحصرت جهودها بصفة عامة في ضم اعضاء الى الطائفة التي كان ينتسب اليها ، ولكنه لم يصادف في رحلته الى اعالي النهر نجاحا كبيرا حتى وصل الى اسوان ، ونجحت رحلته من اسوان حتى دنفلة نجاحا تاما ، وقد اسرع النوبيون الى الدخول في الطائفة التي كان ينتسب اليها محمد عثمان هذا ، واثرت في هؤلاء الناس تلك الابهة الملكية التي كانت تحيط به تأثيرا فعالا ، كما جذبت اليه كراماته في نفس الوقت عددا كبيرا من الاتباع . وفي دنفلة ترك محمد عثمان وادى النيل ليذهب الى كردفان ، حيث مكث زمنا طويلا ، وهنا بدأ عمله في نشر الدعوة بين الكفار . وكانت قبائل كثيرة في هذه البلاد رحول سنان لا تزال على الوثنية ، وقد نجحت دعوة محمد عثمان بين هؤلاء القوم نجاحا رائعا جدا ، وعمل على توطيد نفوذه فيهم بأن تزوج ببضع زوجات منهم ، فتولى نسله منهن بعد ان مات في سنة ١٨٥٣ ، نشاط الطائفة التي

اسمها وتسموا امير غنية نسبة اليه .

وقبل ان يقوم محمد عثمان برحلته ، التي دعا فيها الى الاسلام بسنين قلائل ، كانت جنود محمد علي ، مؤسس الاسرة التي كانت تحكم مصر حينذاك ، قد اخذت توسع من فتوحاتها في السودان الشرقي ، وشجعت الحكومة المصرية رسل المذاهب الوثنية العديدة في مصر على القيام بدعاية في هذه البلاد التي عرفوها حديثا ، عسى ان تساعد اعمالهم على تهدئة الحال في هذه البلاد ، فواصلوا نشر الدعوة في تلك الاراضي التي استولوا عليها حديثا حيث قاموا باعمال صادفست نجاحا كبيرا ، حتى ان ثورة السودان الحديثة بزعامة المهدي قد عزيت الى الحماسة الدينية التي اثارتها دعوتهم .

القادرية والتجانية : وفي غرب افريقية كانت هناك طائفتان تعملان بصفة خاصة على نشر الاسلام ، هما القادرية والتجانية . وقد تأسست الاولى ، وهي اوسع الجماعات الدينية الاسلامية انتشارا ، في القرن الثاني عشر على يد عبد القادر الجيلاني ، ويقال انه كان اشهر اولياء المسلمين كافة واعظمهم هيبه ، - ودخلت القادرية في افريقية الغربية في القرن الخامس عشر على ايدي مهاجرين من توات Tuat ، وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء ، فاتخذوا من ولاته Walata اول مركزا لطريقتهم ، ولكن احفادهم طردوا عن هذه المدينة فيما بعد ، فلاجئوا الى تمبكتو واقاموا في جهة نائية شرقي ولاته . وفي مستهل القرن التاسع عشر نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت توءثر في العالم الاسلامي تأثيرا عميقا ، تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي ، الى حياة ونشاط جديدين ، ولم يمض زمن طويل حتى وجدنا فقهاء مثقفين ، وجماعات صغيرة من المريديين قد انتشروا في ارجاء السودان الغربي من السنغال الى مصب النيجر .

وتقوم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوتهم في كندا وتمبو Timbo بجبال  
( فوتاجالون ) ومسردو Musrdo ( الواقعة في بلاد الماندونجو  
Mandingo ) . وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الاسلامي  
وسط شعب وثني رحب بالقادرية باعتبارهم كتابا وفقهاء وكتاب تائم  
ومعلمين . وتسلمت القادرية على من كان يحيط بها شيئا فشيئا .  
وسرعان ما تطور الدخول في الاسلام من حالات فردية الى جماعة  
صغيرة من هؤلاء الذين اسلموا كان يرسل منهم في اغلب الاحيان من  
هم معقد الرجاء الى المراكز الرئيسية للطائفة ، لاتمام دراستهم ، بل  
كانوا يبعثون الى مدارس القيروان او طرابلس ، او الى جامعات فاس  
والازهر بالقاهرة . وربما قضاوا في هذه البلاد عدة سنوات ، حتى  
يتقنوا دراستهم الدينية ثم يعودون الى اوطانهم مزودين تزودا تاما  
للاشتغال بنشر العقيدة بين مواطنيهم . وعلى هذا النحو تسربت  
نواة الاسلام الى عبدة الاوتان والاصنام ، وانتشرت العقيدة تدريجيا  
انتشارا عظيما بصفة مستمرة وتم ذلك بخطوات غير محسنة في الغالب .  
وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر ، يوسعون المدارس في  
السودان ويشرفون عليها ، وكان هؤلاء المعلمون قد تربوا في كنف  
القادرية ونظامهم الذي اقاموه على طريقة منظمة مستمرة في دعوة القبائل  
الوثنية . وكان نشاط هذه الجماعة في الدعوة ذات طابع سلمي للغاية ،  
يعتمد كل الاعتماد على الارشاد وعلى ان يكون الواحد منهم قسود  
لفيره ، كما كان يعتمد على مبلغ تأثير المعلم منهم في تلاميذه ، كما  
يعتمد على انتشار التعليم . وبهذه الخطة برهن دعاة القادرية في  
السودان على انهم اوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة ولثقافتها العامة .  
ذلك لان اهم المبادئ التي كانت تسبتر على حياة عبد القادر هي

حَبّ الجار والتسامح . ومع ان الملوك واصحاب الثراء كانوا يرادفون له هداياهم ، كان كرمه البالغ يجعله دائما في فقر ، ولا نجد في كتبه ولا في مواعظه ما يدل على سوء نية او عداوة نحو المسيحيين . وكان كلما تكلم عن اهل الكتاب ، لم يزد على ان يعبر عن اسفه على ما هم فيه من باطل ، ويدعو الله ان ينير لهم السبيل . وقد اوصى تلاميذه بهذا السلوك السامح الذي كان صفة بارزة في اتباعه في جميع العصور .

اما التجانية التي تنتسب الى طائفة نشأت في بلاد الجزائر حول نهاية القرن الثامن عشر ، فقد سارت منذ قامت في السودان حول منتصف القرن التاسع عشر على نفس اساليب القادرية في الدعوة . وساعد تعدد مدارسهم في الغالب على نشر العقيدة ، ولكن التجانية ، التي كانت تختلف عن القادرية ، لم تتورع عن اللجوء الى السيف ، يستعينون به على نشر خطتهم في تحويل الناس الى الاسلام . وانا ما قدرنا نشاط هؤلاء في الدعوة الى الاسلام في افريقية الغربية تقديرا صحيحا ، فانه يوءسفنا ان نجد شهرة جهادهم او حروبهم الدينية قد طغت على نجاح الدعوة المسلمين ، على الرغم من ان اعمال الاخيرين كانت اجدى على انتشار الاسلام من انشاء دويلات صغيرة قصيرة الاجل . ونجد اخبار الحملات وخاصة عندما كانت تتناول المشروعات او خطط الغزوات التي قام بها الجنس الابيض ، تسترعي بطبيعة الحال انتباه الاوربيين اكثر من ان تسترعي انتباههم الاعمال السلمية التي كان يقوم بها دعاة المسلمين ومعلموهم . ولكن تاريخ امثال هذه الحركات له تلك الاهمية ، وهي ان الغزو - كما كان يحدث دائما في حالة الرسائل المسيحية ايضا - قد فتح ميادين جديدة لنشاط الدعوة ، وجعلهم يعتقدون بوجود آفاق واسعة من البلاد لا يزال اهلها على الوثنية .

اما اولى الحركات الحربية التي قام بها افراد التجانية في نشر الدعوة ، فتعزى نشأتها الى الحاج عمر الذى كان قد دخل في هذه الجماعة على يد احد زعمائها الذى تعرف عليه في مكة . ولد الحاج عمر سنة ١٧٩٧ على مقربة من بودور Podor على السنغال الادنى ، ويظهر انه كان رجلا كريم السجايا ، ذا نفوذ شخصي ، ومظهر يوحى بالسيطرة والقوة . وكان ابنا لاحد المرابطين ، وتثقف ثقافة دينية متينة ، واشتهر بعلمه وورعه حين خرج الى الحج سنة ١٨٢٧ . ولم يعد ، من الحج ، الى وطنه الا سنة ١٨٣٣ ، حيث نشط في نشر تعاليم التجانية وهاجم ابناء دينه لجهلهم مهاجمة عنيفة ، وخاصة شيوخ القادرية الذين اتار تساهلهم وتراخيهم بنوع خاص سخطه وفضبه وقد عبر الحاج عمر السودان الاوسط ، فظفر بكثير من الاتباع ، وكُرِّم كمهدى جديد ، وما ان وافت سنة ١٨٤١ حتى كان قد بلغ جبال فوناجالون ، حيث سلح اتباعه وبدأ سلسلة من الحملات في نشر تعاليم الدعوة بين القبائل التي كانت لاتزال على الوثنية ، وكانت تقيم حول النيجر الاعلى والسنغال . وفي احدى هذه الغزوات لقي حتفه في سنة ١٨٦٥ . ولم ينجح ابنه ، احمد وشيخو ، في ضم مختلف الولايات فسي مملكة ابيه الا سنوات قلائل ، ثم صدعتها المنازعات الداخلية وقدوم الفرنسيين ، وانتقلت اراضيها الى حكم فرنسا .

ذكرنا من قبل طرفا عن دخول الاسلام في هذا الجزء من افريقية . كانت البذرة التي بذرها هناك عبد الله بن ياسين واصحابه تتغذى من الصلة المستمرة مع تجار المسلمين ومع عرب واحة الحوص وغيرهم . ويحدثنا رحالة في القرن الخامس عشر كيف جاهد العرب في تعليم رؤساء الزنج شريعة محمد ، مبينين لهم انه من العار عليهم ، ان يكونوا



روءساء يعيشون من غير ان تكون لهم اية شريعة من الشرائع الالهية ، وان يفعلوا ما فعلت الجماعات المنحطة التي عاشت من غير ان تكون لها شريعة على الاطلاق . ومن هنا ، قد يظهر ان هؤلاء الدعاة الاول استغلوا الطابع الذي تميز به الدين الاسلامي ، ودسستور الحكم فيه ليؤثروا في عقول هؤلاء غير المتحضرين .

ولدينا تفاصيل اوفى عن حركة من هذا النوع ذاته احدث من تلك قامت في جنوب سنغامبيا ، على يد احد الماندنغو ، ويدعى صمودو ، وقد اشتهر باسم صمدو ، وهو جندي وثني موسر ، ولد حول سنة ١٨٤٦ ، واصبح مسلما في عهد مبكر من تاريخ حياته ، واسم امبراطورية في جنوب سنغامبيا في البلاد التي يرويها نهر النيجرالاعلى وروافده . وقد كتب احد مؤرخي هذه البلاد بالعربية عن سيرة سمري ، كتابة تمدنا ببعض تفاصيل ممتعة عن اعماله ، ويبدأ كالآتي :

" هذه قصة الامام احمد صمدو ، احد افراد الماندنغو . لقد انعم الله عليه بعونه منذ اخذ في زيارة الوثنيين عبدة الاصنام ، اولئك الذين يعيشون بين البحر وبلاد وسولو ، وكان يزورهم بقصد دعوتهم الى اتباع دين الله ، الدين الاسلامي . ولتعلموا يا من تقرأون هذا ان الامام صمودو وجه همته اول الامر الى بلدة تدعى فولندية . ولما كان يعمل بالكتاب والشريعة والسنة ارسل رسلا الى ملك هذه البلدة ، ويدعى سنديو ، يدعوه الى الانعان لحكومته ، ونبذ عبادة الاصنام ، والى عبادة الاله الواحد العلي الحق الذي تنفع عبادته خلقه في هذه الدنيا وفي الآخرة ، ولكنهم ابو الخضوع ، ففرض عليهم الجزية ، كما امر بها القرآن ، ولكنهم ظلوا في عماوتهم وصممهم ، فجمع الامام للجهد قوة صغيرة تقرب من خمسمائة رجل ،

كانوا شجعانا اشداء ، وحارب هذه المدينة ، فأعانه الله ونصره عليهم ، وقد طارد هم بخيله حتى سلموا . انهم لن يعودوا الى وثنياتهم ، وذلك لان كل اولادهم الآن في مدارس يحفظون فيها القرآن ، ويلمون فيها بأطراف من الدين والتهذيب . والحمد لله على هذا . . . وليس من الممكن في هذا المقام ان نتتبع سلسلة فتوحاته التي تميزت بكثرة المذابح والتخريب . وقد بلغ احمد صمود و اوج قوته حول سنة ١٨٨١ ، وبعد ذلك بقليل دخل في نزاع مع الفرنسيين ، فأسروه سنة ١٨٩٨ بعد سلسلة من الغزوات القاسية ، ومات في سنة ١٩٠٠ . ومع ان فتوحاته انتهت بالقضاء على جموع كبيرة من الوثنيين ذبحهم القساة ، وتظاهر آخرون بقبول الاسلام بدافع الخوف ، يظهر انه لم يكن يهدف الى نفس هذا الغرض الديني الواضح الذي كان يهدف اليه الحاج عمر . وقد خلف للمرابطين من القادرية مهمة الدعوة ، فبدلوا ، بما عرف عنهم من التقاليد التي ساروا عليها في التسامح ، مجهودا كبيرا ليخففوا من اعماله القاسية . وفتحوا المدارس في المدن التي كانت قد فلبت على امرها ، وهناك وضعوا نظام جساتهم ، وعلموا من دخلوا في الاسلام حديثا ، كما سَعَوْا في نفس الوقت الى جذب مسلمين جدد .

اما فيما يتعلق بهذه الحركات العسكرية في الدعوة الى الاسلام ، فمن المهم ان نلاحظ ان الانتصارات الحربية وفتح البلاد لم تكن اهم ما ساعد على تقدم الاسلام في هذه المناطق ، ان اتضح ان ما قام به الحاج عمر من تحويل الناس الى الاسلام بالقوة قد نسي سريعا فيما عدا هذه المناطق الصغيرة التي بقيت في ايدي خلفائه بصفة نهائية . وعلى الرغم من عظمة انتصاراته الموقنة وحماسة جيوشه ، لم يبق لهذه الدعوة المسلحة الا آثار يسيرة جدا . اما الاهمية الحقيقية لهذه الحركات في

تاريخ الدعوة الاسلامية في غربي افريقية فهي ما اثاره هؤلاء من حماسة دينية ، تجلت في نشاط الدعوة الواسع النطاق بين الشغوب الوثنية ، ذلك النشاط الذي كان ذا طابع سلمي خالص . ولم تكن هذه الحروب الدينية ، اذا ما نظرنا اليها نظرة صحيحة ، الا احداثا عارضة في النهضة الاسلامية الحديثة . ولم تكن بحال ما صفة تميز القوى والوان النشاط التي كانت تؤثر تأثيرا حقيقيا في نشر الدعوة الاسلامية في افريقية : والواقع انه لو لم يتبع هذه الحروب نشاط متميز في نشر الدعوة ، لدلت على انها لم تكن ذات اثر فعال على الاطلاق في خلق مجتمع اسلامي خالص والواقع ان الحروب الهدامة والقسوة الفاشمة من جانب الفاتحين من امثال الحاج عمر وسموري ورسل التيجانيين بصفة خاصة ، جعلت عقيدة الاسلام مكروهة كرها شديدا من قبائل السودان الوثنية في البلاد التي يرويها السنغال والنيجر . ويكاد يتخذ هذا العداء الذي اضرته هذه القبائل للدين الاسلامي صورة حركة قومية . ولكن برغم هذا ساعدت هذه الدعوة الاسلامية على نشر الاسلام في نواح كثيرة من غينا وسنغامبيا ، هذه الجهات التي كان التجار الفلانيون في بلاد الحوصا يحملون اليها معارف دينهم في رحلاتهم التجارية المتكررة ، ونجحوا خلال القرن الماضي والقرن الحالي في الظفر بجموع كبيرة دخلت في الاسلام . ومما هو جدير بالذكر نشاط هؤلاء الدعاة من القادرية وتجار المسلمين الذين كسبوا لدينهم مسلمين جدد اذ خلوهم في دينهم منذ جلب الاحتلال الفرنسي للسلام الى البلاد . وان تغفل الدين في السودان الفرنسي بالطرق السلمية ، وكذلك تغفله في اجزاء اخرى من افريقية كانت قد دخلت حديثا تحت سلطان النفوذ الاوربي ، قد لقي تيسيرا بفضل ما اظهره

الموظفون الفرنسيون من الاحترام والتقدير للطبقات المتعلمة ، وكلها بطبيعة الحال من المسلمين ، وما اظهره هؤلاء الموظفون من احتقار سافر للعبادات المنحطة والخرافات التي كانت متفشية بين عبدة الفتح الوثنيين .

السنوسية : لكن نشاط نشر تعاليم الدعوة الذي قامت به الفرقة السنوسية لم يكن مقتربا بحال ما يعمل من اعمال العنف والحرب ، ولم يستخدم في خدمة الدين الا كل وسائل الترفيب . وفي سنة ١٨٣٧ - اسس سيدي محمد بن علي السنوسي الفقيه الجزائري ، فرقة دينية ، تهدف الى اصلاح شأن الاسلام ونشر العقيدة الاسلامية . ولم يمت السنوسي سنة ١٨٥٩ ، حتى كان قد نجح ، في تأسيس دولة دينية ، بقوة عبقرته الصافية دون ان يريق الدماء . ويدين اتباعه بالطاعة والولاء لهذه الدولة التي يوسع خلفاؤه حدودها كل يوم . ويلتزم افراد هذه الجماعة القيام بأوامر القرآن في دقة بما يتفق واكثر مبادئ التوحيد المطلق ، تلك المبادئ التي تجعل التعبد لله وحده ، وتحرم التضرع للاولياء وزيارة قبورهم تحريما تاما . وقد اوجبوا على انفسهم ان يمتنعوا عن شرب القهوة والتدخين ، وان يتجنبوا كل اتصال باليهود او المسيحيين ، وان يساهموا بنصيب معين من دخلهم يضاف الى اموال الجماعة ، اذا لم يستطيعوا ان يكرسوا انفسهم لخدمتها كما اوجبوا على انفسهم ان يوقفوا كل نشاطهم على تقدم الاسلام ، وان يقاوموا في الوقت نفسه اي لون من الوان الخضوع للنفوذ الاوربي . وتنتشر هذه الطائفة في افريقية الشمالية كلها ، وتنتشر زواياها حول بلاد شمال افريقية من مصر الى مراكش ، كما تمتد الى الداخل ، فني واحات الصحراء وفي السودان . وكان مركز تنظيمها في واحة جغبوب

في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس . وفي هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة ثم يرسلون الى كافة اجزاء افريقية الشمالية دعاة للاسلام . وكانت زواياهم الفرعية ( ويقال انها بلغت ١٢١ زاوية ) تتلقى من زوايتهم الرئيسية في جغوب التعليمات والاوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع هذه الدولة الدينية الكبرى ، التي كانت تضم في نظام رائع ، آلافا من اشخاص ذوي جنسيات وقوميات متباينة ، ولو لم يكن الحال على هذا النحو لفرقت بينهم الفوارق الجغرافية الشاسعة والمنافع الدنيوية . ولما كان النجاح الذي تحقق على ايدي دعاة هذه الجماعة المتحمسين النشيطين عظيما ، لم يقتصر وجود اتباعهم على كل افريقية الشمالية من مصر الى مراكش وفي ارجاء السودان وسنغامبيا وبلاد الصومال كافة ، بل نجدهم كذلك في بلاد العرب والعراق وجزائر اربيل الملايو . ومع ان السنوسية كانت في اول امرها حركة اصلاح داخلية في الاسلام نفسه ، اصبحت الى جانب ذلك حركة لنشر تعاليم الدعوة ، واصبحت عدة قبائل افريقية كانت من قبل وثنية او مسلمة اسلاما اسميا بحثا ، من اتباع الاسلام المتحمسين منذ ان حل فيهم دعاة السنوسية . ومن هذا النوع من النشاط ، نذكر على سبيل المثال ، ما بذله دعاة السنوسية من جهد ليدخلوا في الاسلام هذا الفريق من قبيلة بيلي Baele ، ( وهي قبيلة تسكن بلاد انيادي Ennedi الجبلية شرقي بوركو ) ، الذي كان لا يزال على الوثنية ، بل انهم حملوا حماسهم الدينية الى البقية الباقية من هذه القبيلة حين وجدوا ان معرفتهم بالاسلام سطحية ، وكانوا مسلمين اسما ، كما ان السنوسية حينما نزلوا بين شعب التيدا Tedas في بلاد تيبستي Tibesti بالصحراء جنوبي واحة فزان ، نجحوا في ادخالهم في الاسلام بعد ان كانوا مسلمين اسما .



وراعي المنطقة الساحلية المنخفضة ، والفيتني على مقربة من الحدود الجنوبية لما يسمونه السودان الاوسط ، لاحظت تحسنا مطردا فسي المظهر الاخلاقي عند الاهلين ، واختفت الوحشية ، وتبعثها الوثنية في هذه السبيل . وزالت تجارة الخمر التي حد بعنيد ، على حين صارت ملابسهم اكبر واكثر اجتساما ، واصبحت النظافة عندهم عادة ، على حين دل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وادب جم . وقد دل كل شي\* على ان هناك نواة لمبدأ اكثر رقيا الى حد ما . ومن الواضح ان هذا المبدأ كان يؤثر تأثيرا عميقا في طبيعة الزنجي ويجعل منه انسانا جديدا . وكعدك تد هسن لو علمت ان هذا المذهب هو الاسلام . ولما مرت بلكوجا Lokja عند ملتقى نهر بنوى Benué بالنيجـر تركت وراعي المراكز الامامية لنشر الدعوة الاسلامية ، فلما دخلت السودان الاوسط وجدتني في دولة احسن نسبيلا في طريقة حكمها ، خاصة بجماعة نشيطة من التجار الانكيا\* ، واناس مهرة في صناعة المنسوجات ، والنحاس ، والجلد ، والواقع انهم شعب تقدم تقدا عظيما في مراقي الحضارة والمدنية " .

ولكي نقدر نشاط الدعوة الاسلامية في افريقية الزنجية Nigrita تقديرا صحيحا ، يجب الا يغرب عن اذهاننا انه بينما كان الداعبي المسلم ، على السواحل وامتداد الحدود الجنوبية لمنطقة النفـون الاسلامي ، مههد الطريق لدينه ، فانه كان لا يزال متروكا وراءه هناك مجال واسع للدعاية الاسلامية في البلاد الداخلية التي تمتد نحو الشمال والشرق ، على الرغم من ان الاسلام رسخت اقدامه في هذه البلاد منذ زمن بعيد . وكانت هناك جماعات من الفونج ، وهم الجنس الزنجي الذي كانت له السيادة على سنار ، يدين بعضهم بالاسلام وبعضهم الآخر

بالوثنية . وقد حاول تجار مسلمون من بلاد النوبة ان يدخلوا هولاء الوثنيين في الاسلام .  
اما قبيلة جوكون Jukun الوثنية ، التي دالت د ولتها ، وكانت قوية يوما ما قبل ان يسير الفلاني في سبيل الفوز والغلبة ، فقد ناهضت النفوذ الاسلامي الزاحف ، مع ان وزير ملكهم كان اجنبيا يختار دائما من المسلمين ، وكانت جاليات من الحوصا وغيرهم من المسلمين تستقر بين ظهرانيتهم . ولكن هولاء المستوطنين من المسلمين ——— لا يصادفون نجاها في ان يدخلوا في الاسلام احدا من بين الجوكون الذين كانت تقاليد مجدهم القديم تجعلهم يتمسكون بعقيدتهم ——— القومية ، وكانت زعامتها الروحية تتمثل في شخص ملكهم .  
ولعله من الميسر ايضا ان نحصي كثيرا من عشائر السودان — وسنغامبيا ، مازالت تحتفظ بعاداتها وعقائدها الوثنية ، اوتكسو هذه العادات والعقائد بستار من شعائر الاسلام ، على الرغم من ان اتباع النبي كانوا ( في معظم الاحوال ) يحيطون بهم منذ قرون ولا يزال الكنو Konnohs ، وهم فرع من قبيلة الماندنجا الكبيرة ، يدين معظمهم بالوثنية ، ولم يتقدم الاسلام بينهم الا في السنين الاخيرة . وكان من اثر ذلك ان الحماسة العظيمة في مهمة نشر الدعوة والتي تجلت بين مسلمي هذه الجهات في خلال القرن الحالي ، لم تجد مجالا واسعا يمكنها من اظهار نشاطها . ومن ثم جاءت الاهمية في تاريخ الدعوة الى الاسلام في هذه القارة ، ثم اهمية حركات ——— الاصلاح في الاسلام ذاته ونهضات الحياة الدينية ، وهي مسائل لغتنا النظر اليها من قبل .



## الاسلام على الساحل الغربي من افريقية

اما الساحل الغربي من افريقية فهو ميدان آخر لمشروع الدعوة الاسلامية ، حيث وجد الاسلام نفسه امام شعب ضخم لم يكن قد اسلم بعد ، على الرغم من انه ازدهر على ساحل غينا ، وفي سييراليون وليبيريا ، تلك البلاد التي نجد عدد المسلمين في ليبيريا اخيرا اكثر من عدد الوثنيين . وهناك ملاحظة من اسبق ما لوحظ على نشاط الدعوة الاسلامية في البلاد المجاورة لسيراليون ، نجدها في التماس لحمل شركة سييراليون Sierra Lone Company امر مجلس العموم بطبعه ، في الخامس والعشرين من ما يوسنة ١٨٠٢ ، وهذا نصه :  
” منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما ، استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سييراليون من ناحية الشمالي بما يقرب من اربعين ميلا وسموها بلاد الماندنغو . وكما هي العادة عند فقهاء هذا الدين ( الاسلام ) فتحوا مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد ، وجروا على عادات المسلمين وخاصة في عدم بيع ابناهم بينهم بيع الرقيق . وقد اقاموا لانفسهم شرائع استخراجوها من القرآن واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان . وعلى الرغم من وجود كثير من اضطرابات قومية ، جلبوا الى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبيا ، كما جلبوا اليها الاتحادي والطمأنينة . وكان من اثر ذلك ، ان ازداد السكان زيادة سريعة ، وانتقل الى ايديهم شيئا فشيئا كل النفوس في تلك الجهة من البلاد التي يقيمون فيها . اما هؤلاء الذين تعلموا في مدارسهم فانهم يسبغون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة للماندنغو ، ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة . وهناك رؤساء آخرون ينتحلون

الاسماء التي اتخذها هؤلاء المسلمون لانفسهم بسبب ما يقتزن بها من احترام وتوقير ، ويبدو انه من الممكن ان ينتشر الدين الاسلامي في امن وسلام انتشارا سلميا ، في كل المنطقة التي تقع فيها مستعمرة الفاندنجو ، حاملا معه تلك المزايا التي تتغلب فيما يظهر دائما ، على خرافات الزنوج ” . ويظهر ان الاسلام لم يجد له منفذا في بلاد مندى اخسير التي تقع على بعد مائة ميل تقريبا جنوبي سيراليون ، الا في القرن الحاضر ، ولكنه الآن يتقدم تقدا ثابتا . ” ولا يقوم هناك بالدعوة اية جماعة خاصة من الدعاة تفرفت لهذا الغرض ، بل كل مسلم هناك داعية نشيط . واذا ما اجتمع في مدينة ستة رجال منهم ، واقل من ذلك او اكثر ، وعزموا على ان يقيموا فيها فترة من الزمن ، سارعوا الى بناء مسجد واخذوا ينشرون الدعوة ، فهم يتقدمون اولا الى رئيس المدينة ويحصلون منه على الموافقة على عملهم الذي يقصدون اليه ، وربما ظفروا بوعده منه ان يصبح مشايخا لهم ويعلمونه صلاتهم بالعربية ، او يحفظونه منها القدر الذي يستطيع ان يحفظه او يعينه . ويمدونهم بالصبيغ والشعائر التي تستعمل في الصلاة ويحرمون عليه تناول المشروبات الروحية — وسواء روعي هذا الشرط ام لم يراع اصبح الرجل مسلما ” . وعلى ساحل فينا تنتشر المؤثرات الاسلامية بوجه خاص على ايدي تجار الحوصا الذين نجدهم في كل المدن التجارية على هذا الساحل ، وكلما انشعوا لهم مقرا ، اسرعوا الى بناء مسجد ، واثروا في السكان الوثنيين بمسلكهم القائم على الورع وثقافتهم المتفوقة ، وقد دخلت في الاسلام قبائل باجمعها من عبدة الاوثان دون ان يبذل المسلمون اية جهود خاصة يستوجبها اغراؤهم ، وانما كان ذلك نتيجة لاقتداءهم بما يرون انه حضارة ارقى من حضارتهم .

اما اشنتي Ashanti فكان فيها نواة لمجتمع اسلامي يرجع وجوده فيها الى سنة ١٧٥٠ ، ولما كان دعاة الاسلام قد لقوا ترحيبا من اهالي هذه البلاد وظفروا بنفوذ كبير في البلاط ، جدوا في العمل منذ ذلك الحين مع نجاح بطيء ولكنه محقق ، واستطاعوا بواسطة مدارسهم ان يسيطروا على عقول الجيل الاحدث ، ويقال ان هناك علامات واضحة على ان الاسلام ستصير له الغلبة في اشنتي ان دخل فيه كثير من الروءساء . وفي دهومي Dahomey وساحل الذهب يتقدم الاسلام كل يوم تقدا جديدا ، حتى حين لا يعتقد شيـوخ القبائل الوثنية انفسهم الاسلام نجدهم يبيحون لانفسهم ، في اوقات كثيرة ، ان يصبحوا تحت تأثير دعاة هذا الدين ، الذين يعرفون كيف يستغلون هذا النفوذ للدعوة بين عامة الناس . وفي هذا الجزء من القارة تعتبر دهومي واشنتي اهم الدول التي لاتزال يحكمها حكام وثنيون ، ويقال ان تحولهما الى الاسلام لا يحتاج الا الى زمن قصير . ويوجد قرابة ١٠٠٠٠ مسلم في لاجوس Lagos ، كما ان كل المراكز التجارية في الساحل الغربي تضم بين سكانها جماعات اسلامية من القبائل الزنجية الزاقية ، من امثال الفلاني والماندنجو والحوصا . وحين يهبط رجال هذه القبائل الى مدن الساحل ، وهم يأتون اليها جماعات ضخمة ، اما تجارا واما جنودا يخدمون في جيوش السلطات الاوربية ، لا يعجزون بحال عن ان يوءثروا في زنجي الاراضي الساحلية ، وذلك بما لهم من جرأة وروح استقلالية . ويرى زنجيي الساحل ان احكام الاوربيين والموظفين والتجار يحترمون الذين يوءنون بالقرآن اينما كانوا ، وان هوءلاء المؤمنين لا يختلفون عنه في الجنس والمظهر ، ولا في الزى او الطباع اختلافا بعيدا يستحيل

معه ان يدخل في زمرةهم ، بل ان هؤلاء المؤمنين فضلا عن ذلك قد منحوه حظا من امتيازاتهم على شريطة ان يدخل في دينهم . واذما اظهر الزنجي الوتني ، مهما كان خاملا مغمورا ، رغبته في قبول تعاليم الاسلام بادروا بضمه اليهم ، فيصبح واحدا منهم متساويا معهم . وليس قبوله في اخوة المسلمين امتيازا يمنحونه اياه متبرمين ، ولكنه امتياز يمنحه اياه عن رغبة وحرية ، دعاء ذو غيرة وحماسة في نشر تعاليم الدعوة . ولهذا فمن مصب السنغال حتى لاجوس ، في مسافة تبلغ الفي ميل ينذر فيما يقال ان نجد مدينة ذات اهمية على ساحل البحر ليس فيها مسجد واحد على الاقل ومعه دعاء نشيطون يعطون في اغلب الاحيان جنبا الى جنب مع معلمي المسيحية .

### الاسلام على الساحل الشرقي من افريقية

ولنتقل الان الى تاريخ انتشار الاسلام على الجانب الاخر من قارة افريقية ، ذلك الجانب الذي كان سكانه وثيقي الصلة بالارض التي نشأ فيها الاسلام . على ان الحقائق التي دونت عن النواطن الاولى التي استقر فيها العرب على الساحل الشرقي ضئيلة جدا ، ويذكر احد الكتب التاريخية العربية ، وكان قد وجد البرتغاليون في مدينة كلوا Kiloa حين اجتاحتها دون فرنسيسكو دالميدا Don Francisco d'Aimerda في سنة ١٥٠٥ ، ان اول من هاجر كانوا جماعة من العرب نفوا لانهم اتبعوا تعاليم خارجة على الدين ، كان يقول بها شخص يدعى زيدا ، من سلالة النبي ، وقد سموا اموزيديج ( وربما قصدوا بذلك امة زيدية ) نسبة اليه . ولا يبعد ان يكون زيد الذي اشير اليه هنا هو زيد بن علي حفيد الحسين ، كما

هو احد احفاد علي ابن عم محمد ( عليه السلام ) : وقد ادعى في عهد الخليفة هشام انه الامام المهدي ، واشعل نار الثورة بين حزب الشيعة ، ولكنه هزم وقتل سنة ١٢٢ هـ ( ٧٤٠ م ) .  
ويظهر ان هذه الجماعة عاشت في خوف عظيم من سكان البلاد الاصليين الوثنيين ، ولكنها نجحت بالتدريج في بسط مواطنها على طول الساحل ، حتى جاءتها جماعة اخرى من المهاجرين الذين قدموا من الشاطيء العربي للخليج الفارسي ، من مكان لا يبعد عن جزيرة البحرين . وجاء هؤلاء في سفن ثلاث بزعاية سبعة اخوة ، هاربيين من اضطهاد ملك لاساه ( الاحساء ) ، وهي مدينة قريبة من موطن قبيلتهم . واول مدينة بنوها هي مقدشيو التي ارتفعت فيما بعد الى تلك القوة التي جعلتها سيدة على كل عرب الساحل . ولكن لما كان المستوطنون الاصليون وهم الاموزيديج من حزب يختلف عن حزب اللاجئين الجدد ، حيث كان الاولون من الشيعة والآخرين من اهل السنة ، ابوا ان يخضعوا لسلطة حكام مقدشيو ، وارتدوا الى الداخل حيث اندمجوا في السكان الاصليين وتزاوجوا معهم وتطبعوا بطباعهم وتخلقوا بأخلاقهم .

وقد انشئت مقدشيو حول منتصف القرن العاشر وظلت اقوى مدينة على الساحل زهاء سبعين سنة ، حينما ادعى قدوم مهاجرين آخرين من الخليج الفارسي ، الى انشاء وطن آخر ينافسها على بعد منها من ناحية الجنوب . وكان زعيم هؤلاء المهاجرين يدعى عليا ، وهو احد الابناء السبعة لاحد سلاطين شيراز ويدعى حسنا : ولما كانت امه حبشية ، ازدراه اخوته ، وعاملوه معاملة قاسية ، جعلته يصمم على ان يهجر وطنه ويبعث عن موطن في مكان ما . لهذا ابحس

من جزيرة أرمز Ormuz ومعه زوجته وأولاده وجماعة صغيرة من أتباعه ، وسار متجنباً مقدشيو ، التي ينتمي سكانها إلى مذهب ديني يختلف عن المذهب الذي ينتمي إليه ، فمضى في طريقه صوب الجنوب إذ سمع أن الذهب يوجد في ساحل زنجبار ، وأسس مدينة كلو ، وهناك استطاع أن يحتفظ بمركز مستقل ، وأن يكون متحرراً من تدخل أسلافه المقيمين بعيداً عنه في الشمال .

وبهذه الطريقة ظهر عدد من المدن العربية على طول الساحل الشرقي من خليج عدن حتى مدار الجدي على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب في العصور الوسطى يطلقون عليه اسم بر الزنج . وأيا كانت الجهود التي بذلها المستوطنون المسلمون في تحويل الزنج إلى الإسلام ، فالظاهر أنه لم يبقى لنا سجل عنها . وهناك قصة غريبة محفوظة في مجموعة رحلات قديمة ، لا يبعد أنها كتبت في أوائل القرن العاشر ، تصور لنا الإسلام بأنه دخل في إحدى هذه القبائل على يد ملكها نفسه . ذلك أن سفينة تجارية عربية اقضتها الريح عن طريقها في سنة ١٩٢٢ م وارتدت إلى بلاد الزنج الذين يأكلون لحم البشر ، حيث توقع البحارة موتاً محققاً ، ولكن حدث لهم عكس ما توقعوه ، إذ تلقاهم الملك لقاءً رحيماً ورحب بهم ترحيباً كريماً عدة شهور ، باعوا في خلالها بضاعتهم بشروط مريحة ، ولكن التجار ردوا عليه كرمه بخيانة شائنة ، فأوقفوه هو وحاشيته حتى ركبوا السفينة يودعونهم . وحملوهم معهم إلى عمان رقيقاً ، وبعد سنوات قليلة طوحت الرياح بهم إلى التجار أنفسهم إلى نفس الميناء ، فعرفهم الأهالي وطوقوه بقواربهم ، فسلموا أنفسهم متوقعين الموت في هذه المرة فصلى كل منهم على الآخر صلاة الموت . ثم أخذوا إلى حضرة الملك ، حيث ثبينوا في دهش وعجب ، أنه الملك نفسه الذي عاملوه معاملة جد مخزية قبل

ذلك بيضع سنين . وبدلا من ان يقتص منهم باى نوع من القصاص  
لمسلكتهم الفادر ، ابقى على حياتهم ، وتركهم يبيعون بضاعتهم  
ولكنه رفض الهدية الثمينة التي قدموها اليه رفضا ينطوى على التفريع .  
وقبل ان يبرحوا تقدم واحد منهم في جراءة الى الملك وسأله ان يقص  
قصة فراره . فوصف لهم كيف اخذرقيفا الى البصرة ، ومنها الى بغداد  
حيث اسلم وتفقه في الدين ، فلما هرب من مولاة لحق بقافلة من  
الحجاج كانت ذاهبة الى مكة ، وبعد ان ادى مناسك الحج ، وصل  
الى القاهرة وصعد في النيل صوب بلاده ، فوصل اليها اخيرا بعد  
ان تجشم كثيرا من الاخطار ، ووقع في الرق اكثر من مرة . ولما عاد  
الى مملكته من جديد ، علم قومه دين الاسلام ، " وانا اليوم فرح  
مسرور لما من الله به عليّ وعلى اهل دولتي من الاسلام والايمان  
ومعرفة الصلاة والصيام والحج والحلال والحرام ، وبلغت ما لم يبلغه  
احد في بلاد الزنج وعفوت عنكم لانكم السبب في صلاح ديني . فعرفوا  
المسلمين ان يأتونا فانا نحن قد صرنا اخوانا لهم ، مسلميين  
مثلهم " .

ومن هذا المصدر نفسه نعلم انه حتى في هذه الفترة المبكرة ،  
كانت جموع كبيرة من تجار العرب ، تختلف الى هذه البلاد الساحلية .  
ولكن على الرغم من وجود صلة دامت قرونا بين اهليها وبين المسلمين ،  
كان تأثيرهم ( فيما عدا اهالي السومال ) بالاسلام قليلا قليلة  
ملحوظة . وحتى قبل الفتوحات البرتغالية ، في القرن السادس عشر ،  
يظهر ان ما تم من حالات قليلة من تحول الناس الى الاسلام كان كله  
مقصورا على الحدود الساحلية . وكذلك بعد ان تدهور النفوذ  
البرتغالي في هذا الجزء من العالم ، وعاد هناك الحكم العربي  
تحت امرة سادة عمان ، والى ان جاء القرن العشرون ، كان من

العسيران تبذل اية جهود في نشر معارف الاسلام بين قبائل الجهات الداخلية ، عدا قبائل الجلا وقبائل السومال . ويقول رحالة حديث : " لم ار في خلال الرحلات الثلاث التي قمت بها في شرقي افريقية الوسطى ، شيئا يحمل على الظن بأن الاسلام هناك قوة تصبغ البلاد بصبغة من الحضارة والمدنية . ومهما كانت القوة الحية في هذا الدين ، فانها ظلت مستكنة ، ولم يكن العرب ، ولا احفادهم في هذه البلاد دعاة اسلام . وليست هناك بعثات تدعو اليه ، وانما قنع اهل مسقط بأن يسير عبيدهم ، الى حد ما ، وفق شعائر الدين . وقد تركوا قبائل افريقية الشرقية ، الذين كانوا في الواقع ، في جهلهم المطبق راضين فيما يظهر بأن يظلوا سعداء في جهلهم . وتظهر عدم قابليتهم للحضارة ظهورا جليا في هذه الحقيقة الغربية : وهي انهم اتصلوا خمسة قرون بشعب نصف متحضر ، ولم يترك فيهم ذلك اقل اثر للصفات الراقية التي كان يتصف بها جيرانهم — ولم تنبت وتزهـر بذرة واحدة صالحة طوال هذه السنين " . واستسلم العرب في افريقية الشمالية كل استسلام سعيا وراء التجارة وصيد الرقيق ، فأظهروا فتورا في ترقية شعوب دينهم ، فكان الفارق كبيرا بين نشاطهم وبين ما اظهره اخوانهم في الدين نحو نشر الدعوة في اجزاء اخرى من افريقية .

### الاسلام في اوغندا

على ان هناك حالة جديدة بالذكر نستثنيها ، وهي نشاط نشر الدعوة الذي قام به تحار من العرب اتيح لهم ان يدخلوا اوغندا في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ومن المحتمل انهم عرفوا ان قوة روح الحرية في اهل بجنده جعلت قنص الرقيق من بينهم امـمـرا مستحيلا ، ولهذا سعوا الى كسب ثقتهم عن طريق تحويلهم الى دينهم . واسلم كثيرون من أهل بجنده في عهد الملك موتزا Mutesa ولكن



زيارة استانلي لهذا الملك في سنة ١٨٧٥ ادت الى دخول ارساليات مسيحية في السنة التالية ، وازمحت قوة المسلمين في هذه الدولة بالزيادة السريعة في عدد المنتصرين وقيام الحماية الانجليزية هناك . ولكن لا يزال في اوغندا عدد من المسلمين يشغلون مراكز هامة ، ومن المقرر ان دخول الولاية الشرقية في الاسلام امر ممكن . ويقال ان عدد اضعافا من ذوي النفوذ في بلاد بوسوجا Busoga الفنية ، الواقعة في شمال اوغندا ، والتي تخضع لانجلترا ، قد دخل في الاسلام سنة ١٩٠٦ . ومع هذا الاستثناء ، كان الاسلام في افريقية الاستوائية الشرقية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر منحصر في البلاد الساحلية وما يتاخمها من البلاد . وقد بيد و تفسير ذلك ، في انه لم يكن في مصلحة جلاب الرقيق ان ينشروا الاسلام بين القبائل الوثنية التي يأخذون من بينها ضحاياهم التاعسين ، ان لو تحولت هذه القبائل الى الاسلام ، لتأخت معهم في الدين ، ولاستحالت الاغارة عليهم واسترقاقهم .

### الاسلام في افريقية الشرقية

ولما منعت تجارة الرقيق لانتشار الحكم الاوربي في افريقية الاستوائية الشرقية ، تلا ذلك توسع كبير في نشاط نشر الدعوة الاسلامية وتوطد السلام والنظام في الجهات الداخلية ، ومدت السكك الحديدية وانشئت الطرق ، وحينئذ استطاع التاجر المسلم ان يشق طريقه في مناطق كانت مغلقة في وجهه وحتى ذلك الحين . وقد اختارت ادارة هذه البلاد موظفيها من بين اكثر السكان المسلمين ثقافة ، فأنشأت حكومة افريقية الشرقية ( الالمانية ) آلافا من الوظائف ، اسندتها

الى موظفين من المسلمين ، استفلوا نفوذهم في ادخال قرى بأجمعها في الاسلام . وكان معلمو مدارس الدولة مسلمين كذلك ، وفي وقت مبكر يرجع الى العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، لوحظ ان معلمي المدارس من السواحلية ، يقومون بنشاط حي ناجح في نشر الدعوة بين اهالي بندئي ووديجو Bondéj and the wadigo

( الذين يسكنون في الداخل على مسافة قصيرة من الساحل ) في افريقية الشرقية الالمانية . ولكن نشاط هذه الحركة الجديدة في نشر الدعوة اصبح يسترعي النظر الى حد كبير في الجهات الداخلية في مستهل القرن العشرين ، وخاصة بعد القضاء على ثورة سنة ١٩٠٥ في افريقية الشرقية الالمانية . وقد ساءرت حركة التوسع في نشر الدعوة هذه بصفة خاصة ، السكك الحديدية والطرق التجارية الكبيرة ، فانتشرت في خط مستقيم عبر افريقية الشرقية الالمانية حتى حدودها الغربية على بحيرة تنجانيقا ، وانتشرت نحو الشمالي من سمبارا Usambara الى مقاطعة كلمنجارو ، ونحو الجنوب حتى بحيرة نياسا . وكان الذين قاموا بنشر هذه الدعوة من التجار ، وخاصة اهالي الساحل ، من السواحلية والجنود وموظفي الحكومة . وينظر الوثنيون هناك الى قبول الاسلام على انه دليل على الترقى الى حضارة ومنزلة اجتماعية ارفع مما هم فيها ، ويقال ان الازدراء الذي كان ينظر به المسلمون الى الوثنيين طالما كان عاملا حاسما في تحولهم الى الاسلام . ونستطيع ان نتخذ مثلا لتأثير هذا الاحساس من سمبارا الغربية ، التي قيل انها كانت لاتزال في سنة ١٨٩١ موصدة في وجه الاسلام ، وكان شعور الروءساء والشعب كليهما شعورا عدائيا نحو المسلمين ، فكانوا يكرهونهم ويخافونهم باعتبارهم تجار رقيق ، ولكنه لما انتهى عهد تجارة

الرقيق وانشئت ادارة منظمة ، كان اول من عين من الموظفين الوطنيين كلهم تقريبا من المسلمين . وقد اثر هؤلاء في الزعماء وغيرهم ممن الشخصيات الهامة التي اتصلت بهم الى حد ان الدخول في الاسلام كان هو التصرف الصحيح للذين اشتغلوا في الدوائر الرسمية ، وبذلك نجحوا في ان يدخلوا في الاسلام بعضا من الزعماء اعظم من هؤلاء الذين نجدهم قد اثروا فيما بعد مثل هذا التأثير في زعماء اقل منهم منزلة . ويظهر ان هناك شواهد قليلة على نشاط دعاة محترفين او نشاط اية فرقة من الفرق الدينية ، ولكن الشواهد لاتعوزنا على وجود جهود منظمة في نشر الدعوة ، كتلك الجهود التي قام بها معلم مسلم ، ذكرانه كان يزور منطقة في بلاد كلمنجار وكل اسبوع زيارة منتظمة ، وظل على ذلك خمسة شهور يدعو الى الاسلام ، وقد رحب بجهوده الاهالي الذين كان يقيم لهم ولائم يقدم لهم فيها طعام الارز وغيره . ومما يلفت النظر في هذه الدعوة الحماسية ان الدعاة لم يقصروا اهتمامهم على الوثنيين وحدهم ، بل سعوا ايضا لكسب متحولين الى الاسلام من بين الاهالي المسيحيين .

وقد شق الاسلام طريقه الى نياسالاند من الساحل الشرقي ايضا ، ودخلها على ايدي النخاسيين من العرب وحلفائهم الياوس Yaos الذين جاء اجدادهم من مكان قريب من الساحل الشرقي ، حيث كانوا قد اعتقدوا الاسلام منذ زمن بعيد . ويقال انه من النادر ان نرى عربيا الآن في نياسالاند ، ولكن الياوس يوءلفون قبيلة من اقوى القبائل الوطنية ، وينظرون الى الاسلام على انه دينهم القومي . ومع انه لا تبدو هناك دعوة منظمة ، انتشر الاسلام بسرعة فائقة ابان العقد الاول من القرن العشرين ، وكان انتشاره بين بعض القبائل التي تعد من اشد القبائل ذكاء في نياسالاند .

## قبائل الجلا والسومال

سجل الاسلام مثل هذا النجاح بين قبائل الجلا والسومال . وقد ذكرنا من قبل استيطان الجلا في الحبشة ، ومن المحتمل ان هؤلاء المهاجرين ، الذين ينقسمون الى سبع قبائل ، تسمى بالولو جلا ، وهم اسم الجنس الذي ينتمون اليه ، كانوا جميعا وثنيين في وقت اغارتهم على هذه البلاد ، ولا يزال جزء كبير منهم على الوثنية حتى يومنا هذا . وبعد ان استقروا في الحبشة لم يلبثوا ان تأقلموا فيها ، واتخذوا لانفسهم ، في كثير من الاحيان ، لغة سكان البلاد الاصليين وتعودوا عاداتهم وتطبعوا بطبائعهم .

اما قصة دخولهم في الاسلام فيكتنفها الغموض : فبينما يقال ان بعضهم ادخلوا كرها في الديانة المسيحية ، نجد ان عدم وجود اية سلطة سياسية في ايدي المسلمين يدحض امكان القيام بأى نشاط في تحويل الناس الى الاسلام على هذا النحو . وفي القرن الثامن عشر قيل ان معظم الذين في الجنوب يعتقدون الاسلام ، اما الذين كانوا في الجهات الشرقية والغربية فمعظمهم وثنيون . وتشير اخبار احدث من تلك الى زيادة اخرى ، في عدد اتباع النبي . وفي سنة ١٨٦٧ تنبأ مونتسنجر Munzinger بأن كل قبائل الجلا ستدخل في الاسلام في مدة قصيرة . وان قد قيل عنهم " انهم متعصبون جدا " ، فانا نستطيع ان نستنتج انهم لم يكونوا بحال ما غير متحمسين او متراخين في اعتقادهم هذا الدين . ولا شك ان هذا الرجل المعتقد الذي ينتمي الى الجلا والذي قابله داوتسي Doughty في خير قد اظهر درجة عظيمة من الحماسة نحو دينه ، وكان هذا الرجل قد انتزع من بلده في طفولته وبيع ببيع الرقيق في جدة ،

فلما سأله داوتي : الا يزال يضم السخط نحو هوءلاء الذين سرقوه  
واسلموا حياتهم للعبودية في اقاصي الارض ، اجاب ، " ان شيئاً  
واحداً قد عوضني ، - وهو اني لم اعد غارقاً في الجهل بين عبدة  
الاثان ، ما اعجب عناية الرحمن ، تلك التي جئت بفضلها الى بلاد  
الرسول هذه ، وتوصلت بها الى معرفة الدين " . " آه ما اشهد  
حلاوة الايمان ، صدقني ايها الرفيق العزيز ، انه امر يعجز كل  
قلب عن الافصاح عنه ، كم اتمنى ان يهديك الله الى تلك المعرفة  
الساوية ، ولكنني موقن ان الله سيرعاك حتى لا تهلك قبل ان تدخل  
هذا الدين . حقا ما اجمل ان اراك مسلماً ، وان تصبح واحداً منا ،  
ولكنني اعرف ان الاجل بيد الله . يفعل الله ما يشاء " .

وبعض السكان ، في قبائل الجلا التي تقيم في بلاد الجلا  
الصيمة ، مسلمون ( ان كانت بعض القبائل قد تحولت الى الاسلام  
حول سنة ١٥٠٠ ) ، وبعضهم الآخر وثنيون ، ما عدا تلك القبائل  
التي تقيم على حدود الحبشة مباشرة ، والتي ارفعها ملك هذه البلاد  
على انتقال المسيحية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر .  
والمسلمون بين الجبال قلة ، اما في السهول ، فقد صادف دعاة  
الاسلام نجاحاً رائعاً ، ولقيت تعاليمهم قبولا من الناس اخذ ينمو  
نمواً سريعاً في خلال القرن الماضي . ويذكر انطونيو ستشيبي  
Antonio Cécchi الذي زار مملكة ليمو الصغيرة في سنة ١٨٧٨ ،  
قصة عن اسلام ابا باغبو Abba Baghibo والد الامير الذي كان يحكم  
ان ذاك ، على ايدي مسلمين ظلوا عدة سنين يجدون في نشر  
الدعوة في هذه البلاد في زى التجار . وقد حذا حذوه رؤساء ممالك  
الحلا المجاورة ورجال حاشيتهم ، وظفرت العقيدة الجديدة بفئد  
من العامة كذلك ، واستمرت تتقدم بينهم ولكن السواد الاعظم منهم

كان يتشبهت بعبادته القديمة . وقد لقي هؤلاء التجار ترحيبا حارا في بلاط رؤساء الجلا ، لما وجدوه هناك من سوق لاستبدال حاصلات البلاد التجارية بسلع مستوردة من المصنوعات الاجنبية . ولما كان هؤلاء التجار يرتحلون الى الساحل مرة واحدة كل عام ، او مرة فقط كل عامين ، وكانوا يقضون كل ما بقي من الوقت في بلاد الجلا ، لذلك كانت لديهم فرص كثيرة عرفوا جيدا كيف ينتهزونها للعمل في نشر الدعوة الاسلامية ، وحيثما وضعوا اقدامهم كان من المؤكد ان يظفروا بعدد كبير من الداخلين في الاسلام في مدة قصيرة من الزمن . وقد دخل الاسلام هنا في نزاع مع مبشرين مسيحيين من اوربا ، صادفت جهودهم نجاحا قليلا جدا ، على الرغم مما ظفروا به من تنصير نفوس قليل - وحتى الذين نصرهم الكردينال ماساجا Cardinal Massaja فانهم ( بعد ان طرد من هذه البلاد ) اما اسلموا ، او انتهوا الى عدم الايمان ، لا بالمسيح ولا بالله - بينما حقق الدعاة المسلمون نجاحا مستمرا ، وشقوا طريقهم بعيدا نحو الجنوب ، وعبروا نهر وابي . وكانت غالبية قبائل الجلا التي تقيم في غرب بلاد الجلا لاتزال وثنية قبيل نهاية القرن التاسع عشر ، ولكن بيد وان عبادة الطبيعة القديمة بين الذين كانوا في اقصى الغرب ، وتعني بهم الليجا ، كانت فني طريقها الى التدهور ، وقد جعل تأثير الدعاة المسلمين الاخذ في النمو ودخل كل قبائل الليجا في حظيرة الاسلام في مدى سنوات قليلة ، امرا محتملا .

وان افريقية الشمالية الشرقية في الوقت الحاضر لتمثل لنا حقا صورة لنشاط ذي حيوية وحماسة رائعتين في نشر الدعوة من جانب المسلمين . وتنفذ من بلاد العرب عدة مئات من الدعاة كل عام . وهم

ايضا اكثر نجاحا في جهودهم بين قبائل السومال منهم بين الجلا .  
ولا بد ان يكون القرب الشديد بين بلاد السومال وبلاد العرب قد  
جعل الاولى ، في زمن مبكر ، مسرحا لنشاط الدعوة الاسلامية ،  
ولكن يظهر لسوء الحظ ان ما دون عن اخبار هذا النشاط قليل .  
وقد ذكر ابن حوقل ان اهالي زيلع كانوا مسيحيين في النصف الثاني  
من القرن التاسع الميلادي ، ولكن ابا الفداء يتحدث عنهم في النصف  
الاول من القرن الرابع عشر على انهم مسلمون . ومن المحتمل ان تجارا  
من العرب اللاجئين الى السومال هم الذين حملوا الدين عبر البحر .  
وتشيع لدى السوماليين اسطورة تقول بأن عربيا عريقا في الاصل ،  
اجبر على ان يفادر بلاده ، فعبر البحر الى عدل ، حيث دعا الى  
الدين الاسلامي بين اجدادهم . وفي القرن الخامس عشر جاءت من  
حضر موت جماعة تتألف من اربعة واربعين عربيا يدعون الى الاسلام ،  
فنزلوا في بربرة على البحر الاحمر ، ومن هناك انتشروا في بلاد  
السومال ليدعوا الى الاسلام . وقد شق احدهم ، وهو الشيخ ابراهيم  
ابوزباى طريقه الى مدينة هرر حول سنة ١٤٣٠ ، واكتسب هناك  
كثيرين من الذين تحولوا الى الاسلام ، ولا يزال قبره موضع تعظيم  
في هذه المدينة . وهناك بالقرب من بربرة جبل لا يزال يسمى جبل  
الاولياء تخليدا لذكرى هؤلاء الدعاة ، الذين يقال انهم كانوا  
يجلسون هناك في خلوة مقدسة قبل ان ينتشروا في طول البلاد وعرضها  
لتحويل الناس الى الاسلام . وقد ساد الاسلام شيئا فشيئا في جميع  
انحاء افريقية الشمالية الشرقية ، ولكن تزايد نفوذ الامبراطور منليك  
واحتلاله هرر في سنة ١٨٨٦ ادى الى تحول عدد معين من اهالي  
الى المسيحية .

## في مستعمرة الكاب الساحلية

ولكي نستكمل هذا الوصف الخاص بانتشار الاسلام في افريقية ، لا يبقى الا ان نشير الى هذه الحقيقة ، وهي ان الدين قد شق طريقه الى اقصى الجنوب من هذه القارة ، ونعني مستعمرة الكاب . ومسلمو الكاب هؤلاء الذين من سلالة اهل الملايو ، جاء بهم الهولنديون الى هذه البقعة اما في القرن السابع عشر او الثامن عشر ، وهم يتكلمون لهجة محرفة من لغة البوير ، مع خليط كبير من اللفظة العربية ، وبعض كلمات انجليزية وكلمات من لغة الملايو . وهناك كتاب صغير عجيب ، مؤلف بهذه اللهجة ومكتوب بحروف عربية ، وقد نشره وزير المعارف التركية في القسطنطينية سنة ١٨٧٧ ، ليستعمل كتيبا صغيرا لتعليم قواعد الدين الاسلامي . وان الاسماء الهولندية الصرفة التي يتسمى بها بعضهم ، وملامح الوجه التي تلاحظ في كثير منهم ، ليدل على احتمال انهم تلقوا في مجتمعاتهم في وقت ما بعض اشخاص من اصل هولندي ، او ان بدمائهم على الاقل مزيجا كبيرا من الدم الهولندي . وكذلك اكتسبوا بعض متحولين الى الاسلام من بين الهوتنتوت Hottentots . ولم يكتب عنهم الرحالة الاوربيون ، بل اخوانهم في الدين ، حتى الايام الاخيرة ، الا مذكرات قليلة . وفي سنة ١٨١٩ لفت كولبروك الازهان الى نمو الاسلام ، في بعض مذكرات ممتعة كتبها عن مستعمرة الكاب ، قال : " يقال ان الاسلام يتقدم بين الغبيد والسود الاحرار من اهالي الكاب ، ونعني بذلك ، ان الذين تحولوا من الوثنية الى الاسلام من بين الزنوج والسود على اختلاف انواعهم كانوا اكثر عددا من الذين تحولوا من الوثنية الى المسيحية ، وهذا على الرغم من الجهود القوية التي



يبدلها بمشرون اتقيا . وقد ثبت ان النفور الشديد الذي ابداه —  
السادة من تعميم عبدهم كان سببا من اسباب هذا التحول ، وقد  
نشأ ذلك من بعض افكار خاطئة او من فرط تخويفهم من الحقوق التي  
ينالها العبد الذي يعبد . ولا شك ان العبيد متأثرون بفكرة بقاء  
هذا النفور ، ولم يكن من النادر ان يجيب العبد ، ان ما سئل عن  
بواعث تحوله الى الاسلام ، بأنه يجب ان يكون له دين ، وانه لم  
يسمح له بأن يتنصر . والتعصب في هذا الامر أخذ في الزوال ، وقد  
قلت الآن معارضة هؤلاء السادة في تنصير العبيد عما كان من قبل .  
وقد ثبت ان السادة اخذوا يدركون ان العبيد لا يسيئون استعمال  
التعاليم التي يتلقونها في واجباتهم الدينية . وهناك جموع أخذت في  
الزيادة على ايدي المبشرين ويوجد في كل بلد من البلدان الرئيسة  
واحد ممن كرسوا جهودهم على تثقيف العبيد ثقافة دينية ، ويأمل  
المبشرون الا تكون جهودهم غير مثمرة . ولكن الداعية المسلم حول  
جموعا اكبر بمجهود اقل من مجهود المبشرين ” . وفي خلال الخمسين  
سنة الاخيرة كان يزور المسلمون في مستعمرة الكاب جماعة من بلاد  
اخرى من اخوانهم في الدين المتحمسين ، وقد اثاروا الآن اهتمامهم  
بالتعليم اكثر مما مضى ، وبعثوا بينهم حياة دينية اعظم من تلك التي  
كانوا يحبونها ، ويقال انهم يقومون بدعوة حماسية ، وخاصة بين الاهالي  
السود في الكاب وانهم حصلوا على نجاح محقق . وان حركة نشر  
تعاليم الدعوة هذه قوية في الجزء الغربي من مستعمرة الكاب  
خاصة . ويقال ان هناك حركة سائرة في طريق التنفيذ لتأسيس كلية في  
كليرمونت Claremont بجوار مدينة الكاب ، وانها ستصبح  
مركزا لنشر الدعوة الاسلامية . ومن الوسائل التي تستغل الآن تبني

الاطفال الشاردين او المهملين وتنشئتهم على دين الاسلام . ويهج فريق منهم كل عام الى مكة ، حيث يعين لهم شيخ خاص للاشراف عليهم . وكذلك يقال ان عمال الهنود الذين يأتون للعمل في حقول الماس في افريقية الجنوبية دعاة للاسلام .

ولما كانت جزيرة مدغشقر في مكان منعزل ، على بعد يتراوح بين ٢٢٠ ميلا و ٥٤٠ ميلا من الاراضي الاصلية ، فانها تستدعي انتباها خاصا . وان القبيلة الوحيدة التي اسلمت هي قبيلة انتيمورونونا Antaimorona التي تحتل جزءا من الساحل الجنوبي الشرقي ، ولا شك ان تحولهم الى الاسلام كان على يد دعاة من بلاد العرب ، ولكن الوقت الذي تم فيه هذا التحول مجهول لنا تماما ، وربما ارجعته الاساطير الى عهد الرسول نفسه ، ولكننا لم نحصل الا في القرن السادس عشر على معلومات موثوق بها عن المسلمين في هذه الجزيرة ، وذلك فيما كتبه الجغرافيون من الطليان والبرتغاليين .

### اساليب الدعاة في نشر الدعوة

ومن هذا الوصف التاريخي المجمل نستطيع ان نرى ان الاساليب السلمية كانت الطابع الغالب على حركة نشر الدعوة الاسلامية في افريقية ومع ان الاسلام كثيرا ما شهر السيف كأداة يستعين بها على تقدم فتوحاته الروحية ، نجد ان مثل هذا الالتجاء الى القوة وسفك الدماء كان يسبقه في معظم الحالات جهود سلمية في نشر الدعوة ، كان الداعية يتعقب الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس الى الاسلام والحق ان نجاح الرواد المسلمين نجاحا دنيويا سهل الى حد كبير جدا نجاح الاسلام في جهات كثيرة من افريقية ، كما سهله تأسيس دول اسلامية على انقاض دول وثنية . وان النار وسفك الدماء طالما

مميزا خطة الجهاد ، التي دبرت لاستئصال شأفة الكفار . وان كلمات الشاب المسلم الذي كان من برنو والذي قابله الكابتن بورتن Burton في قصر ملك ابيكوتا Abeokuta ، لتعبر بدون شك عن مطامح كثيرين من مسلمي افريقية : " اعطنا هذه البنادق وهذا البارود ندخل في الحال هذه الكلاب في الاسلام " . ويتروى صدى هذه الكلمات في الرسالة التي يوزدها منجو بارك Mango Park باعتبارها موسلة من ملك فوته تورو Futah Toro المسلم الى جاره الوثني: " بهذه السكنين سينزل عبد القادر ويخلق رأس دامل ، ان دخل دامل في الاسلام ، وبهذه السكنين الثانية سيدق عنق دامل ان ابي ان يدخل في هذا الدين ، فاختر لنفسك " .

ولكن بقدر ما يمكن ان يعزى الاسلام الى البسالة الحربية التي قام بها امثال هؤلاء المتعصبين ، لدينا الدليل القاطع الذي شهد به الرحالون وغيرهم على نشر الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداعي المسلم بأعمال تنطوي على الرفق والاناة ، تلك الاعمال التي عملت في سبيل انتشار الاسلام انتشارا سريعا في افريقية الحديثة ، اكثر مما عمل اى اسلوب من اساليب العنف . وربما استأصل الاسلام حقا شأفة مقاومة بالاساليب الاخيرة ، ولكنه عن طريق الاولى بصفة خاصة انجز عملية تحويل الناس الى الاسلام ، ولعل نشاط التحول لا يزال يتقدم في كثير من الاقاليم الساحلية والداخلية . وحيثما شق الاسلام طريقه ، نجد هناك الداعي المسلم حاملا الدليل لعقائد هذا الدين — فالتاجر سواء كان من العرب ام البول ام الماندنغو ، يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته ، وان مهنته وخذها لتصله صلة وثيقة مباشرة بأولئك الذين يريد ان يحولهم الى الاسلام ، وتتفنى عنه كل ما يحتمل

ان يتهم به من وافع شريرة . واذما دخل مثل هذا الرجل قرية  
وثنية فسرعان ما يلفت الانظار بكثرة وضوئه ، وانتظام اوقات الصلاة  
والعبادة ، التي يبدو فيها كما لو كان يخاطب كائنا خفيا . وان  
ما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الاهالي  
الوثنيين ، الذين يبدي لهم في نفس الوقت استعداده ورغبته في  
مد هم بمزاياه ومعارفه السامية — والحاج الذي عاد من مكة مليئا  
بالحماسة من اجل نشر العقيدة ، التي يقف عليها كل جهوده ، منتقلا  
من مكان الى آخر ، يعيش على صدقات المؤمنين الذين يحملون  
الدليل على الحق بين خيرانهم الوثنيين ، — وطالب العلم الذي  
يلقى تكريما باعتباره رجل علم تفقه في الدين والشريعة الاسلامية ،  
بل احيانا يزاول الطب ، او على الاقل يكون ذا مهمة عظيمة باعتباره  
كاتب تعاويد . وآيات من القرآن ، تطوى في قطع من الجلد او القماش  
وتعلق على الاذرع او حول العنق ، وهي مهمة يستطيع ان يستغلها  
كوسيلة لاكثر عدد المتحولين الى الاسلام ، مثال ذلك ، انه حينما  
تطلب منه هذه التعاويد النساء العواقر او اللاتي فقدن اولادهم  
اطفالا ، يفرض عليهن ، شرطا لنجاح هذه التعاويد ، ان ينشئن  
اطفال المستقبل على الاسلام . هؤلاء المعلمون الدينيون ، او المرابطون  
او الالوفا Aiofas كما يطلق عليهم بحسب اختلاف اسمائهم ،  
يحظون بأوفى نصيب من التقدير . وفي بعض قبائل افريقية الغربية  
تضم كل قرية دارا لاستقبالهم ، ويعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير  
ففي دارفور يحتلون اعظم مكانة بعد هؤلاء الذين يشغلون مناصب  
الحكومة ، كما يحتلون بين الماندنغو مكانة اعظم شأنا ، وينالون  
احتراما يلي احترام الملك ، ويعتبر الرؤساء ، التابعون لهم اقل  
منهم هيبه . وفي تلك الدول التي اتخذ فيها القرآن اساسا للحكم  
في كل المسائل المدنية ، تحتاج الدولة لخدماتهم احتياجا شديدا

لكي يفسروا معاني القرآن . وقد بلغ من اجلال الناس لاشخاص هؤلاء<sup>٤</sup> المعلمين ، انه لا يتعرض لهم احد حين يجوسون خلال امارات لا يعادى بعضها بعضا فحسب ، بل يتقاتلون مع بعض في حرب فعلية . ويجلبهم الناس مثل هذا التبجيل ، لا في البلاد الاسلامية وحدها ، بل في القرى الوثنية ، التي يؤنسسون فيها مدارسهم ، حيث يحترمهم الناس باعتبارهم معلمي ابناءهم ، ويعتبرونهم واسطة بينهم وبين الله سواء في الحصول على حاجاتهم ، او في درء المصائب وصرفها عنهم . وقد درس كثير من هؤلاء المعلمين في مساجد القيروان وفاس وطرابلس وغيرها من مراكز الثقافة الاسلامية ، ولكنهم درسوا بصفة خاصة في الجامع الازهر بالقاهرة . ويهرع الطلاب الي هذا الجامع من كل بقاع العالم الاسلامي ، ومن بينهم في الغالب جماعة من زنج افريقية — طلبة من دارفور وواي وبرنو ، بل يشق فريق من المسلمين طريقه سيرا على الاقدام من اقاصي الساحل الغربي فاذا ما اتوا دراستهم في الدين والشريعة الاسلامية ، صار كثير منهم دعاة بين اهالي بلادهم الوثنيين . وينشئ هؤلاء الدعاة في المدن التي يزورونها مدارس يختلف اليها الاطفال الوثنيون والمسلمون على سواء ، فيحفظون القرآن ويتفقهون في عقائد الاسلام وشعائره ، فاذا ما نجح الداعي المسلم ، على هذا النحو ، بماله من حظ موفور من العلم والمعرفة للمستاميتين ، فانه لا يتوانى عن ان يوءثر تأثيرا كبيرا في الاهالي الذين جاء يعيش بينهم ، ويساعده على ذلك ان عاداته وطباعه في الحياة تشبه عاداتهم وطباعهم في كثير من الوجوه . وما دام التاجز قد مهد له الطريق من قبل فلا يرتاب فيه الاهالي . وبالتزاوج مع السكان الذين يرحبون بدخوله في نظامهم الاجتماعي ،

يتوطد نفوذ ه ويستقر ، وهكذا تنشر بينهم معارف الاسلام شيئاً فشيئاً  
وبطريقة طبيعية الى ابعـد حد .  
وقد زاد من تيسير جهود الداعي في نشر الدعوة ان الاعتقاد  
بوجود الله مع انكار الوحي والاديان Deism ، وهو اساس  
الشعور الديني عند كثير من عبدة الاوثان ، يمكن ان يتحول ،  
في سهولة ، الى عقيدة التوحيد عند المسلمين ، وكذلك الحال في  
بعض مظاهر اخرى في فلسفتهم الدينية . وهكذا نجد ان نظرتهم  
العامة في الحياة وكثيراً من شرائعهم الدينية قابلة لان تصطبغ  
بصبغة اسلامية ، وان تتحول الى نظام الدين الجديد دون اجراء  
تغيير كبير .

وان نزول المسلمين في بلاد وثنية هو كذلك ايذان بفتح باب  
للتجارة اوسع مدى وانتشاراً ، وبالاتصال بمراكز اسلامية تجارية كبيرة  
من امثال جني او سجو Sego او كانو Kano ، كما ان هـو لاء  
المسلمين قد موا الى الاهالي نصيباً من مزايا هذه الحضارة المادية  
مع الدين الاسلامي . ومن ثم " قد يكون الداعية بين القبائل الزنجية  
غير المتحضرة على ثقة دائمة من الاستجابة السريعة : فهو يستطيع  
ان يمد هم بكثير من الحقائق المتعلقة بالله والانسان تصل الى القلب  
وتنمي الادراك ، بل يستطيع الى جانب ذلك ان يمنحهم ترخيصاً  
بالدخول في وحدة اجتماعية سياسية ، تخولهم حق الحماية  
والمساعدة في مسافة تمتد من المحيط الاطلسي الى سور الصين .  
وحيثما يستطيع المسلم ان يجد هناك داراً اسلامية يجد الاسود  
الذي تحول الى الاسلام والذي يستطيع ان يرد اركان عقيدته  
الاثني عشر واثقاً من المأوى والقوت والنصيحة ، وسرعان ما يجتهد  
نفسه ، في بلاده ، عصوا في طبقة ذات نفوذ ان لم يكن في الطبقة

السائدة . ويبدو ان هذا هو السر الحقيقي في نجاح الدعوة  
المسلمين في افريقية الغربية . اما عدد المتحولين الى الاسلام ، فانه  
كان كبيرا ، سريعا في التحول ، وذلك لسبب واضح هو ان الداعي  
المسلم كان منذ اللحظة الاولى التي يعترف فيها المتحول الى  
الاسلام بالعقيدة ، يسير سيرا عمليا على المبادئ القائمة على اخاء  
المؤمنين جميعا وتساويهم امام الله ، وهي مبادئ يشترك فيها  
الاسلام مع المسيحية ، غير ان هذا الداعي المسلم ، بصفة عامة ،  
اسرع واحسم في القيام بهذا العمل من المبشر المسيحي الذي يشعر  
في اغلب الاحيان بأنه مضطر الى المطالبة بدليل قوى على اخلاص  
المتنصر قبل ان يوافق مصادفة التآخي في المسيحية ، والذي كان  
دائما يشير تعصبا جنسيا لم يكن محتملا ان يزول في جيل واحد ،  
حيث كان يعد المسيحي الابيض ، طوال اجيال ، سيذا ، كما كان  
يعد الوثني الاسود عبدا ” .

ومن المهم ، ايضا ، ان نلاحظ ان لون الزنجي وجنسه لم  
يحملا بأية حال اخوانه الجدد في الدين ، على ان يتعصبوا عليه .  
ولا شك ان نجاح الاسلام قد تقدم في افريقية الزنجية *Nigritia*  
تقد ما جوهريا بسبب عدم كل احساس باحتقار الاسود — وفي الحق  
يظهر ان الاسلام لم يعامل الاسود قط على انه من طبقة منحطة ،  
كما كانت الحال ، لسوء الحظ ، في كثير من الاحيان ، في العالم  
المسيحي .

وان هذه الملاحظة لتفسر الى حد ما نجاح المسلم اذا ما قورن  
بالرسائل المسيحية بين الشعوب الزنجية ، ويتضح في اغلب الاحيان  
ان الاسود المتنصر يميل الى الاحساس بأن ابناء دينه من الاوربيين

ينتمون الى لون من الحضارة لا يلائم طباعه في الحياة ،على حين يشعر في المجتمع الاسلامي بأنه اكثر تعلقا به واطمئنانا اليه . وقد اجاد احد المشاهدين المحدثين توضيح ذلك في الرسالة الآتية .  
” ان الاسلام ، على الرغم من تقصيره ، لا يتطلب من وجهة نظر اهل نيجريا ، ان يفقد احد هم قوميته باعتبار ان ذلك شيء يصح سب الدخول في الاسلام ، ولا يستلزم تغييرات انقلابية في الحياة الاجتماعية يستحيل تحققها في المرحلة الحاضرة من تطور اهل نيجريا ، ولا هو يقوض نفوذ الاسرة او سلطة الجماعة . وليست هناك قوة بين الداعي الى الاسلام والمتحول اليه ، فكلاهما متساوا احدهما مع الآخر ، لانظريا ، بل عمليا ، امام الله . وكلاهما افريقي ، وهما من ابناء ارض واحدة . وينفذ مبدأ التآخي الانساني تنفيذا عمليا ، ولا يعننى الدخول في الاسلام أن ينصرف الداخل فيه عن شئونه واسرته وحياته الاجتماعية ، ولا عن احترامه لسلطان حكام بلاده الاصليين . وليس هناك من لا يعجب بسلوك المسلم النيجيرى ووقاره — بل بسلوك مسلمي افريقية الغربية عامة ، وان هيئة الرجل العامة لتنتم عن شعور بالقومية واعتزاز بالجنس ، يخيل اليك انه يقول : ان كلامنا يختلف عن الآخر ، ولكننا جميعا بشر . وان انتشار الاسلام الذى نشهده اليوم في نيجريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثرا اجتماعيا . ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتصلون به منزلة ارقى وفكرة اسمى عن مكانة الانسان من العالم المحيط به ويحرره من ريق الف من الاوهام الخرافية ” .

وقد ورد في الروايات الاسلامية ان موسى كان رجلا اسود ، كما قد نتبين ذلك من الآيات العرآنية . ” واضم يدك الى جناحك تخرج



بيضاء من غير سوء آية اخرى " ( سورة ٢٠ : آية ٢٣ ) " ونزع يده ،  
فاذا هي بيضاء للناظرين . قال الملا من قوم فرعون : ان هذا  
لساحر عليم " ( سورة ٧ : آية ١٠٥ - ١٠٦ ) . والقصة الآتية  
التي وصلت الينا عن العصر الذهبي للدولة العباسية ، مهمة  
باعتبارها شاهدا على شعور المسلمين نحو السود . وكان ابراهيم بن  
المهدى ، اخو هارون الرشيد وابن احدى الجوارى ، قد نصب  
نفسه خليفة في بغداد ، ولكن المأمون الذي كان يحكم ان ذاك ٨١٩م  
هزمه وعفا عنه . ويقص ابراهيم قصة مقابله مع الخليفة على النحو الآتي :  
" قال لي المأمون وقد دخلت عليه بعد العفو عني : انت الخليفة  
الاسود ؟ فقلت : يا امير المؤمنين ، انا الذي مننت عليه بالعفو ،  
وقد قال عبد بتي الحساس :

اشعار عبد بني الحساس فمن له

عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا فننسي حرة كرما

او اسود الخلق اني ابيض الخلق

فقال لي : " ياعم ، اخرجك الهزل الى الجند " . وانشد :

ليس يزرئ السواد بالرجل الشهم

ولا بالفتى الاديب الاريب

ان يكن للسواد فيك نصيب

فبياض الاخلاق منك نصيبي

وعلى هذا النحو ، سرعان ما يضح الاسود المتحول الى الاسلام  
مع المؤمنين على قدم المساواة ، ولا يحول دون ذلك لونه او جنسه  
او اية ملابس من ملابس الماضي . ولا شك ان ما كان يلقاه السود

الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الاسلام ، هو الذي كان يرفبهم في الانضمام الى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم ان يوءثروا التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية ، ومما يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جدا على تفسير نجاح هذا الدين ان مجرد الدخول في الاسلام يدل ضمنا على الترقى في الحضارة وانه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقليا وماديا . وكانت القوى المحشودة جنبا الى جنب مع العقيدة الاسلامية ، تبلغ من القوة والبأس الى حد ان البربرية والجهل والخرافة الدينية ، تلك الامور التي كان الدين يجد في القضاء عليها ، لاتجد الا فرصة بيسيرة في اطالة المقاومة . وقد اتضح ما تقدمه حضارة افريقية الاسلامية التي الزنجي الذي تحول الى الاسلام ، وضوحا يبعث على الاعجاب في العبارات الآتية : " ان اقبح الرذائل وهي اكل لحوم البشر ، وتقديم الانسان قربانا ، ووأد الاطفال احياء - تلك الرذائل التي نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما منتشرة في كل افريقية ، ولا يزال في بقاع كثيرة منها ، حتى تلك الجهات التي لاتبعد عن ساحل الذهب وعن مواطننا - قد اختفت فجأة والى الابد . والمساكنون الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدوا يرتدون الملابس بل يتأنقون في ملابسهم ، والمساكنون الذين لم يغتسلوا قط من قبل ، بدوا يغتسلون ، بل يكثرون من الاغتسال ، لان الشريعة المقدسة تأمر بالطهارة ، وهو فرض لا ينطوى على تأثير قوى جدا في غرائزهم التي جبلوا عليها . ويميل النظام القبلي الى فسح المجال لاساس اوسع نطاقا ، وبعبارة اخرى الى اندماج القبائل بعضها في بعض لتصير امما ، ويازيد النشاط والمعرفة تصير الامم امبراطوريات

ونستطيع ان نورد كثيرا من امثال هذه الحالات من تاريخ السودان  
والبلاد المتاخمة له في خلال مئة السنة الاخيرة . ومتى اثيرت الروح  
الحربية على هذا النحو ، فان المراكز التي تنبعث منها نار الحرب  
تصبح اقل عددا واكثر انعزالا منها قبل . وفي هذه الحالة تكون  
الحرب احسن تنظيما كما تكون متأثرة بصورة من صور التقيد ، وهم  
لا يثيرون القتال دون سبب من الاسباب . وقل السلب المطلق الذى  
لا يقوم على تفرقة بين من يسلبونهم ، كما اصبح تأمين الناس على  
املاكهم وارواحهم اكثر من ذي قبل وتنشأ مدارس اولية كتلك المدارس  
التي وصفها مونجوبارك Mungo Park منذ قرن مضى . حتى  
لو ان هذه المدارس اقتصرت على تعليم تلاميذها تلاوة القرآن ، لكانت  
ذات قيمة في نفسها ، وقد تكون خطوة في سبيل ما هو اعظم منها  
بكثير . وقد اصبح المسجد الجيد البناء النظيف ، بما فيه من اذان —  
للصلاة خمس مرات في اليوم ، وقبلت تتجه الى مكة وامام وصلاة جمعة ،  
مركزا للقربة بدلا من دار عبادة اوتان او اليويو Juju ذات المنظر  
البشع . وقد طغت عبادة الله الواحد القهار ، الكائن في كل مكان  
العليم ، الرحيم ، على كل ما لقن الاهالي عبادته من قبل ، طغياننا  
لا حد له ، وبلغت اللغة العربية ، وهي اللغة التي تكتب بها دائما  
الكتب الدينية الاسلامية ، حدا يفوق كل وصف من الغنى والجمال .  
وانا ما تعلموا هذه اللغة ، اصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف  
القارة . وتستخدم كمقدمة لدراسة الادب ، بل هي ادب في ذاتها .  
وهي الى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة حلت محل نزوات شيخ القبيلة  
الاستبدادية — وهذا تغير يعتبر في ذاته تقدما هائلا في الحضارة .  
وظهرت صناعات وتجارة ، لا كالتجارة الصامتة التي تقوم الاشارات فيها

مقام اللغة في التفاهم ، ولا كالمبادلة البدائية في الخامات ، تلك المبادلة التي نعرف من هيرودوت وانها وجدت في افريقية منذ اقدم العصور ، ولا كالمقايضة بالودع ، او البارود او الطباق او الخمر ، تلك المقايضة التي لا تزال تستخدم على طول الساحل وسيلة اساسية في التبادل ، ولكنها صناعات تنطوي على مهارة فائقة ، وتجارة منظمة نظاما محكما . وظهرت هذه المدن الكبيرة في ارض الزنجون بتأثير هذه الصناعة والتجارة وتأثير الحكومات الاكثر استقرارا التي جاء بها الاسلام ، وهي مدن نجد ان الرحالين الاوربيين حين وصفوها اول الامر لم يستطيعوا الا ان يهملوا مجرد وجودها . واني لا استطيع القول بأن الدين هو العلة الوحيدة في هذا النجاح النسبي . وانما اقول انه ملائم لهذا النجاح ودافع اليه . وقد ساعدت الاحوال الجوية والمؤثرات الاخرى المختلفة على الوصول الى هذه النتيجة ، ولكن ما الذي يحمل افريقية الوثنية ، حيث توجد الظروف التي تتسابه كثيرا مع تلك ، على ان تقارن بين حالتها وبين هذا النجاح ؟ اما فيما يتعلق بالفرد ، فمن المسلم به من كل الوجوه ان الاسلام يمد السود الذين اسلموا حديثا بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جدا ان نجدها في مواطنيهم الوثنيين او المسيحيين .

وفد كتبنا هذه العبارات السابقة التي اقتبسناها قبل تقسيم الجزء الاكبر من افريقية بين حكومات اوربا المسيحية - انجلترا وفرنسا والمانيا وقتذاك - ولكن طابع الحضارة الاسلامية الغالب لم ينقطع عن التأثير في العقلية الزنجية او عن العمل باعتباره احد المؤثرات التي تساعد على تحويل عبدة الاوتان الافريقيين الى الاسلام ، ولما مست هؤلاء الثقافة الاوربية فجأة ، مضوا قدما في طريق الحضارة ،

ولكنهم ، وقد عجزوا عن ان يقيموا جسرا على البرزخ الذى يفصلهم عن حكاهم الاجانب ، وجدوا في الاسلام ثقافة ملائمة لاجاباتهم وجديرة بتكليف مطالبهم ومطامحهم ، ولذلك ، كان بعيدا كل البعد على انتشار السيادة الاوربية ان تعوق نشاط الدعاة المسلمين ، بل ان انتشار هذه السيادة قد ساعد الى حد كبير على تقدم الاسلام . وقد ساعد دخول السلام في بلاد نهكتها من قبل حروب مهلكة او غارات جلاب الرقيق ، ثم قيام اساليب الحكم والادارة المنظمة والزيادة في تيسير المواصلات بانشاء الطرق ومد السكك الحديدية - ساعد كل ذلك على ترويج التجارة ، ومكن التجار والدعاة المسلمين النشيطين من ان يبسطوا تأثيرهم في مناطق لم تطأها الاقدام من قبل ، وان يجولوا في الاراضي المألوفة وهم اكثر امانا وطمانينة . زد على ذلك ان منع تجارة الرقيق ازال عقبة من العقبات الكبيرة في سبيل انتشار الاسلام في افريقية الوثنية ، لانه كان من مصلحة العرب وغيرهم من تجار الرقيق المسلمين الا يضيقوا مجال اعمالهم بالتآخي في الاسلام مع ضحاياهم . والان تدخل في الاسلام من القبائل الوثنية التي لم يضل اليها نشاط الدعوة ايام تجارة الرقيق . وقد ساعدت الحكومات الاوربية على الوصول الى هذه النتيجة بتوظيف المسلمين في الوظائف الثانوية في الادارة المدنية ( حيث لم يكن هناك اشخاص متعلمون الا بين المسلمين ) وتوظيف مسلمين في مدارس الحكومة ، وجمع جيوشها من بين القبائل الاسلامية ، وعلى هذا النحو زادوا من شهرة الاسلام في نظر الافريقيين الوثنيين - وهي فرصة لم يتوان المسلمون عن استغلالها لمصلحة عقيدتهم .

وليس في القول بأن الاسلام انما يتقدم بقوة السلاح

الا قليلا جدا من الحقيقة ، بل الامر على العكس من ذلك  
فتقسيم افريقية بين السلطات الاوربية ، التي انتزعت السيف من  
ايدى الرؤساء المسلمين الذين كانوا تحت حكمهم حينذاك ،  
قد هيا لل دعوة الى الاسلام ان تصادف النجاح بعد  
قرون من الاخفاق .

\*\*\*\*

## انتشار الاسلام في ارضي الملايو

=====

### بين الملايو والعرب والهند

يمدنا تاريخ ارضي الملايو في خلال الاعوام الستة المائة الاخيرة بفصل من اهم الفصول في قصة انتشار الاسلام ، بفضل ما بذله الدعاة من جهود . ففي غضون هذه الفترة كلها ، نجد شواهد تدلنا على نشاط متصل قام به الدعاة المسلمون في جزر الهند الشرقية ، او في بعضها على الاقل . وفي بدء الدعوة ، لم يكن بدون ان ينفذ الدعاة اعمالهم ، في كل لون من ألوان هذه الدعوة ، دون مساعدة او معاضدة من جانب حكام البلاد ، وانما نفذت بقوة الاقناع وحدها ، وصاد فهم في سبيل ذلك معارضة شديدة في كثير من الاحيان ، ولا سيما من جانب الاسبان . ولكن الدعاة والواجهون هم بنشاط لا يعرف الملل ، برغم كل الصعاب ، وبالوان من النجاح متباينة وانجزوا اعمالهم ( وخاصة في الوقت الحاضر ) ايما كانت هذه الاعمال جزئية او ناقصة .

ومن المحال ان نعرف على وجه التحقيق التاريخ الدقيق لاول دخول الاسلام في ارضي الملايو . وربما حملته الى هناك تجار العرب في القرون الاولى للهجرة ، وذلك قبل ان تصل اليها ابيطة معلومات تاريخية عن حدوث امثال هذه المؤثرات في تلك البلاد بزمن طويل . وما جعل هذا الغرض اكثر احتمالا ، ما نعرفه من ان العرب زاولوا مع بلاد الشرق تجارة واسعة النطاق منذ عصور مبكرة جدا . ففي القرن الثاني للهجرة ، كانت تجارتهم مع سيلان كلها في ايديهم وفي مستهل القرن السابع الميلادي ، لقيت تجارتهم مع الصين ، عن

طريق سيلان ، رواحا عظيما ، حتى لقد وجدنا تجار العرب ، في  
اواسط القرن الثامن يقبمون في كانتون في جموع عفيرة . وفي الفترة التي  
بين القرنين العاشر والخامس عشر ، حتى قدوم البرتغاليين ، كان  
العرب سادة التجارة مع الشرق دون منازع . لذلك نستطيع ان نزعـم  
في شيء من التأكيد المقبول ، انهم لابد ان يكونوا قد اسسوا مستعمرا<sup>تهم</sup>  
التجارية في بعض جزائر ارخبيل الملايو ، كما فعلوا ذلك في الاماكن  
الاخرى في عصر مبكر جدا .

ومع اننا لانجد ذكرا لهذه الجزائر في مؤلفات جغرافي العرب  
قبل القرن التاسع ، نجد في حوادث سنة ٦٨٤ م في الاخبار الصينية  
المدونة حسب السنين ، خبرا عن زعيم عربي ، يظن من التعليقات  
المتأخرة انه كان زعيم مستعمرة عربية على ساحل سومطرة الغربي .  
على ان الدعاة لابد ان يكونوا قد وفدوا كذلك على ارخبيل الملايو  
من جنوب الهند ، نستدل على ذلك من بعض خصائص معينة وجدت في  
العقيدة الاسلامية التي اعتقدها سكان هذه الجزائر . ويتبع السواد  
الاعظم من مسلمي الارخبيل المذهب الشافعي ، الذي يسيطر في  
الوقت الحاضر على سواحل كورومانديل ومليبار ، كما كانت الحال كذلك  
حول منتصف القرن الرابع عشر ، عندما زار ابن بطوطة هذه البقاع .  
فاذا قدرنا ان المسلمين في البلاد المجاورة ينتمون الى المذهب  
الحنفي ، استطعنا ان نفسر ذبوع تعاليم المذهب الشافعي بشيء  
واحد ، هو الزعم بأن هذه التعاليم قد جلبت الى هناك من ساحل  
مليبار الذي كان التجار الاتون من جاوة يترددون على موانيه ، كما كان  
يتردد عليها التجار القادمون من الصين واليمن وفارس . كذلك لابد  
ان يكون التشيع قد جاء الى هناك من الهند ايضا ، او من فارس ، ولانزال



آثاره قائمة في جاوة وسومطره . ونعلم مما ذكره ابن بطوطة ان سلطان سمدره المسلم قد دخل في صلوات ودية مع بلاط دهلبي ، وكان من بين علماء الفقه الذين خصهم هذا السلطان المتدين بالرعاية قاض من شيراز وآخر من اصبهان . ولكن قبل هذا الوقت بزمن طويل ، كان التجار المقيمون في الدكن ، الذين قامت الحركة التجارية على ايديهم بين الدول الاسلامية في الهند وارخبيل الملايو ، قد استقروا في جناعات كبيرة في الموانيء التجارية الواقعة في هذه الجزائر ، حيث القوا بذور الدين الجديد .

### اساليب نشر الدعوة

ويرجع الفضل في وجود الاهالي المسلمين ، الذين وجدنا ذكرهم في الاخبار التاريخية الاولى التي تشير الى الاسلام في هذه الجهات الى تلك الجهود التي بذلها تحار العرب والهنود في نشر تعاليم الدعوة . فانهم بعد ان استقروا في مراكز التجارة ، تصاهروا الى سكان البلاد ، ومن ثم كون اولئك النسوة الوثنيات وعبيد اسراتهن نواة الجماعة الاسلامية التي لم يأل افرادها جهدا في زيادة عدد هم ويمدنا الوصف التالي للوسائل التي اتخذها الدعاة من هؤلاء التجار في جزائر القيلبيين ، بصورة لما كان قد صنعه من فير شك ، تجار المسلمين في الاجيال الكثيرة السابقة : " كان اقوم السبل لا دخال دين المسلمين الى هذه البلاد ، ان اتخذوا لغة القوم وكثيرا من عادات الاهالي ، وتزوجوا من نساءهم ، واشتروا عبيدا ليرفعوا من قيمتهم الشخصية ، ونجحوا آخر الامر في ان يدخلوا انفسهم في زمرة الزعماء الذين يتبوءون ارفع مكانة في الدولة . وعملوا يدا واحدة على نحو اكثر حذقا وتناسقا مما كان يصنعه الاهالي ، فزادوا من قوتهم

سيئا فشيئا . ولما كانوا يمتلكون عددا من العبيد ، الفوا فيما بينهم نوعا من الحلف ، واسسوا ضربا من الحكومات الملكية جعلوها وراثية في اسرة واحدة . ومع ان مثل هذا الحلف قد امدهم بقوة عظيمة ، احسوا الحاجة الى التراضي على شروط ودية مع الطبقة الارستقراطية القديمة . كما احسوا الحاجة الى اخذ ضمان لحريرتهم من هـذـه الطبقات التي لم يكن في وسعهم ان يستغنوا عن تأييدها " ولا بد ان يكون المسلمون الذين استوطنوا ارضييل الملايو ، على اختلافهم ، قد وضعوا بطريقة تشبه تلك التي تحدثنا عنها ، اساسا سياسيا واجتماعيا ثابتا لجهودهم في سبيل نشر تعاليم الدعوة . انهم لم يقدوا على هذه البلاد غزاة ، كما فعل الاسبان في القرن السادس عشر ، ولم يستخدموا السيف اداة لتحويل الناس الى الاسلام بل لم يدعوا لانفسهم حقوق جنس اسمى يتمتع بالغلبة والسيادة ، لكي يحطوا بذلك شأن السكان الاصليين ويسلبوا حقوقهم ، بل قد مـا في زى التجار ، واستخدموا كل مـالديهم من ذكاء اسمى ، ومدنيية ازهر في سبيل دينهم ، اكثر من ان يكونوا قد استخدموا ذلك وسيلة لتوسيع نفوذهم الشخصي او لتنمية ثروتهم . اما وقد قررنا بصفة عامة الوسائل الثانوية التي اتخذوها في نشر الدعوة ، فلنتبع بالتفصيل جهودهم في نشر تعاليم هذه الدعوة في الجزائر المختلفة .

### الاسلام في سومطره

تصور لنا الروايات ان الاسلام دخل الى سومطرة من بلاد العرب . على انه ليس هناك اساس تاريخي صحيح لمثل هذا الاعتقاد ويظهر ان الشواهد كلها تشير الى ان الهند هي المنبع الذي استقى منه اهالي سومطرة معرفتهم بالعقيدة الجديدة . كانت العلاقات

التجارية الفعالة ، قد قامت منذ قرون بين الهند وارخبيل الملايو ، ولا يبعد ان يكون اول دعاة في سومطرة تجارا من الهنود . على انه ليس لدينا اخبار تاريخية عن اعمالهم ، وتنسب اخبار الملايو شرف اول دعوة في مدينة اتجيه Atjeh ، شمال غربي سومطرة ، التي عربي يدعى عبد الله عارف ، قيل انه زار الجزيرة حول منتصف القرن الثاني عشر ، وقيل ان احد تلاميذه ، برهان الدين ، حمل معرفة العقيدة الى الساحل الغربي حتى بريامان Priaman

ولما كان هذا الخبر غير موثوق بصحته ، فانه مع ذلك قد يوضح وجود بعض نشاط في نشر تعاليم الدعوة حول هذه الفترة . ذلك ان اخبار مؤرخي الملايو الخاصة بأنجيه تجعل سنة ١٢٠٥ تاريخاً لاعتلاء جنيهان شاه العرش ، وهو الذي تزعم الروايات انه مؤسس الاسرة الاسلامية . وقد قيل انه كان اجنبيا ، من الغرب ، وانه قدم الى هذه السواحل ليدعو الى عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ادخل كثيرين في هذا الدين ، وتزوج امرأة من اهالي هذه البلاد ، فرحبوا به ملكا عليهم وتلقب بلقب سري بدوكا سلطان ، وهو لفظ خليط من السنسكريتية والعربية . والراجح ان العقيدة الجديدة ظلت وقتا ما مقصورة على الموانئ التي اتصل بها تجار المسلمين ، وان تقدم هذه العقيدة في داخل البلاد كان اكثر بطئا ، فهنا لم يكن بد من ان تصطدم العقيدة بالمؤثرات الهندوكية القوية التي اتخذت لها مركزا في مملكة مانجكباو .

ويتحدث ماركوبولو ، الذي قضى خمسة اشهر على ساحل سومطرة الشمالي في ١٢٩٢ م عن جميع السكان باعتبارهم عبدة اوثان ، اللهم الا في مملكة براك الصغيرة على الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة ،

حيث كان سكان المدن وحدهم مسلمين كذلك ، لان "تجار العرب ، كما ينبغي ان تعلم ، قد بلغ من كثرة ترددهم على هذه المملكة ، انهم ادخلوا الاهالي في شريعة محمد " ، اما سكان المرتفعات فكلهم وثنيون او منوحشون يأكلون لحوم البشر . اضع الى ذلك ان احد اخبار الملايو التاريخية يقول ان اول من صرب المثل في اعتقاد الاسلام ثم هذا رعاياه حذوه ، هو السلطان علي مغايت شاه ، وكان قد حكم اتجيه من سنة ١٥٠٧ الى ١٥٢٢ . ولكن لا يبعد ان يكون شرف اول حاكم مسلم للدولة قد نسب الى هذا السلطان لاعتباره مجدا يضاف الى الحاكم الذي اسس عظمة اتجيه ، واخذ في بسط نفوذه على البلاد المجاورة . كما لا يبعد ان يكون الاصبوب انه احدث اثرا في انعاش حياة رعاياه الدينية ، او انه بث روحا جديدة في هذه الحياة ، لا ان يكون قد امدهم بأول معرفة بعقيدة النبي . فقد رسخت قدم الاسلام في سومطرة قبل ذلك الوقت بزمن طويل . وتخبرنا الروايات التي تتحدث عن مدينة سمدره ، ان شريف مكة ارسل بعثة لتحويل شعب سومطرة الى الاسلام . وكان قائد الجماعة رجلا يدعى الشيخ اسماعيل . وكان اول ما وصلوا اليه من الامكنة في هذه الجزيرة ، بعد ان تركو مليبار ، بلدة باسوري Pausri ( وربما كانت على مسافة قليلة من جنوب الساحل الغربي ) ، وبفضل دعوتهم اقتنع شعب هذه البلدة باعتقاد الاسلام . ثم تقدموا شمالا حتى لمبري Lambri ، ثم اخذوا يساحلون الجزيرة حتى وصلوا الى الجانب الاخر منها ، وابتحروا من هناك حتى وصلوا الى آرو Aru على الساحل الشرقي من جهة الجنوب ، وهي تقابل ملقا تقريبا . وفي كلتا تهاتين البقعتين ، تكلفت جهودهم بنجاح كذلك . وفي آرو ، تحروا الطريق الى سمدره ،

وهي مدينة على الساحل الشمالي من الجزيرة ، ويظهر انها خاصة كانت هدفا لدعوتهم ، فوجدوا انهم قد تجاوزوها . ومن اجل ذلك قفلوا راجعين الى برلاك Parlak ، حيث كان ماركو بولو قد وجد جماعة من المسلمين قبل ذلك بأعوام قليلة ، وبعد ان ظفروا بمسلمين جدد في هذه البقعة كذلك ، استأنفوا رحلتهم الى سمدره . وكانت هذه المدينة ، والمملكة التي تسمت باسمها ، قد تأسست اخيرا على يد شخص يدعى مراسيلو Mara Silu . وقد اقنعه الشيخ اسماعيل باعتقاد الاسلام فاتخذ لنفسه اسم الملك الصالح ، وتزوج من ابنة ملك برلاك فأنجب منها ولدين ، ولكي يترك لكل منهما ولاية بعد وفاته ، اسس هذه المدينة الاسلامية ومملكة باسي Pasei وهي كذلك على الساحل الشمالي .

ولا يبعد ان يكون الملك الظاهر الذي وجده ابن بطوطة حاكما في سمدره عندما زار هذه الجزيرة في سنة ١٣٤٥ ، اكبر هذين الولدين . وقد اظهر هذا الملك اعظم ما تتجلى به المملكة الاسلامية من ابهة ، وامتدت بلاده مسيرة ايام كثيرة على طول الساحل . كان مسلما من اهل السنة ، فغيرا على دينه ، مولعا بعقد المناظرات مع الفقهاء وعلماء الدين . وكان بلاطة مقصد الشعراء ورجال العلم . ويذكر لنا ابن بطوطة اسمي قاضيين ، كانا قد اتيا اليه من فارس كما يذكر اسم امير كان قد ورد رسولا على السلطان في دهلي - وهذا يدلنا على ان سومطرة كانت من قبل على اتصال بكثير من ارجاء العالم الاسلامي . كذلك كان الملك الظاهر قائدا عظيما ، وقد اعلن الحرب على الوثنيين الذين يقيمون في البلاد المجاورة حتى ادعوا لحكمه ، وادوا له الجزية .

وكان الاسلام من غير شك قد احرز في ذلك العهد تقدما عظيما في سومطرة ، وبعد ان توطدت دعائمه على طول الساحل ، اخذ يشق طريقه الى المناطق الداخلية . وكانت دعوة الشيخ اسماعيل وجماعته قد آتت ثمارا وافرة ، فقد تحدث رحالة صيني ، زار هذه الجزيرة في سنة ١٤١٣ ، عن بلدة لامبري ، فقال ان عدد الاسرات التي كانت تقيم فيها الفاسرة ، كلهم مسلمون ، و " على جانب عظيم من كسرم الاخلاق " ، وكان ملك آرو وشعب مملكته يعتقدون جميعا هذا الدين نفسه . وقد حدث ، اما في نهاية هذا القرن نفسه او في القرن الخامس عشر ، ان وجد دين النبي اشياعا من مملكة مانجكباو العظيمة ، التي امتدت اراضيها يوما ما من الساحل الى الساحل وعلى جزء عظيم من الجزيرة يقع شمالي خط الاستواء وجنوبيه . وعلى الرغم من ان قوتها كانت لذلك العهد قد انحلت الى حد بعيد ظلت تضع عقبات كبيرة ، باعتبارها معقلا قديما من معازل الهندوكية ، في سبيل تقدم الدين الجديد . ومع هذه الحقيقة ، كان تأصل الاسلام في نفوس رعايا هذه المملكة آخر الامر اقوى منه في نفوس السواد الاعظم من سكان المنطقة الداخلية من هذه الجزيرة . ومن الواضح البين ، ان هؤلاء ، وهم اوسط شعوب الجزيرة مركزا ، لم يكن يد من ان يكونوا بأسرهم راسرا دخولا في الاسلام من سكان كثير من سائر المقاطعات التي كانت اشد اتصالا بالمؤثرات الاجنبية . ولا يزال السواد الاعظم من سكان بلاد البتاك Batak ، الى اليوم ، على الوثنية ، بيد ان الاسلام قد ظفر ببعض آثار فيهم ، مثال ذلك فريق يعيشون على حدود اتجيه ، دخلوا في الاسلام على يد خيرانهم المسلمين ، وفريق آخر يسكنون في جبال اقليم راو Rau على خط الاستواء ، تحولوا مثلهم الى الاسلام .

كذلك عرفت حالات من اسلام البتك على الساحل الشرقي ، وكانوا على اتصال وثيق بسكان الملايو .

ولم تجد الجهود النشيطة التي بذلتها اسرة بدرى Paris المتعصبة لفرس الاسلام على البتك بعد السيف ، فخرّبوا بلادهم وقتلوا كثيرا منهم . ولكن هذه الوسائل العنيفة لم تجذب احدا الى الاسلام . على انه ، عندما اخمدت الحكومة الهولندية حركة البدرى وضمت الى املاكها الجزء الجنوبي من بلاد البتك ، اخذ الاسلام ينتشر بالوسائل السلمية ، وخاصة عن طريق النجسود الحماسية التي بذلها الموظفون المرءوسون من الاهالي الذين جاء بهم النظام الجديد والذين كانوا جميعا من سكان الملايو المسلمين ، وكذلك عن طريق نفوذ التجار الذين طوفوا في البلاد ، والذين حذوا حذوهم في نشر الدعوة جماعة ( الحاجي ) وغيرهم من علماء الديين المعروفين . ومن الحقائق الواضحة ، ان البتك الذين كانوا قد ابدوا معارضة عنيدة في دخول الاسلام بينهم قرونا عديدة ، مع انهم كانوا يحاطون بمجموعتين من السكان المسلمين المتعصبين ، وهم الا تشينيون في الشمال واهل الملايو في الجنوب ، قد استجابوا في السنين الاخيرة للجهود السلمية التي بذلت لادخالهم في الاسلام ، واظهروا حماسة في هذه السبيل . ويظهر ان من الممكن ايجاد تفسير لذلك ، فيما اعتري صفاتهم القومية الحاجزة المنيعنة ، من ضعف ووهن ، بسبب الاحتلال الهولندي ، والغزو الذي عرض بلادهم للمؤثرات الاجنبية التي دلت على بداية عصر جديد في تطورهم الثقافي ، كما نجد تفسير ذلك ايضا في تلك الخطوات السديدة التي تقدم بها ائمة هذا الدين الجديد ، الذين عرفوا كيف يلائمون بين تعاليمهم وعقائد

البتك الراهنة ، وتقاليدهم المتأصلة في نفوسهم . ويظهر ان تأسيس  
الرساليات المسيحية بين البتك في سنة ١٨٩٧ قد زود الدعوة  
الاسلامية في هذه البلاد بباعث لا يستهان به ، بل يظهر ان هذه  
الرساليات قد مهدت السبيل لنجاح تلك الدعوة ، فقد قيل ان قريتين  
من قرى البتك ، وكان جميع اهليهما قد تنصروا ، انتقلتا جمعاً  
واحداً الى الاسلام ، بعد تنصرهما بزمان قصير .  
ولا يزال في سومطرة الوسطى ، عدد كبير من الاهالي  
الوثنيين ، على الرغم من ان السواد الاعظم من السكان مسلمون . ولكن  
هؤلاء على جانب عظيم من الجهل بديانتهم ، اللهم الا اذا استثنينا  
عدداً قليلاً من جماعة الحاجي والمعلمين . بل اننا نجد بين شعبي  
كورنتجي وهم في معظمهم يشايعون الاسلام ويتحمسون له ، بعض  
الطوائف من الاهالي لا يزالون يعبدون آلهة اجدادهم الوثنيين . على  
ان الجهود تبذل في سبيل نهضة دينية ، كما ان دعاة المسلمين  
يقومون بغزوات جديدة بين الوثنيين ولا سيما على طول الساحل الغربي  
وفي مقاطعة سيبيروك Sipirok ادخل معلم ديني ، وكان قد لزم  
المسجد في المدينة التي كانت تحمل اسم هذه المقاطعة مدة ربع قرن  
جميع اهالي هذه المقاطعة في الاسلام ، اللهم الا المسيحيين الذين  
كانوا يعيشون هناك ، وكانوا في الغالب من سلالة الاهالي الذين كانوا  
عبداً من قبل . وقد افلحت حركة حديثة لنشر الدعوة ، قامت في العقد  
الاول من القرن العشرين ، في اجتذاب كثير من مسيحيي هذه  
المقاطعة الى الاسلام ، بل في اجتذاب فريق ممن يعيش في وسط  
المحيط الذي تجلى فيه نفوذ الرسالية المسيحية .

وتصور الروايات ان الاسلام دخل الى بالبنج Palembang  
حول سنة ١٤٤٠ على يد رادان رحمت ، وسنذكر فيما بعد نبذة



عن نشاطه في الدعوة . ولكن يظهر ان المؤثرات الهندية كانت متأصلة ثابتة في هذه المنطقة ، وان تقدم الدين الجديد كان بطيئا . وقد قيل ان مسلمي بالمينج كانوا حتى القرن التاسع عشر ، يعرفون القليل عن دينهم ، الا ما كان من طقوسه الشكلية ، اللهم الا سكان الحاضرة الذين كانوا يتصلون بالعرب كل يوم . ولكن قد يظهر ان في العقد الاول من القرن العشرين ، كان هنالك نهضة للحياة الدينية ، ودعاية آخذة في النمو ، ان تقارير الحكومة الهولندية الخاصة بالمستعمرات قد لفتت الانظار الى اطراف انتشار الاسلام بين الوثنيين من اهالي مقاطعات بالمينج على اختلافها .

ومن جاوه ، حمل الاسلام لأول مرة الى مقاطعات لميونج Lampong التي تكون اقصى حدود سومطرة الجنوبية ، وذلك على يد سيد هذه المقاطعات ، ويدعى منك كمله بومي . وحول نهاية القرن الخامس عشر ، عبر مضيق سندا Sunda الى مملكة بنتام على ساحل جاوة الغربي تلك المملكة التي كانت قد انتحلت تعاليم الدعوة المسلمين قبل ان يزورها هذا الزعيم بسنوات قليلة . وهنا اسلم هذا الرجل ايضا ، وبعد ان ادى فريضة الحج الى مكة ، نشر تعاليم عقيدته الجديدة التي اعتقد بها بين مواطنيه . وقد احرز هذا الدين تقدما لا يستهان به بين اهالي لميونج ، ولهم مساجد في معظم قراهم ، ولكن الخرافات القديمة لاتزال قائمة في اجزاء المنطقة الداخلية .

وفي مستهل القرن التاسع عشر ، قامت في سومطرة نهضة دينية ، ولم تكن عادة التأثير في ترويج دعاية للاسلام ابعد مدى واعظم اثرا . وفي سنة ١٨٠٣ رجع ثلاثة من جماعة الحاجي من مكة الى وطنهم سومطرة ، وكانوا في اثناء وجودهم في المدينة المقدسة ، قد تأثروا تأثرا عميقا بالحركة الوهابية التي قامت لاصلاح الاسلام ، فأصبحوا

الآن يتوقون الى أن يدخلوا مبادئ هذا الاصلاح بين مواطنيهم ،  
والى ان يبثوا فيهم حياة دينية اكثر صفاً واشد غيرة . ومن ثم اخذوا  
في الدعوة الى التشدد في التوحيد الذى تقول به الطائفة الوهابية ،  
وحرموا التوسل الى الاولياء وشرب الخمر والميسر وسائر الاعمال التى  
تتعارض مع القرآن . وجعلوا عدداً من بين اخوانهم فى الدين  
والاهالي الوثنيين على سواء يدخل فى مذهبهم . واخيراً اعلنوا  
الجهاد على البنك ، ولكن الحركة فقدت صبغتها الاصلية وانحطت  
فأصبحت حرباً وحشية دامية ترمي الى الغزو ، وذلك بوفوع هذه  
الحركة فى ايدى قوم لا وازع لهم يطمحون الى الشهرة . وفى سنة  
١٨٢١ وقع هوءلاء الذين يطلق عليهم جماعة البدرى Padris  
فى نزاع مع الحكومة الهولندية ، ولم تأت سنة ١٨٣٨ حتى سقط آخر  
معاقلهم وكسرت شوكتهم .

#### فى شبه جزيرة الملايو

ويرجع جميع اهالي الملايو الذين يقيمون فى شبه جزيرة الملايو  
اصلهم الى هجرات اتت من سومطرة ، ولا سيما من مانجكباو تلك  
المملكة المشهورة التى ذكرناها من قبل ، والتى يقال انها كانت فى  
يوم ما اقوى الممالك فى الجزيرة . ولا يزال بعض رؤساء الولايات  
الداخلية ، فى الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الملايو ، يتقلدون  
مناصبهم من هذا المكان . اما معرفة الفترة التى تمكنت فيها هذه  
الجاليات من قلب سومطرة فى داخل شبه الجزيرة ، فهذا امر يدخل  
فى باب الحدس والتخمين ، ولكن يظهر ان سنغابور واقصى الحدود  
الجنوبية من شبه الجزيرة ، قد تلقت هجرة من هذه الهجرات فى اواسط  
القرن الثانى عشر ، وهى التى اسس احفادها ملقا بعد ذلك بقرن

تقريباً . وسرعان ما أصبحت هذه المدينة مدينة كبيرة زاهرة ، لما تميزت  
به من موقع مناسب في طريق التجارة الآتية من الشرق . وهناك قليل  
من الشك في ان تجار المسلمين الذين استوطنوا هنا ، هم الذين  
ادخلوا الاسلام الى هذه البلاد . وتعزو اخبار مؤرخي الملايو  
عن ملقا تحول هذه المملكة الى الاسلام الى عهد احد ملوكها وهو -  
سلطان محمد شاه وكان قد اعتلى العرش سنة ١٣٧٦ م . وقد قيل  
انه حكم هذه البلاد سنوات قليلة ، قبل ان ترسو سفينة بقيسادة  
سيدي عبد العزيز الى شواطئ ملقا آتية من جدة ، وان هؤلاء  
القادمين قد اقنعوا الملك بتغيير عقيدته وترك اسمه الوطني ، وقد  
اتخذ لنفسه اسما يحمل اسم النبي . ولكن طابع هذه الوثيقة التاريخية  
العام يجعل الثقة بها والاطمئنان الى صحتها موضع شك الى حد  
بعيد ، على الرغم من انه من المحتمل ان يكون تاريخ حادثة هامة  
كذلك الحادثة ، قد يكون موضع ملاحظة دقيقة ( كما حدث ذلك في  
جهات كثيرة من ارض الملايو ) من شعب يعتز بذكر الحادثة ،  
ويعدّها فاتحة عهد جديد في تاريخهم . ويذكر مؤرخ برتغالي  
تاريخاً متأخراً عن ذلك التاريخ ويقول انه حدث في سنة ١٣٨٤ ، كما  
يقول انه كان قاضياً ، قدم من بلاد العرب في هذه السنة ، وبعد ان  
حول الملك الى الاسلام ، سماه محمد اسوة بالنبي و اضاف كلمة شاه  
الى اسمه .

وفي اخبار قويدة ، وهي احدى ولايات شبه جزيرة الملايو ، في  
اقصى الشمال ، رواية عجيبة وصلت الينا عن دخول الاسلام الى هذه  
المملكة ، حول سنة ( ١٥٠٠ م ) ، واليك هذه الرواية ( وقد حذفنا منها  
بعض حوادث من خوارق العادات ) : قدم عالم عربي يدعى الشيخ  
عبد الله ، الى قويدة ، وزار الراجة ، وسأل عن ديانة البلاد ،

فأجابه الراجه " ديني ودين رعيتي كلها ، هو الذي وصل الينا من الشعب القديم ، اننا جميعا نعبد الاصنام " . فقال الشيخ : " اذن اما سمعتم جلالتم قط شيئا عن الاسلام ، والقرآن الذي انزله الله على محمد ، ونسخ به كل الديانات الاخرى ، وتركها في حوزة الشيطان ؟ " فقال الراجه : " اذن ارجو منك ، ان كان حقا ما تقول ، ان تعلمنا هذا الدين الجديد ، وتهدينا بنوره . " وتهلل الشيخ عبد الله تهلل الحماسة المقدسة لسؤال الراجه اياه هذا السؤال ، واحتضن الشيخ الراجه ، ثم فقهه في الدين . ولما اقتنع الراجه بتعاليم الشيخ ، ارسل في طلب آنية الارواح ( التي طالما عكف عليها ) وافرج ما فيها على الارض بيديه . بعد ذلك امر ان تحضر كل الاصنام التي في قصره ، فجمعت بين يديه اكوام من اصنام الذهب والفضة والطين والخشب ، وكسرها الشيخ عبد الله قطعا بسيفه وبفأس ، واحرقت الاجزاء في النار . وطلب الشيخ الراجه ان يجمع كل نساء القلعة والقصر . فلما قدم جميعا في حضرة الراجه والشيخ ، تعلمن عقائد الاسلام . وكان الشيخ مهذبا لطيف المعشر ، كما كان جذابا رقيقا في لفته ، حتى انه جذب اليه قلوب ساكني القصر . ولم يلبث الراجه ان ارسل في طلب وزرائه الاربعة المسنين . ولما دخلوا البهو ، استولى عليهم الدهش حين رأوا شيخا يجلس الى جوار الراجه . فأبان لهم الراجه المهمة التي جاء من اجلها هذا الشيخ . وعندئذ اظهر الزعماء الاربعة استعدادهم للاقتداء بجلالته ، وقالوا : " اننا نأمل ان يعلمنا الشيخ عبد الله كذلك " . ولما سمع هذا الاخير هذه الكلمات ، احتضنهم ، وقال لهم انه يأمل ، لكي يبرهنوا على اخلاصهم ، ان

يستدعوا شعبهم بأسره الى بهو الاستقبال ، ويحضروا معهم كل الاصنام التي تعودوا ان يعبدوها ، والاصنام التي انتهت اليهم عن طريق آبائهم الاولين ، واجيب الشيخ الى طلبه ، واحضرت في الوقت المحدد كل الاصنام التي كان الشعب يحتفظ بها ، وهناك حطمت وحرقت واصبحت رمادا تذرره الرياح . ولم يأسف واحد منهم على ما اصاب آلهتهم الزائفة من الخراب والدمار ، وكانوا جميعا فرحين مستبشرين بدخولهم في حظيرة الاسلام . ثم سأل الشيخ عبد الله الوزراء الاربعة : " ما اسم اميركم ؟ " قالوا : " اسمه برا اونج مها وانجنا . قال الشيخ : " فدعونا نستبدل باسمه اسما بلغسة الاسلام " . وبعد تبادل الرأي ، طلب الراجة نفسه ان يحول اسمه الى السلطان مزلف الشاه ، لان الشيخ قد اكد انه اسم مشهور وانه ورد في القرآن .

والآن بنى الراجة المساجد في البقاع الآهلة بالسكان ، وامر بأن يلحق بكل مسجد اربعة واربعون شخصا على الاقل من السكان على ان يكونوا جماعة تقيم في المسجد وتعكف على العبادة ، لان اى عدد اقل من ذلك قد يكون غير كاف لتأدية الواجبات الدينية . ومن ثم بنيت المساجد ، والحققت بها طبول كبيرة تدق لدعوة الناس الى صلاة الجمع . وظل الشيخ عبد الله ، وقتنا ما ، يفتح الناس في الدين ، وانثالوا عليه من جميع سواحل قويدة ومقاطعاتها وما جاورها وتعلموا على يديه صيغ الاسلام وشعائره .

وقد وصلت اخبار تحول سكان قويدة الى الاسلام على يد الشيخ عبد الله ، الى اتجيه ، فأرسل اليهم سلطان هذه البلاد ورجل يدعى الشيخ نور الدين ، وهو داع عربي ، كان قد قدم من مكة ،

بعض كتب ، ورسالة ، وهذا نص الرسالة : — " هذه الرسالة من سلطان اتجيه ونورالدين الى اخينا سلطان قويدة والشيخ عبد الله اليميني الذي يقبم الآن في قويدة . ارسلنا اليكم كتابين من كتب الدين حتى تتأكد دعائم العقيدة الاسلامية ، ويتعلم الناس واجباتهم وشعائر دينهم تعلموا كاملا " . وارسل الراجة والشيخ عبد الله رسالة يردان فيها على هذه الرسالة ، ويشكرانها على ما انعم به عليهما . ومن ثم ضاعف الشيخ عبد الله جهوده وبنى زوايا في كل القرى على اختلافها بالاضافة الى ما فيها من المساجد ، ليكون الانتفاع عاما ، وعلم الناس كل احكام الدين وشعائره . وكان الراجة وزوجته ملازمين للشيخ ، يتعلمان قراءة القرآن . وحث هذان الزوجان عن امرأة من نسل الراجات لتكون زوجة للشيخ . ولكن لم يرغب احد في ان يهب ابنته زوجة للشيخ ، لان هذا الرجل المقدس كان يوشك ان يعود الى بغداد ، وانه كان لا ينتظر الا ان يفرغ من تعليم شخص تعليميا كافيا يقوم مقامه بعد مفارته البلاد . وكان للسلطان في ذلك الحين ثلاثة اولاد : راجه معظم شاه ، وراجه محمد شاه ، وراجه سليمان شاه : وهذه الاسماء كان الشيخ عبد الله قد اخذها من القرآن ، وخلعها على هؤلاء الامراء الذين اسدى هذا الشيخ النصح اليهم بأن يصطنعوا الصبر والاناة ، والا يسرع اليهم الغضب في معاشرتهم عبدهم والطبقات الدنيا ، وان ينظروا بعين الشفقة والعطف الى عباد الله اجمعين ، والى الفقراء والمعوزين .

ولا يزعم زاعم ان اعمال الشيخ عبد الله قد كللت بنجاح تمام ، لاننا نعلم من اخبار اتجيه ان احد سلاطين هذه البلاد ، وكان قد غزا قويدة في سنة ١٦٤٩ ، قد نصب نفسه " لان يوسع الاسلام

في البلاد تأسيسا اقوى ثباتا ، ويخرب معابد الليار \* Liar \* اى  
هياكل الاصنام . وعلى ذلك ، كان قد مضى قرن ونصف قرن قبل  
ان تستأصل شأفة الوثنية من هذه البلاد .

وليس لدينا اخبار اخرى مفصلة في تاريخ تحول اهالي شبه  
جزيرة الملايو الى الاسلام ، ولكننا نجد في اماكن كثيرة اضرحة دعاة  
العرب الذين كانوا اول من دعوا بينهم الى هذه العقيدة ، تلقى من  
هؤلاء الناس تعظيما . وقد ادت معاشرتهم الطويلة للعرب ومسلمي  
ساحل الهند الشرقي الى جعلهم محافظين شديدي التمسك بفروض  
دينهم ، واشتهروا بين الناس بأنهم خير من يفقدى به من مسلمي  
الارخبيل . كما ادى اتصالهم المستمر بالهندوكيين والبوذيين  
والمسيحيين والوثنيين من سكان بلادهم ، الى جعلهم في الوقت نفسه  
على جانب من التساهل والتسامح . وهم شديدي التمسك بالمحافظة  
على صوم رمضان وتأدية فريضة الحج الى مكة . ويرون دائما ان المنافع  
الدينية التي ينالها الناس ، انما هي في الوقت نفسه ، سعادة  
دنيوية لهم . واذا وجدوا قرية بها اكثر من اربعين منزلا ، ورأوا ان  
سعتها تستلزم تنظيمها وتعيين موظفين دائمين للقرية ، جعلوا من  
بين افراد هؤلاء الموظفين داعيا يعظ الناس في الدين . وقد  
بنوا بطريفة رسمية مسجدا واسسوه .

في سيام : وفي الشمال ، حيث تتاخم ولايات الملايو منطقة  
سيام ، اثر الاسلام تأثيرا لا بأس به بين اهالي سيام من البوذيين .  
ويطلق على من دخلوا في الاسلام منهم السمس Samsams  
وهم يتكلمون لغة هي رطانة مزيجة من لغتي الشعبين جميعها . كذلك  
ادخل في الاسلام فريق من بين القبائل المتوحشة في شبه الجزيرة .

وان تاريخ انتشار الاسلام في الهند الصينية يحوطه الغموض  
والابهام . ولا يبعد ان يكون تجار العرب والفرس قد ادخلوا  
دينهم الى المدن الساحلية منذ القرن العاشر ، ولكن يعزى اهم  
توسع لهذا الدين الى هجرات اهل الملايو التي بدأت في نهاية  
القرن الرابع عشر .

في جاوه : والآن ، يجب ان نرجع الى وراء قرونا كثيرة ، لنتتبع  
تاريخ تحول جاوة الى الاسلام . ولا شك ان الدعوة الى مبادئ الاسلام  
واذاعتها في اهالي هذه الجزيرة ، كانت كلها نتيجة لما قام به افراد  
من التجار او من زعماء الجاليات الصغيرة منذ وقت طويل ، فلم يكن في  
جاوة قوة اسلامية مركزية تشع آثارها في مصلحة الدين الجديد ، او تفرض  
قبول هذا الدين بالوسائل الحربية . بل على العكس من ذلك ،  
اصبح دعاة المسلمين في هذه البلاد على ارتباط بالحضارة الهندوكية ،  
التي كانت قد تغلغت اصولها في اعماق حياة تلك البلاد ، ورفعت  
الجاويين الى مستوى عال من الثقافة والرقى ، ويظهر ذلك اكثر  
وضوحا في تلك النظم والقوانين التي تختلف عن نظم بلاد العرب وقوانينها  
اختلافا جوهريا . بل لقد اخفقت الشريعة الاسلامية ، الى الآن ، في  
ان توطد دعائمها توطيدا كاملا ، حتى في الاماكن التي تتغلب فيها  
سيطرة الاسلام . وهناك صراع دائم بين انصار عادات الملايو القديمة  
وجماعة الحاجي ، الذين عادوا بعد ان ادوا فريضة الحج في مكة ،  
متحمسين متشددين في المحافظة على الشريعة الاسلامية . ومن ثم  
كان لا بد ان يخطو عمل التحول الى الاسلام خطوات بطيئة جدا .  
ويمكن ان نقول في تأكيد مقبول انه في الوقت الذي نجد فيه ان من  
الممكن ان نخلص جانبا من تاريخ هذه الحركة التي قامت على نشر



تعاليم الدعوة مما شابه من الاساطير والتقاليد ، نرى لزاما ان يبقى كثير من هذا التاريخ مجهولا لدينا جهلا تاما . ونجد في اخبار الملايو ، التي تفيدنا فيما تمدنا به من وصف لاول الداعين الى هذا الدين ، ان ما كان يدخل ، من غير شك في عمل اجيال كثيرة ، وما كان يجب ان يستمر في خلال قرون شتى ، نراه ينحصر في نطاق سنوات قلائل ، وتكتسب اسما قليلة معروفة ، كما يحدث غالباً في التواريخ الشعبية ، الشهرة والثقة ، وهي في الحقيقة ترجع الى ما قام به اسلافهم المجهولون من اعمال قوامها الصبر والانابة . زد على ذلك ان الاعمال الهادئة العفة التي قام بها كثير من هؤلاء الدعاة ، لم تكن على الارجح لتسترعي انتباه المؤرخ الذي كان بطبيعة الحال يصوب عنايته اولا وقبل كل شيء الى اعمال الملوك والامراء ومن كان على صلة وثيقة بهم . ونحن انما نفقد مثل تلك المعرفة العظمى ، لا مفر من ان نرضى بتلك الحقائق التي وصلت اليها .

لذلك نرى ان نورد في الصفحات التالية ، صورة موجزة عن تأسيس الدين الاسلامي في هذه الجزيرة ، كما تصورنا الاخبار القومية التي لاشك انها ، على الرغم من امتلائها بالتناقض والخرافات ، تقوم على اساس تاريخي ، ويدلنا على ذلك ما نقش على مقابر الشخصيات المهمة التي ذكرت في هذه الاخبار ، وعلى آثار المدن القديمة ونحو ذلك . لهذا لا بأس من ان نقبل الاخبار الآتية ، مع افتقارها الى دليل يثبت صحتها ، على انها صحيحة في جوهرها ، على ان نأخذ الحذر الذي سبقت الاشارة اليه ، من نسبة آثار فائقة مفرطة الى جهود افراد في نشر تعاليم الدعوة .

كان اول من قام بالمحاولة الاولى لادخال الاسلام الى جاوة ، رجل من اهالي هذه الجزيرة حول نهاية القرن الثاني عشر . وقد ترك

اول ملوك باجاجاران Pajajaran ، وهي ولاية في الجهة الغربية من الجزيرة ، ولدين : اما اكبرهما فقد آثر ان يـزاول التجارة ، وباشربعثة تجارية زاهبة الى بلاد الهند ، تاركا اخاه الاصغر الذي خلفه على العرش في سنة ١١٩٠ ، وتلقب بلقب برابو موندنج ساري Prabo Munding Sari . وفي اثنياء تطواف ذلك الابن الأكبر ، لقي بعض تجار العرب ، فدخل في الاسلام على ايديهم ، واتخذ لنفسه اسم حاجي بروا . ولما عاد الى وطنه ، حاول بمعونة أحد دعاة العرب ان يدخل اخاه والاسرة المالكة في دينه الجديد ولكن جهوده لم تصادف نجاحا ، فهرب الى الادغال خوفا من الطك ورعاياه الكفار ولم نسمع عنه شيئا بعد ذلك .

وفي النصف الاخير من القرن الرابع عشر ، تكونت حركة للدعوة ، نالت نجاحا اعظم ، على يد شخص يدعى مولانا ملك ابراهيم ، وقد رسا على ساحل جاوة الشرقي مع اخوانه في الدين ، واستقر قريبا من بلدة جريسك Gresik ، وهي قبالة جزيرة مادورة . ويقال انه كان يرجع نسبه الى زين العابدين احد ابناء احفاد علي ، وانسه كان ابن عم راجه تشر من Chermen . وهنا شغل نفسه في القيام بتحويل الناس الى الاسلام واحرز نجاحا في هذه السنين ، وسرعان ما جمع حوله فئة قليلة من المؤمنين . واخيرا اتصل بابن عمه ، راجه تشر من الذي قدم الى هذه البلاد املا في ان يحول راجه ملكة ماجاباهيت Majapahit الهندوكي الى الاسلام وان يعقد معه حلفا بعرض زواج ابنته عليه . فلما وصل ارسل ابنه ، صادق محمد الى ماجاباهيت ليحدد وقتا للمقابلة ، على حين شغل هو نفسه بينا

مسجد وتحويل السكان الى الاسلام . وكان من اثر ذلك ان تمت  
مقابلة الاميرين ، ولكن قبل ان يتمكن من موالاة ذلك التأثير الذى  
بلغوه في ذلك الحين ، تغشى مرض بين شعب راجه تشر من ، فقضى  
على ابنته ، وثلاثة من ابناؤه ، كان قد صحبهم معه ، وفريقا عظيما  
من رجال حاشيته ، ومن ثم عاد هو الى مملكته . وقد جعلت هذه  
الكوارث عقلية راجه ماجبا هيت تتعامل على هذا الدين الجديد ،  
الذى كان ينبغي ، كما قال هذا الراجه ، ان يكون من الاصبوب  
حماية معتنقيه . وكان من اثر ذلك ان اخفقت البعثة . على ان مولانا  
ابراهيم تخلف ، ليتعهد مقابر ذويه واخوانه في الدين ، اما هو فقد  
قضى نحبه بعد ذلك باحدى وعشرين سنة ، وذلك سنة ١٤١٩ ،  
ودفن في جريسك حيث لا يزال المسلمون يعظمون قبره ويعدونه  
اول رسل الاسلام الى جاوه .

ويذكر احد مسلمي الصين ، وكان قد صحب سفارة امبراطور  
الصين الى جاوة في وظيفة مترجم ، قبل موت مولانا ابراهيم بست  
سنوات ، اى في سنة ١٤١٣ ، قدوم اخوانه في الدين في هذه  
الجزيرة تحت عنوان " وصف عام لسواحل المحيط " ، حيث يقول :  
" في هذه البلاد ثلاثة انواع من الشعب : الاول المسلمون الذين  
جاءوا من الغرب واستقروا هنا ، وزبيهم وطعامهم نظيف مناسب ،  
والثاني الصينيون الذين هربوا واستوطنوا هنا ، وما يأكلون  
ويستخدمون بديع جدا كذلك ، وكثير منهم قد اعتقدوا الديـ  
الاسلامي وحافظوا على تعاليمه . والثالث الاهالي الذين على جانب  
عظيم من القبح والفظاظة ، وهم يجيئون ويذهبون حفاة حاسرى  
الروءوس ، ويعتقدون في الشياطين في خشوع وتبتل . ولكون بلادهم  
معروفة بذلك اطلق عليها في كتب البوذية بلاد الشيطان .

والآن تقترب من الفترة التي اصبحت فيها لحكم المسلمين السيادة في الجزيرة ، بعد ان تسرب دينهم اليها بما يقرب من قرن . وهنا نرى لزاما ان ندخل في تفصيلات التاريخ ، على نحو اكثر دقة نوعا ما ، لكي نبين ان ذلك لم يكن نتيجة اية حركة قوامها التعصب الديني ، اثارها العرب ، بل نتيجة ثورة قام بها اهالي البلاد انفسهم . الذين ( مع انهم بطبيعة الحال اكتسبوا القوة من وراء ارتباطهم برباط دين مشترك ) حرضوا على ان يجمعوا كلمتهم لينتزعوا السلطة العليا من ايدي ساكنيهم الوثنيين ، لا بالدعوة الى حرب دينية ، ولكن عن طريق ماوجهه احد المطالبين بالعرش من الطامحين وكان قد لحقه ظلم ، من تحذير وانذار ، فأراد التشفي والانتقام .

ونستطيع ان نصف الحالة السياسية في الجزيرة كما يلي : — كانت الامارات الوسطى والشرقية من الجزيرة ، وكانت اكثر الامارات ثروة وعمرانا ، وأبعدها تقدما نحو المدنية ، تحت سلطان دولة ماجابا<sup>هيت</sup> الهندوكية . وفي اقصى الغرب ، نجد تشريبون Cheribon وامارات اخرى كثيرة ، صغيرة مستقلة ، حين كان سائر الجزيرة ، ويشمل كل المقاطعات الواقعة في اقصى حدودها الغربية ، خاضعا لملك باجاجاران .

كان ملك ماجاباهيت قد تزوج من ابنة امير تشاميا Champa وهي ولاية صغيرة في كامبوديا شرقي خليج سيام . ولما كانت تغار من احدى جوارى الملك الحضيات ، بعث الملك بهذه الجارية الى ابنه آريه دمر Arya Damar حاكم بالمينج Palembang في سومطرة حيث انجبت منه ابنا اسمه رادن بتاه Raden Patah وقد ربي على انه احد ابناء الحاكم . وقدر لهذا الطفل بعد سنوات

( كما سنرى ) ان يقدم على انتقام فظيع من جراء المعاملة القاسية التي لقيها من امه . وكانت بنت اخرى من بنات امير تشامبا قد تزوجت من عربي كان قد قدم الى تشامبا للدعوة الى الاسلام . ومن هذا الزواج ، ولد رادن رحمت <sup>aden Rahmat</sup> الذي اعتنى والده بتربيته على الدين الاسلامي ، ولا يزال الجاويون يعظمونـه باعتباره اعظم رسل الاسلام الى بلادهم ، ولما بلغ العشرين من عمره ، بعث به ابواه ومعه رسائل وهدايا الى عمه ملك ماجاباهيت وفي طريقه ، مكث شهرين في المينج ، ضيفا على ابيه دمر الذي كان ان يقنعه رادن رحمت اعتقاد الاسلام ، الا انه لم يجسر على ان يجهر باسلامه خوفا من الشعب الذي كان متمسكا اشد التمسك بتقاليد القديمة . وواصل رحلته حتى بلغ جريسك حيث رحب به احد دعاة العرب ، واسمه الشيخ مولانا جمادى الكبرى ، باعتباره رسول الاسلام المنتظر الى جاوة الشرقية ، وتنبأ بأن يكون زوال الوثنية على يديه ، وبأن اعماله ستكلل بدخول كثير من الناس في هذا الدين . وقد قوبل في ماجاباهيت بترحاب عظيم ، من ملك تشامبا واميرتهما . وعلى الرغم من ان الملك كان نفسه غير راغب في الدخول في الاسلام ، حمل لرادن رحمت مودة واحتراما ، حتى انه عينه حاكما على ثلاثة الاف اسرة في امبل <sup>Ampel</sup> على الساحل الشرقي ، على مقربة من جريسك الى الجنوب ، وسمح له بأن يقيم شعائره الدينية ، وان يدخل من يشاء في الاسلام . وبعد وقت قصير ، جذب الى الاسلام معظم هؤلاء الذين كانوا تحت سلطته .

ومنذ ذلك الحين ، كانت امبل مقر الاسلام الرئيسي في جاوه ، وذاعت شهرة الحاكم الذي كان يعمل في حماسة بالغة للدعوة الى

دينه ، وطبقت شهرته الاقاق . ومن ثم قدم الى اميل شخص يدعى  
مولانا اسحاق ، ليمد له يد المساعدة في تحويل الناس الى هذا  
الدين ، وعهد اليه في مهمة نشر الاسلام في مملكة بلمبنجــــن  
Balambangan في اقصى الحدود الشرقية لهذه الجزيرة .  
وهنا شفى ابنة الملك التي كانت مصابة بمرض عضال ، فوهبها ابوها  
البار زوجة لهذا الشيخ . واعتقدت دين الاسلام وتحمست له ،  
واباح ابوها لنفسه ان يتلقى تعاليم الاسلام ، ولكنه حين حثه  
مولانا على ان يجهر بهذا الدين ، كما كان قد وعده ذلك اذا شفيت  
ابنته على يديه ، طرده من مملكته ، وامر بأن يقتل الطفل الذى  
كانت بنته توشك ان تضعه . ولكن الام بعثت بالطفل خفية الى جريسك  
الى ارملة مسلمة غنية ، فربته كأحسن ما تربى الام ابنتها ، وعلمته  
حتى بلغ الثانية عشرة من عمره ، فأسلمته الى رادن رحمت ليتعلمه  
ويرعاه . وبعد ان عرف قصة هذا الطفل ، سماه رادن باكو ، وبعد  
وقت ، زوجه من ابنته كذلك . بعد ذلك بنى رادن باكو مسجدا  
في جيرى Giri في الجنوب الغربي من جريسك ، حيث ادخل  
في الدين آلافا من الناس . وبلغ من عظم نفوذه ان عينه ملك ماجاباهيت  
بعد وفاة رادن رحمت ، حاكما على اميل وجريسك . وفي هذه  
الاثناء ، تألفت بعوث دينية كثيرة من جريسك . واستقر ولــــد  
رادن رحمت من جهات شتى من الساحل الشمالي الشرقي ، وذاعت  
شهرتهم بفضل حماسهم الدينية ، وادخال كثير من سكان هذه  
الجهات في الاسلام . كذلك ارسل رادن رحمت داعيا ، يدعى  
الشيخ خليفة حسين ، الى جزيرة مادورة المجاورة ، حيث بنى مسجدا  
وكسب كثيرا من الناس للاسلام .

والآن نرجع الى ابيه دمر ، حاكم بالبنج . ويظهر انه ربي  
ابناءه على الدين الذي خشي هو ان يجهر به ، وحينذاك ارسل  
رادن بتاه ، عندما بلغ العشرين من عمره ، مع اخيه في الرضاعة ،  
رادن حسين ، وكان اصغر منه بسنتين ، الى جاوه حيث نزلا في  
جريسك . ورفض رادن بتاه ان يصحب اخاه في الرضاعة الى  
ماجاباهيت ، لانه كان يعلم تمام العلم منبته ونسبه ، ساخطا على  
المعاملة القاسية التي كانت امه قد لقيتها ، ولكنه بقي في اميل مع  
رادن رحمت ، على حين واصل رادن حسين سفره الى الحاضرة  
حيث احتفى به ، ووكل اليه امر مقاطعة من المقاطعات ، واصبح  
فيما بعد قائد الجيش .

في هذه الاثناء ، تزوج رادن بتاه من حفيدة رادن رحمت ،  
وكون مؤسسة في مكان يدعى بنتره Bintara ، وكان يتميز  
بقوته الطبيعية العظيمة ، في وسط بقعة مليئة بالآجام ، فربى  
جريسك . ولم يكد يسمع ملك ماجاباهيت عن هذه الجالية الجديدة ،  
حتى بعث برادن حسين الى اخيه يستقدمه الى الحاضرة ، ويطلب  
اليه تقديم الطاعة للملك . وقد حمله رادن حسين على ان يفعل  
ذلك ، فذهب الى البلاط حيث فطن الناس في الحال الى مشابهته  
الملك ، وحيث قوبل بترحاب ، وعين رسميا حاكما على بنتره . ولما  
كان لا يزال يتحرق الى الانتقام ويجنح الى تخريب مملكة والده ، عاد  
الى اميل ، حيث افضى بخطئه الى رادن رحمت . وحاول هذا  
الاخير ان يلطف من غضبه ، مذكرا اياه انه لم يلق قط على يدى ابيه  
ملك ماجاباهيت ، الا كل لطف ورعاية ، وانه في الوقت الذي كان فيه  
الامير على جانب عظيم من العدل واكتساب محبة الناس ، ابى عليه

دينه ان يعلن حربا او يلحق به اذى بحال من الاحوال . على ان  
بتاه لم يقتنع بتلك النصائح ( كما يتضح ذلك فيما بعد ) ، فعاد  
الى بنتره ، وكانت في ذلك الحين تزداد اهميتها ويكثر سكانها  
يوما بعد يوم ، على حين كانت جماعات كبيرة من الاهالي في البلاد  
المحيطة تدخل في الاسلام . وكان قد وضع خطة لبناء مسجد عظيم ،  
ولكن بعد ان بدأ بناء هذا المسجد بوقت قصير ، وصلت الاخبار  
بأن رادن رحمت قد اصاب بداء عيا . فأسر رادن بتاه الى اميل ،  
حيث الفى رؤساء الدعوة الى الاسلام يجتمعون حول فراشه ،  
وينظرون اليه باعتباره زعيما لهم . وكان من بينهم ولدا رادن رحمت ،  
وقد تقدم ذكرهما ، ورادن باكوالذى كان يقيم في جبرى ، وخمسة  
اشخاص آخرين . ولفظ رادن رحمت نفسه الاخير بعد ايام قليلة ،  
فزالت بذلك العقبة الوحيدة الباقية التي كانت تقف في سبيل خطط  
رادن بتاه الانتقامية ، وصحبه الزعماء الثمانية عائد بين الى بنتره حيث  
اعانوه على اتمام بناء المسجد . وقد اخذوا عهدا على انفسهم  
ان يساعدوه في محاولته ضد ماجاباهيت . وارتبط الامراء المسلمون  
جميعا بهذا الحلف ، عدا رادن حسين الذى ظل مخلصا  
لسيده هو واتباعه جميعا ، وابتلى بدلوله مع اخوانه في الدين  
الثائرين .

وتبع ذلك حملة طويلة الامد ، لا حاجة بنا الى الدخول في  
تفصيلاتها ، ولكن في سنة ١٤٧٨ ، بعد ان نشب قتال مستحرم  
دام سبعة ايام ، هزم ماجاباهيت ، وحلت السلطة الاسلامية محل  
السيادة الهندوكية في جاوة الشرقية . وبعد ذلك بوقت قصير ،  
حوصر رادن حسين واتباعه في مكان حصين ، واضطر الى التسليم ،



وسيق الى امل ، حيث قابله اخوه مقابلة لطيفة . وهرب عدد كبير من الذين ظلوا مخلصين لديانتهم الهندوكية القديمة في سنة ١٤٨١ الى جزيرة بالي ، حيث لا تزال عبادة سيوه هي الديانة السائدة . ويظهر ان آخرين كونوا ممالك صغيرة بقيادة امراء بيت ماجاباهيست الذي ظل وقتا ما على وثنيتها ، بعد ان سقطت قاعدة الهندوكيين الكينية .

ولقد ظل اهالي جاوة الوسطى على وثنيتهم وقتا طويلا ، حتى في ظل رؤساء المسلمين ، وكان تقدم الاسلام نحو الجنوب من المراكز الاولى للدعوة على الساحل الشمالي نتيجة عمل قرون . ويتجلى بوضوح تأثير عقيدتهم الهندوكية القديمة حتى الوقت الحاضر ، في الافكار الدينية لاهالي جاوة الوسطى من المسلمين . ومن الادلة الواضحة على تلك الجذور العميقة التي اقتها الديانة الهندوكية في هذه الجهة من الجزيرة ، تلك الحقيقة ، وهي ان الرجوع الى كتب القوانين الهندية ومجموعة قوانين مانو بوجه خاص ، لم تتفق امام مجموعة القوانين التي كانت اكثر تمشيا مع روح التشريع الاسلامي ، الا في سنة ١٧٦٨ .

دخل الاسلام الى الجهات الشرقية من الجزيرة بعد ذلك بسنوات قلائل ، وربما كان ذلك في اوائل القرن التالي ، بسبب نشاط الدعوة الذي اظهره الشيخ نور الدين ابراهيم احد اهالي تشرييون . وقد كسب لنفسه شهرة عظيمة لشفائه امرأة كانت مصابة بالجذام . وكان من اثر ذلك ان آفا من الناس جاءوا اليه ليتعلموا شعائر الدين الجديد . وقد حاول من جاوره من الزعماء ان يناهضوا هذه الحركة اول الامر . ولكنهم لما وجدوا ان معارضتهم لا طائل

تحتها سمحوا لانفسهم ان يجروا مع التيار ، ودخل كثير منهم فسي  
الاسلام . وارسل الشيخ نورالدين ابراهيم التشرىبيوني ، ابنه  
مولانا حسن الدين ، يدعو الى الاسلام في بنتام ، اكثر ولايات  
الجزيرة انحرافا نحو الغرب ، واحدى ملحقات مملكة باجاجاران الوثنية  
وهنا تكلفت جهوده بنجاح عظيم ، بين الداخلين في الاسلام  
الذين كانوا طائفة من النساك ، يبلغ عددهم ٨٠٠ وتذكر اخبار  
هذه الجهة من البلاد ، بنوع خاص ، ان الامير الشاب قد كسب  
هو لاء الذين دخلوا في الاسلام على يديه ، بوسائل الاقناع  
اللطيقة وحدها ، وليس بحد السيف . بعد ذلك ذهب مع ابيه الى  
مكة لتأدية فريضة الحج ، وعند عودته ، بسط نفوذه على ساحل  
سومطرة القريب من بلاده ، دون ان يمتشق سلاحا ، واجتذب الذين  
دخلوا في الاسلام على يديه بالوسائل السلمية وحدها .  
ولكن يظهر ان تقدم الاسلام فربي جاوة كان ابطاً بكثير منه  
في شرقها . فقد تبع ذلك ان قام نزاع طويل بين عباد الاله سيوه  
واتباع النبي ، ولا يبعد ان تكون مملكة باجاجاران الهندوكية ،  
التي يظهر انها باشرت السيادة على الامارات في الجهة الغربية  
من الجزيرة ، في وقت واحد من تاريخ جاوة ، لم تصل الى نهايتها  
الا في اواسط القرن السادس عشر ، على حين ظلت طوائف وثنية  
اخرى اقل عددا ، باقية حتى عصر احدث من ذلك بكثير . بل ظل  
بعضها حتى الوقت الحاضر . ولا حدى هذه الطوائف ، وتسمى  
البدوى Baduwis ، تاريخ ذواهمية خاصة . وهم ذريسة  
قص من اشباع الدين القديم ، هربوا بعد سقوط باجاجاران الى  
الغابات ومخابيء الجبال ليتمكنوا من موالاة اقامة شعائر دين

وثنيتهم قرونا بعد قيام الممالك الاسلامية في الجزيرة . وجميع  
اهالي جاوة في الوقت الحاضر مسلمون ، عدا قلة ليس لها شأن يذكر  
ومع ان كثيرا من الخرافات والعبادات قد بقي بينهم من ايام اجدادهم  
الوثنيين ، لا يزال الميل يتجه دائما الى ارشاد التفكير والسلوك  
على هدى تعاليم الاسلام . وقد سارت جهود التحويل الى الاسلام  
تلك المدة الطويلة قدما في هدوء وتدرج ، كما يرجع نمو الولايات  
الاسلامية في الجزيرة الى تاريخها السياسي اكثر من ان يكون راجعا  
الى تاريخها الديني ، ذلك ان ما احرزه الدين من تقدم كان نتيجة  
اعمال الدعاة اكثر من ان يكون نتيجة اعمال الامراء .

وفي الوقت الذي كان مسلمو جاوة يتآمرون على الحكومة  
الهندوكية ويضعون حكم البلاد في ايديهم بالقوة والعنف ، كانت  
تدبر ثورة لا تحمل في طياتها الا طابع الهدوء ، في سائر اجزاء  
الارخبيل ، عن طريق الدعوة الى الاسلام التي قام بها الدعاة الذين  
كانوا يحرزون نجاحا بطيئا ، ولكنه كان مؤكدا ، فيما بذلوه من جهود  
في نشر تعاليم الدعوة ولنوجه عنايتنا اولا الى تاريخ حركة الدعاة  
هذه في جزائر ملوكس .

في ملوكس : ولا بد ان تكون تجارة القرنفل قد ادت الى  
ارتباط اهل ملوكس بسكان الجزائر في النصف الغربي من الارخبيل  
منذ ازمان مبكرة جدا ، ونشر الجاويين الذين دخلوا في الاسلام ،  
واهل الملايو الآخرون الذين قدموا الى هذه الجزائر للتجارة ، دينهم  
بين سكان الساحل . ويرجع رفاق ماجلان Magellan هذا  
الى قصة عجيبة ، عن الطريقة التي ادخل بها هؤلاء الرفاق عقائدهم  
الدينية بين اهالي ملوكس : " بدأ ملوك هذه الجزائر ، قبل قدوم

اجدادهم . وفي عصور احدث من ذلك ، عندما اذعنوا لحكم سلطان بنتام المسلم ، سمح لهم ان يواصلوا اقامة شعائرهم الدينية ، على شريطة الا يسمح لهم بزيادة الجماعات التي تجهر بالعقيدة الوثنية . ومن الغريب ان يقال انهم لا يزالون يحافظون على هذه العادة ، على الرغم من ان الحكم الهولندي قد توطدت دعائه في جاوة مدة طويلة ، وانه يحررهم من ضرورة الاذعان لما اتفقوا عليه منذ القدم . وهم يحدون عددهم تحديدا دقيقا ، بحيث لا يتجاوز اربعين اسرة ، فاذا زادت الجماعة على هذا الحد ، وجب على اسرة او اكثر ان يتركوا النطاق الداخلي الذي يقيمون فيه ، ويستقروا بين الاهالي المسلمين في احدى القرى المحيطة بهم .

ولكن على الرغم من ان عمل التحويل الى الاسلام في غرب جاوة كان ابطاً منه في سائر جهات الجزيرة ، كان انتصار الاسلام على العبادة الوثنية التي حل هذا الدين محلها ، اتم منه في المقاطعات التي كانت اسرع في الانصواء تحت حكم راجيات ماجاباهيت ، وانما يرجع ذلك بنوع خاص ، الى تلك الحقيقة ، وهي ان الديانة الهندوكية لم تكن قد تغلغلت بين الشعب في هذه البقعة ، كما تغلغلت في وسط الجزيرة . والشريعة الاسلامية هنا قوة حيوية ، كما ان الحضارة التي جلبت من بلاد العرب الى هذه البلاد ، قند اتسقت مع الحكومة وحياة الشعب . وقد لاحظنا ان مسلمي غربي جاوة في الوقت الحاضر ، وهم الذين يدرسون ديانتهم دراسة تامة ويؤدون فريضة الحج في مكة يؤلفون في العادة ، اشد طبقات الاهالي نجابة ورفاهية .

ولقد رأينا من قبل ان طوائف كبيرة من الجاويين ظلوا على

الاسبانيين بسنوات قليلة يعتقدون خلود الروح ، ولم يقتنعوا الا بحجة واحدة ، وهي انهم كانوا قد رأوا طائرا صغيرا رائع الجمال لا نظيره على الارض ، ولا على اى شي\* يتعلق بالارض . وقد اخبرهم المسلمون الذين كانوا يزاولون التجارة في هذه الجزائر ، ان هذا الطائر الصغير قد ولد في الجنة ، وان هذه الجنة هي المكان الذى تستريح فيه ارواح الموتى . ولهذا السبب ، انضم السادة الى طائفة المسلمين لانها تعد لهم اشياء كثيرة عجيبة في هذا المكان الذى تستريح فيه الارواح .

ويظهر ان الاسلام بدأ يحرز تقدما لاول مرة في هذه البقعة في القرن الخامس عشر . وقد اذعن ملك تيدور الوثني لما قدمه اليه عربي يدعى الشيخ منصور من اقناع ، واعتقد الاسلام مع كثير من رعاياه . وابدل باسم الملك الوثني ، تجيريلي ليجاتو Tjizeli Lijatu اسم جمال الدين ، كما سمي اكبر ابناؤه منصورا على اسم معلمهم العربي . وكان هذا الامير الاخير هو الذى اكرم وفادة البعثثة الاسبانية التي وصلت الى تيدور في سنة ١٥٢١ ، بعد ان لاقى مجلان حنقه المشنوم بزمن قصير . ويسميه بيجافتا ، مؤرخ هذه البعثثة ، بانسم ريا سلطان موزور Raia Sultan Mauzor .

وهقول ان عمره كان يزيد على خمس وخمسين سنة ، وانه لم يمض اكثر من خمسين سنة على قدوم المسلمين للاقامة في هذه الجزائر . ويظهر ان الاسلام قد رسخت قدمه في جزيرة ترنات المجاورة قبل ذلك بوقت قصير . فقد اخبر سكان هذه الجزيرة البرتغاليين ، الذين قدموا الى هذه الجزيرة في نفس السنة التي وصل فيها الاسبان الى تيدور ، ان الاسلام كان قد دخل في بلادهم منذ اكثر من ثمانين سنة بزمن وجيز .

ويروى البرتغاليون كذلك ، ان سلطان ترنات كان اول زعماء ملوكس الذين اصبحوا مسلمين . وتحكي اسطورة دخول الاسلام الى هذه الجزيرة كيف اثار احد التجار ، ويدعى داتو ملا حسين ، حب الاستطلاع في نفوس الشعب عند ما رآوه يتلو القرآن بصوت عال على مشهد منهم . وقد حاولوا تقليد الحروف المكتوبة في المصحف ، ولكنهم عجزوا عن قراءتها ، فسألوا التاجر كيف تمكن من قراءتها ، على حين عجزوا فهم عن ان يفعلوا ذلك . فأجاب ان من الواجب عليهم اولاً ان يؤمنوا بالله ورسوله . ومن ثم اعربوا عن رغبتهم في قبول تعاليمه ، وانتهوا الى الدخول في العقيدة . وقد قيل ان سلطان ترنات الذي تبوأ ارفع مكانة بين الحكام المستقلين في هذه الجزائر ، قام برحلة الى حريسك في جاوة ، ليعتقد الدين الاسلامي هناك في سنة ١٤٩٥ ، وقد ساعده فيما بذل من جهود لنشر الدعوة شخص يدعى بتاه Pati Putah ، وكان قد قام برحلة من هيتو في امبوينا الى جاوة ليتعلم عقائد الدين الجديد ، وينشر معارف الاسلام بين شعب امبوينا بعد عودته . على انه يظهر ان الاسلام لم يخط اول الامر نحو التقدم الا خطوات بطيئة ، وانه لقي معارضة كبيرة من سكان هذه الجزائر ، الذين تشبثوا بخرافاتهم واساطيرهم القديمة في حماسة وغيرة ، حتى ان الوثنية القديمة ظلت فترة من الزمن مشوبة بتعاليم القرآن ، جاعلة عقول الشعب في حالة مستمرة من القلق كذلك جعلت غزوة البرتغاليين تقدم الاسلام ابطاً مما قد يكون لو ان هذه الغزوة لم تحدث . فقد طردوا القاضي ، الذي وجدوه يفتقه الناس في عقائد محمد ، ونشروا المسيحية بين الاهالي الوثنيين ، ولقوا في ذلك شيئاً من النجاح ، وان كان قصيراً الامد . ذلك انه عند ما

استغل اهل ملوكس انصراف البرتغاليين الذين اشتغلوا بمتاعبهم الوطنية الخاصة ، في النصف الاخير من القرن السادس عشر ، وحاولوا التخلص من سلطانهم ، دبروا اضطهادا عنيفا في وجه المسيحيين الذين استشهد كثير منهم ، وارثد آخرون منهم عن ديانتهم ، حتى لم يعد للمسيحية ذلك الشأن الذي كان لها من قبل . ومنذ ذلك الحين ، هيأت مناهضة سلطة المسيحيين صدرا ارحب لقبول المعلمين المسلمين الذين جاءوا من الغرب في جموع تزداد شيئا فشيئا . وقد اجهز الهولنديون على المسيحية في ملوكس بطرد الاسبان والبرتغاليين من هذه الجزائر في القرن السابع عشر ، ومن ثم حمل الاباء اليسوعيون البقية الباقية القليلة من مسيحي ترنسات معهم الى جزائر الفيليبين .

ومن هذه الجزائر ، انتشر الاسلام في سائر ملوكس ، مع ان الذين دخلوا في الاسلام كانوا مقصورين فترة من الزمن على سكان الساحل . وقد جاء معظم الذين دخلوا في الاسلام من بين سكان الملايو الذين يولفون جميع اهالي الجزائر الصغرى ، ولكنهم يسكنون في الاراضي الساحلية ، من الجزائر الكبرى وحدها ، على حين يسكن الالفور Alfurs في المناطق الداخلية . ولكن الذين دخلوا في الاسلام في عصور حديثة قد اخذوا من بين هؤلاء الالفور كذلك . بل كان هنالك في عهد مبكر جدا ، في سنة ١٥٢١ ، ملك مسلم لولاية جيلولو Gilolo على الجانب الغربي من الطرف الشمالي لجزيرة هليماهيرا . وفي ازمان حديثة ، ادى وجود قوانين خاصة ، سنت لمصلحة دين الدولة ، الى تسهيل تقدم الدين الاسلامي ، الى حد ما ، بين الالفور الساكنين في المناطق الكبرى ، من هذه القوانين انه اذا ثبت ان اي فرد منهم كان يعاشر فتاة مسلمة معاشرة

غير شرعية ، وجب عليه ان يتزوجها ، وان يدحل في الاسلام ، وان اية امرأة من الالفور تتزوج من مسلم وجب ان تعتقد دين زوجها . وقد يكفر المرء عما يقترف من آثام يعاقب عليها القانون ، بالتحول الى الاسلام . وانا اريد شغل منصب شاغر من مناصب الرؤساء ، فانه لا ينظر الى موهلات المرشح القانونية ، بقدر ما ينظر الى استعداده لاعتقاد الاسلام .

في بورنيو : وعلى هذا النحو ، ينحصر المسلمون في بورنيو غالباً على الساحل ، مع ان الاسلام قد كسب نفوذاً في الجزيرة في عهد مبكر ، اعني في مستهل القرن السادس عشر وحول هذا الوقت ، اعتقد هذا الدين شعب بنجرماسين <sup>Banjarmasin</sup> ، وهي مملكة على الجانب الجنوبي ، كانت خاضعة لمملكة ماجاباهيتت الهندوكية ، حتى دالت في سنة ١٤٧٨ . ويرجع الفضل في دخولهم في الاسلام الى احدى الولايات الاسلامية التي قامت على انقاض مملكة ماجاباهيت . والقصة هي ان شعب بنجرماسين طلب المساعدة لقمع احدى الثورات ، وان هذه المساعدة قدمت لهم على شريطة ان يعتنقوا الدين الجديد ، ومن ثم قدم عدد من المسلمين من جاوة ، وقضوا على الثورة ، وعملوا بهذا الشرط فتحولوا الى الاسلام . وعلى الساحل الشمالي الغربي ، وجد الاسبان ملكاً مسلماً في بروناي <sup>Brunai</sup> ، عندما بلغوا هذا المكان في سنة ١٥٢١ . وبعد ذلك بقليل ، اعني في سنة ١٥٥٠ ، دخل الاسلام الى مملكة سوكدانه <sup>Sukadana</sup> ، في الجانب الغربي للجزيرة ، على ايدي العرب الذين جاءوا من بالمبج في سومطرة . وابي الملك الحاكم ان يترك دين آباءه ، ولكن يبدو ان الدين الجديد ، في غضون الاربعين سنة التي انقضت قبل موته ( في سنة ١٥٩٠ ) قد احرز



تقدما كبيرا ، واصبح خليفته على العرش مسلما ، وتزوج بنت امير من امراء الجزيرة المجاورة ، التي كان الاسلام فيها قد توطدت دعائمه توطذا ظاهرا منذ وقت طويل ، ويتحدث رحالة في عهده ، زار الجزيرة في سنة ١٦٠٠ عن الاسلام باعتباره الدين الشائع على طول الساحل . على ان سكان المنطقة الداخلية ، كما يخبرنا ، كانوا جميعا وثنيين - واكثرهم في الواقع لا يزال في وثنيته حتى الوقت الحاضر . ويظهر ان تقدم الاسلام في مملكة سوكدنة قد لفت الان انظار مركز العالم الاسلامي الى تلك البقعة النائية ، وفي عهد الاخير الذي خلفه ، قدم شخص يدعى الشيخ شمس الدين من مكة يحمل هدية تتألف من نسخة من القرآن ، وخاتم مرصع بحجر يمني كبير ، مع كتاب ذكر فيه ان هذا الذائد عن الدين ، قد منح لقب شرف سلطان محمد صفي الدين .

وفي النصف الاخير من القرن الثامن عشر ، قيل ان احدى القبائل التي تسكن في الداخل ، وتسمى قبيلة ايدان *Idaans* وكانت تقطن في المنطقة الداخلية من شمال رورنيو ، كانت تنظر الى مسلمي الساحل نظرة ملؤها الاحترام والتقدير ، باعتبار انهم يعتقدون ديانة لم يدن بها افراد هذه القبيلة انفسهم . ويخبرنا *Dalrymple* ، الذي استقى معلوماته عن قبيلة

ايدان التي تقيم في بورنيو ، في اثناء زيارته الى *Sulu* من سنة ١٧٦١ الى ١٧٦٤ ، ان افراد هذه القبيلة " يكنون اسفا صادقا على جهالتهم ، وفكرة وضيعة عن انفسهم لهذا السبب ، بينه ، ذلك انهم ، عندما كانوا يأتون الى دور المسلمين او سفنهم ، راهم يظهر لهم اشد الوان التبجيل والاحترام ، باعتبارهم ذوي

عقول اسـمى من عقولهم ، ولا نهم يعرفون خالقهم . وهم لا يجلسون في المكان الذي ينام فيه المسلمون ، ولا يضعون اصابعهم في نفس التشونان او لعبة الفلفل ، ولكنهم يأخذون قليلا منها في خضوع بالغ ، وهم ، في كل مثال ، يعبرون ، بأشد ميولهم و اشاراتهم ضعة وحقارة ، عما يضمونه من تعظيم للاله الذي لا يعرفونه ، بما يظهرونه من احترام وتوقير لهؤلاء الذين عرفوا ذلك الاله " . ويلوح ان هذا الشعب قد اعتقد الاسلام منذ ذلك الحين ، وهذا من الشواهد الكثيرة التي تدل على التأثير القوي الذي احدثه الاسلام في القبائل التي بلغت احوط درجات المدنية . وقد تحدث حالات من الدخول في الاسلام ، من حين الى حين ، بين الجاليات المختلفة ، كالعرب ، واليوجي Bugis ، واهالي الملاينو ، والصينيين ( الذين كانوا قد استوطنوا هذه البقاع منذ القرن السابع ) والعبيد الذين دخلوا الى هذه الجزيرة من اقطار مختلفة ، حتى ان مسلمي بورنيو في الوقت الحاضر ، يكونون جنسا خليطا من كثير من العناصر . وكان كثير من هؤلاء الغرباء لا يزالون على وثنيتهم ، عندما قدموا لاول مرة الى بورنيو ، وكانوا ارقى حضارة من قبائل الدياك Dyaks الذين غزاهم هؤلاء الغرباء ، وطردوهم الى الداخل حيث لا يزال السواد الاعظم منهم على وثنيته ، اللهم الا في الجانب الغربي للجزيرة ، حيث تعتقد الاسلام قبائل قليلة العدد من الدياك من حين الى حين . وعندما كان الوثنيون من قبائل الدياك بغيرون عقيدتهم ، كان الاعم الغلب انهم كانوا اكثر خضوعا للمؤثرات الاسلامية ، منهم للتبشير المسيحي ، او كانوا يدخلون اولا في المسيحية ، ثم يتحولون الى الاسلام ، ويبدل المسلمون

جهودا تنطوي على الحماسة ، لاكتساب الداخلين في الاسلام من بين الدياك الوثنيين والمسيحيين على سواء .

في سليبيس : على هذا النحو ، نجد الدين الاسلامي ينمو نموا بطيئا في جزيرة Celebs ، بعد ان نبت بين سكان الساحل ، وشق طريقه ببطء نحو الداخل . على انه لم يعتقد الاسلام الا الجانب الارقي مدنية من السكان . وينقسم هذا الجانب الى قبيلتين : قبيلة مكسر Macassar والبوجي Bugis الذين يسكنون في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة ، هذا الى ان البوجي كذلك ، يكونون نسبة كبيرة من اهالي الساحل في اشباه الجزائر الاخرى . ولا يزال الاهالي الذين يقيمون في داخل الجزيرة على وثنيتهم ، عدا الجنوب الغربي لشبه الجزيرة ، حيث يعتقد الاسلام جميع السكان تقريبا ، واكثر سكان الداخل من اللفور ، وهم شعب منحط في مستوى الحضارة ، ويكون السوان الاعظم من سكان الشمال والشرق والجنوب الشرقي من اشباه الجزائر . وفي اقصى اول اشباه الجزائر هذه ، اى في ميناهسا Minahassa ، دخل الناس في المسيحية في جموع كبيرة ، ولم يشق المسلمون طريقهم الى هذه البقعة الا بعد ان رسخت اقدام البرتغاليين في هذه الجهة من الجزيرة ، ونجد اللفور الذين حولهم البرتغاليون الى الكاثوليكية الرومانية ، ينقلبون بروستانتيين على يد الهولنديين ، الذين قام مبشروهم بأعمالهم في ميناهسا ، ولقوا نجاحا عظيما جدا في هذه السبيل . ولكن الاسلام يشق طريقه في بطة بين القبائل الوثنية من اللفور في جهات شتى من الجزيرة ، سواء في المقاطعات التي تدبرها الحكومة الهولندية مباشرة ، او في تلك التي كانت تحت ظل

حكم الروم ساة الوطنيين . وعندما زار البرتغاليون الجزيرة لأول مرة ، حول سنة ١٥٤٠ ، لم يجدوا الا قليلا من الفرياء المسلمين في جوا Gowa ، قاعدة مملكة مكسر ، وكان اهلها لم يدخلوا في الاسلام بعد . ولم يأخذ الناص في الدخول في الاسلام بصفة عامة الا في مستهل القرن السابع عشر ، وتاريخ هذه الحركة ذو اهمية خاصة ، لاننا نلتبس فيها احدى الحالات القليلة ، التي كانت تتنافس فيها المسيحية والاسلام لاكتساب ولاة الشعب الوثني . من ذلك ما يقصه مصنف قديم عن احدى حوادث هذا النزاع بطريقة الاعجاب : " ينظر البرتغاليون الى كشف قطر على هذا النحو من الاهمية ، على انه مسألة ذات شأن عظيم ، وقد اتخذت التدبيرات لكسب عواطف هؤلاء النجوم الذين وجد ان غزوهام ليس من السهولة بمكان ، على انهم كانوا ، من جهة اخرى ، على استعداد لان يقبلوا المعروف ، وينقلبوا قوما صالحين ، كخلفائهم ، بالمعاملة الطيبة . كان الشعب اشجع بل احسن فهما وادراكا من السواد الاعظم من الهنود . ولذلك اخذوا بوجه عام يدركون ، بعد مناقشة قصيرة مع الاوربيين ، ان ديانتهم خالية من اى معنى او مغزى ، ولم يكن قليل منهم ، ممن كان قد دخل في المسيحية برعاية دون انطونيو جلفانوسو Don Antonio Glavano ( حاكم ملوكس ) ، قد عرفوا تعاليم المسيحية معرفة كاملة ، بحيث يتسنى تعليمهم دينا جديدا . على ان الشعب بأشده ، قد انكر خرافاته القديمة على وجه العموم ، واصبح بوء من بالله دفعة واحدة . ولكنهم لم يقنعوا بذلك ، فقرروا ان يرسلوا ، في وقت واحد ، الى ملقه يطلبون قساوسة المسيحيين ، والى اتشين يطلبون ائمة في الشريعة الاسلامية ، وعقدوا النية على

ان يعتقدوا ديانة اول من يقدم عليهم من الذين ارسلوا اليهم . ولكن يظهر ان دون رويس بريرا Don Ruis Perera الذي كان حاكم ملقه في ذلك الحين ، كان يعوزه بعض الاهتمام بشئون الدين ، ان احدث تأخيرا كبيرا لامبر له ، في ارسال القساوسة المطلوبين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، لم تكمل ملكة اتشين ، وهي مسلمة متعصبة ، تتلقى خبرا عن استعداد اهالي جزيرة سليبيس وميلهم ، حتى بادرت الى ارسال سفينة مملوءة بأئمة الشريعة ، الذين وطدوا دعائم دينهم بين سكان الجزيرة توطيدا قويا في زمن قصير ، وبعد فترة من الزمن قدم القساوسة المسيحيون ، وحقروا من شأن الشريعة الاسلامية تحقيرا مبررا ، ولكن دون جدوى ، فقد اختار اهالي سليبيس ديانتهم ، ولم يعد في الامكان حملهم على تغييرها . والحق ان احد ملوك الجزيرة ، وكان قد اعتقد المسيحية من قبل ، تشبث بدينه ، وتحول معظم رعاياه اليه ، ولكن السواد الاعظم من اهالي سليبيس ظلوا مسلمين ، وهم كذلك الى اليوم ، كما انهم اشد حماسة لدينهم من اهالي اية جزيرة من جزر الهند الشرقية .

وقد قيل ان هذه الواقعة حدثت في سنة ١٦٠٣ . وان كثرة الاشارة اليها في الآداب المعاصرة تجعل الشك في صحتها التاريخية امرا محالا . وفي ولاية تلوالصغيرة Tallo ، شمالي جوا ، التي كانت دائما حليفة لها ، لا يزال يرى ضريح احد مشاهير الدعوات الى مكسر ، واسمه خطيب تونجال . وقد برهن امير هذه الولاية ، على انه اشد ابطال الدين الجديد حماسة وفيرة ، وعن طريق نفوذه ، اعتقد الاسلام ، كل القبائل التي تتكلم لغة مكسر على وجه الاجمال . ولم تكن نتيجة هذه الحركة ذات طابع سلمي بحت ، فقد انجرف

اهالي مكسر في تيار حماستهم لدينهم الذي اعتقدوه حد يثا ، ليقوموا بمحاولة لفرضه على جيرانهم من البوجي . وعرض ملك جوا على ملك بوني Boni ان يعتبره ماثلا له من جميع الوجوه لوانه عبد الاله الحقيقي وحده . وشاور ملك بوني شعبه في الامر فقالوا له : " لم نحارب بعد ، ولم ننهزم بعد " . وقد ذاقوا عاقبة الحرب ، وحلت بهم المهزيمة . وكان من اثر ذلك ان اعتقد الملك الاسلام ، واخذ من ناحيته يحاول ان يفرض عقيدته على رعاياه ، كما حاول ان يفرض هذه العقيدة على ما جاوره من الولايات الصغيرة ، بالقوة والاكراه . ومن الغريب ان يقال ان الشعب طلب معونة ملك مكسر ، فأرسل رسلا يطلبون الى ملك بوني ان يجيب عن الاسئلة الآتية : — هل فعل الملك ما فعله من الاضطهاد بوحي خاص من النبي ؟ — ام فعل ذلك تلبية لنداء عادة قديمة ؟ — ام فعل ذلك جريا وراء لذته الخاصة ؟ فان كان السبب الاول ، فان ملك جوا يتوق الى معرفة تفصيل ذلك ، وان كان السبب الثاني ، فسوف يمد اليه يد المساعدة باخلاص ، وان كان السبب الثالث ، فعلى ملك بوني ان يكف ، لان هؤلاء الذين ظن انهم يظلمهم ، انما هم اصدقاء جوا . ولم يجب ملك بوني عن شيء من هذه الاسئلة ، وسير اهالي مكسر جيشا عظيما الى تلك البلاد ، وتغلبوا عليه في ثلاث معارك متتالية ، وارغموه على مغادرة البلاد ، وحولوا بوني الى امارة . وبعد ان ظل شعب بوني خاضعا ثلاثين عاما ، رفعوا لواء العصيان في وجه مكسر بمساعدة الهولنديين ، وادعوا زعامة قبائل سلبيس ، بدلا ممن سادتهم السابقين . ولا شك ان الدعوة الى الاسلام كانت تسير بين البوجي فيما يظهر تدريجيا وفي ببطء ، ولكن لم يكادوا يعتقدون الدين

الجديد حتى اثار هذا الدين ، فيما يظهر ، روح العمل فيهم ، كما اثار العرب من قبل ( ولوان هذا النشاط الذي اوقظ حديثا في كل من هاتين الحالتين كان يتحول الى اتجاهات مختلفة كل الاختلاف ) ، وخلق منهم القوم الذين نراهم الآن قوما كانوا من قبل اشجع الناس ، واكثر سكان الارخبيل مزاولا للتجارة واشتغالا في الملاحة . فهم يشقون طريقهم بسفنهم التجارية ، الى كافة انحاء الارخبيل ، من ساحل غينا الجديدة الى سنغافورة ، وقد ادخلت جالياتهم المتنوعة ، التي ميزت قبائل البوجي انفسهم في تكوين هذه الجاليات تميزا خاصا ، دين الاسلام الى كثير من الجزائر الوثنية : مثال ذلك ، ان احدي مستعمراتهم كانت مؤسسة في ولاية تنبسط على جزء كبير من ساحل فلورز الجنوبي حيث احرزوا النجاح ، بعد ان اختلطوا بالاهاالي الاصليين ، الذين كان جانب منهم يتألف من الرومان الكاثوليك ، في تحويل كل سكان هذه الولاية الى الاسلام . كذلك ربط البوجي في بلادهم الاصلية ، جزيرة سليبيس ، بين الجهود في نشر تعاليم الدعوة ، واعمالهم التجارية ، وقد نجحوا في ملكة بولانج مونجندو Bolaang - Mongondou في شبه الجزيرة الشمالي في خلال القرن الحالي ، في ان يضموا الى الاسلام عددا من الاهاالي المسيحيين الذين يرجع تاريخ تحولهم الى الاسلام الى نهاية القرن السابع عشر . وكان اول ملك مسيحي لملكة بولانج — مونجندو ويعقوب منوبو Jacobus Manopo<sup>J</sup> ( ١٦٨٩ — ١٧٠٩ ) ، وفي عهده انتشرت المسيحية انتشارا سريعا ، بسبب نفوذ شركة الهند الشرقية الهولندية ، وتبشير رجال الكنيسة من الهولنديين . وكان جميع خلفائه مسيحيين حتى سنة ١٨٤٤ ، عندما اعتقد الاسلام الراجح

الحاكم في ذلك الحين واسمه يعقوب مانويل منوبو ، وكان دخولهم في الاسلام بداية سلسلة من الجهود في نشر تعاليم الدعوة ، التي كانت قد احرزت تقدما منذ بداية هذا القرن . ذلك انه حدث حول ذلك الوقت ، ان الجهود الحماسية التي قام بها بعض تجار المسلمين - البوجي وغيرهم - قد ظفرت بفريق تحولوا الى الاسلام في احدى المدن الساحلية لمملكة مونجندو الجنوبية . ومن هذه المدينة ذاتها ، اخذ داعيان من التجار ، يقال لهما حكيم بجوس وامام تويكو ، ينشران دينهما في سائر انحاء هذه المملكة . وكان اول ما قاما به ، ان ادخلا في الاسلام بعض العبيد ، والنساء الوطنيات اللاتي تزوجوا منهن . وقد حدث هؤلاء اصدقاءهم واقاربهم على اعتقاد الدين الجديد شيئا فشيئا . ومن مونجندو انتشر الاسلام الى مملكة بولانج الشمالية . وفي هذه البقعة ، في سنة ١٨٣٠ ، كان الاهالي جميعا اما مسيحيين او وثنيين ، عدا جاليتين او ثلاثا من المسلمين . ولكن سرعان ما احرز دعاة الاسلام المتحمسون من البوجي والعرب الذين ساعدوهم على اداء اعمالهم الخاصة بنشر الدعوة ، نجاحا واسع النطاق ، ولم يتسلح المسيحيون الذين كانت معرفتهم بعقائد دينهم تافهة للغاية ، والذين كان ايمانهم ضعيفا جدا ، تسلحا تاما بأسلحة الجدل لكي يواجهوا هجمات العقيدة المنافسة . ولما كانت الحكومة الهولندية تنظر الى هؤلاء المسيحيين نظرة الاحتقار ، وروءاء الكنيسة يهملون من شأنهم ويكادون يبيذونهم ، بدءوا يتطلعون الى هؤلاء الفرياء ، الذين تزوج بعضهم من نساءهم واستقروا بينهم ، واصبحوا اصدقاءهم . ولما تقدمت مهمة التحويل الى الاسلام في تلك البلاد ، اصبح تردد هؤلاء البوجي والعرب عليها



اكثر — وكان من قبل نادر الوقوع — كما اصبح نفوذهم في تلك البلاد يزداد زيادة كبيرة جدا ، حتى لقد بلغ من عظمه ان تزوج عربي — ، حول سنة ١٨٣٢ ، ابنة الملك كورنيليوس منوبو Cornilius Manopo وكان يدين هو نفسه بالمسيحية . وحول هذا الوقت نفسه هجر كثير من الرومساء ، وفريق من اعظم الناس نفوذا بينهم ، دين المسيحية واعتقدوا الاسلام . وعلى هذا النحو ، كان الاسلام قد توطئت اركانه في مملكته ، قبل ان يصبح الراجة يعقوب مانويل منوبو مسلما في سنة ١٨٤٤ . وكان هذا الامير قد طلب مرارا الى السلطات الهولندية في مندو Manado ان تعين خلفا ليعقوب بستيان ، المعلم المسيحي — الذي كان موته خسارة فادحة للطائفة المسيحية — ولكن دون جدوى . ولما علم من نائب الحكومة الهولندية في مندو انها على حياض تام من حيث ديانة الشعب ، وانه لا يعنيه ان يكون شعب ولايته مسيحيين او مسلمين ، ماداموا مخلصين ، صرح امام الملاء انه قد اصبح مسلما ، وحاول كل وسيلة لحمل رعيته على الدخول في هذا الدين نفسه . واستغل احد دعاة العرب وقوع زلزال شديد في السنة التالية ، فتنبأ بخراب بولانج مونجنندو ، اذا لم يبادر شعبها الى الدخول في الاسلام . وهرع كثيرون من فزعهم الى اتباع هذه النصيحة ومد الراجة واشرافه يد المساعدة للدعاة وتجار العرب ، الذين لم يكونوا على الدوام يستخدمون ارقى الوسائل وانبلها في معاملة الذين تراخوا عن هذا الدين . على ان نصف الاهالي تقريبا لا يزالون على وثنيتهم ، وان كان تقدم الاسلام بينهم ، على بطئه ، مستعرا في صورة موكدة .

ولا يبعد ان تكون جزيرة سمبوا Sambawa القريبة كذلك ، قد تلقت معرفتها بهذا الدين من سلبسيس ، عن طريق

الدعوة التي قام بها الدعاة من مكسر بين سنتي ١٥٤٠ و ١٥٥٠ .  
وان جميع السكان الذين نالوا حظا ارقى من المدنية والحضارة مؤمنون  
صادقون ، ويقال انهم اشد تمسكا في اقامة فرائضهم الدينية من اي  
شعب من الشعوب الاسلامية التي تجاورهم . ويرجع ذلك بنوع خاص  
الى حركة تجديدية بعثها شخص يدعى حاجي علي ، بعد انفجار  
جبل تمبورا في سنة ١٨١٥ ، تلك الكارثة المفزعة التي نجمت عن ذلك  
فاستغلت لاثارة الشعب علي ان يحافظوا على مبادئ دينهم علي نحو  
اقوى ، وان يهتدوا الى حياة اكثر ورعا وتدينا . ولا يزال الاسلام  
في الوقت الحاضر يوالي اجتذاب مسلمين جدد في هذه الجزيرة .  
كذلك يرجع الفضل في تحويل السسك Sasaks الذين يسكنون  
في جزيرة لمبوك Lombok المجاورة الى الاسلام ، الى الدعوة  
التي قام بها البوجي ، الذين يكونون مستعمرة كبيرة في هذه البقعة ،  
وقد قدموا اما عن طريق عبور المضيق من سمبوا ، او من سلبينيس راسا  
ومهما يكن من شيء ، فان التحويل الى الاسلام ، فيما يظهر ،  
قد حدث بطريقة سلمية ، وينقسم اهالي لمبوك قسمين متميزين ،  
السسك والبليينيون . اما الجماعة الاولى ، وهم عبارة عن السسك  
المسلمين ، سكان الجزيرة الاصليين ، فانها تفوق الجماعة الثانية  
عددا ، الا انهم اصبحوا ، حول منتصف القرن الثامن عشر ، تحت حكم  
البليينين ، وسرعان ما وجدوا افواجا من جيرانهم الهندوكيين يجتاحون  
جزيرتهم . وكان حكم البليينيين جائرا للغاية ، وقد بذلوا جهودا لم  
تصادف نجاحا كبيرا — لحمل رعاياهم المسلمين على اعتقاد الديانة  
الهندوكية . وحاول السسك ، دون جدوى ، ان يتخلصوا من نير هوءلاء  
الحكام الجائرين ، ولجئوا الى الحكومة الهولندية اكثر من مرة ، قبل

ان تجلب حملة سنة ١٨٩٤ تبشير السلام الى الجزيرة ، وان تقيم ادارة منظمة في ظل الحكم الهولندي . وقد جلبت الحكومة الجديدة معها عددا كبيرا من الموظفين الوطنيين من المسلمين ، الذين يستخدمون نفوذهم في مصلحة دينهم ، ومن ثم كان من المتوقع ان تكون احدي نتائج الغزو الهولندي للمبوك ، امداد الاسلام بروح قوية دافعة في هذه الجزيرة .

في الفيليبين : ونجد في جزائر الفلبين صراعا بين المسيحية والاسلاك لكسب ولاء السكان ، وهذا الصراع يشبه في طابعه ما حدث في سليبيس الى حد ما ، الا انه اكثر عنفا وشدّة ، فقد اشتبك فيهِ الاسبان والمسلمون في نزاع عنيف دام ، حتى القرن التاسع عشر . وليس من المحقق ان نقف على الزمن الذي وصل فيه الاسلام الى هذه الجزائر لاول مرة . وتصور لنا اخبار منداناو Mindanao ، ان الاسلام دخل الى هذه الجزائر من جوهور Johore ، في شبه جزيرة الملايو ، على يد شخص يدعى شريف كابونجسوان ، الذي استقر مع عدد من الاتباع في الجزيرة ، وتزوج هناك . ويقال انه ابى ان ينزل الى الشاطيء حتى يعده هو لاء الذين قد مو للقاءه عند وصوله ، ان يعتقدوا الاسلام . وتوخي هذه الاخبار القديمة بان نزول كابونجسوان على الشاطيء ، ودخول شعب منداناو في الاسلام قد حدث اول الامر في غاية الهدوء والسكينة . ولكنه ، ان وطد سلطته ، اخذ يغزو من جاوره من الزعماء والقبائل ، فعملوا ديانته عندما اذعنوا لسلطانه . وقد وجد الاسبان ، وكانوا قد اهدوا اليهم في سنة ١٥٢١ ، ان اهالي الجزائر الشمالية قوم همج يعبدون رموزا سانجة من الاوثان ، على حين وجدوا قبائل

اسلامية اكثر رقيا وحضارة ، في جزائر مندناو وسولو . وقد قاوم اهالي سولو على وجه الاجمال ، كل الجهود التي يبذلها المسيحيون في الغزو والتبشير ، حتى نهاية القرن التاسع عشر ، مقاومة ناجحة ، الى حد ان المبشرين الاسبان يئسوا من الاستمرار في القيام باعمال التبشير . ويرجع نجاح الاسلام الى حد بعيد ، اذا ووزن بالمسيحية الى الصورة المختلفة التي عرضت بها هاتان الديانتان على اهالي هذه البلاد . وقد انطوى اعتقادهم المسيحية على فقد الحرية السياسية كلها ، والاستقلال القومي ، ومن هنا اصبح الناس ينظرون اليها على انها رمز العبودية . وقد قدر للوسائل التي اتخذها الاسبان لنشر دينهم ان تجعل هذا الدين منذ البداية غير محبيب لدى الشعب . وكان عنفهم وتغصبهم على طرفي نقيض مع سلوك التسامح الذي ظهر به دعاة المسلمين ، الذين تعلموا لغة الشعب ، وانتحلوا عاداته ، واصهروا اليه . ويفنائهم في عامة الشعب . لم يدعوا لانفسهم كافة الحقوق التي تقتض على جنس متميز عن سائر الاجناس ، ولا رموا الاهالي بأنهم في مستوى طبقة منحطة . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، كان الاسبان يجهلون لغة الاهالي وعاداتهم واحوالهم ، وقد ادى فساد اخلاق هؤلاء الاسبان ، بل شحهم وجشعهم ، الى جعل دينهم مبعضا الى النفوس ، كما كان المقصود من نشر دينهم استخدام اداة لتقدمهم السياسي . لهذا فانه ليس من العسير ان ندرك المعارضة التي اظهرها الاهالي ازاء دخول المسيحية التي لم تصبح في حقيقة الامر الا ديانة الشعب في تلك الجهات حيث كان السكان من الضعفاء ، او كانت الجزيرة من الصغر ، بحيث مكنوا الاسبان من اخضاع البلاد اخضاعا تاما . ولم يكن بد من ان يرفغ

المسيحيون من الاهالي ، بعد دخولهم في المسيحية ، على اداء واجباتهم الدينية خوفا من العقاب ، كما انهم عوملوا معاملة اطفال المدرسة سواء بسواء . وكانت مملكة مندناو الاسلامية ، حتى زمن احتلال الامريكيين جزائر الفيليبين ، ملجأ لهؤلاء الذين رغبوا في التخلص من الحكومة المسيحية البغيضة . وقد كونت جزيرة سولو ، كذلك ، مع انها دخلت اسما في حوزة الاسبان منذ سنة ١٨٢٨ موكزا اسلاميا آخر مناهضا للمسيحية ، كما وجد به المرتدون من الذين يتكلمون اللغة الاسبانية .

في سولو : وليس لدينا شاهد تاريخي معين ، يبين المدة التي قضاها سكان جزائر سولو في الاسلام ، قبل قدوم الاسبان . وتذكر اخبار سولو اسم الشريف كريم المخدوم باعتباره اول داع الى الاسلام في هذه الجزائر . ويقال انه كان عربيا ، ذهب الى ملقه حول منتصف القرن الرابع عشر ، وادخل السلطان محمد شاه وشعب ملقه في الاسلام . وقد واصل رحلته شرقا ، حتى وصل الى سولو حول سنة ١٣٨٠ ، واستقر في بوانسا Bwansa قاعدة سولو القديمة ، حيث بنى له الاهالي مسجدا وتقبل كثير من الروءساء تعاليمه . وقد قيل انه زار كل جزيرة في الارخبيل تقريبا ، وانسه ادخل في الاسلام ناسا في اماكن كثيرة . ويقال ان ضريحه في جزيرة سبوتو Sibutu ، كما يقال ان الداعي الذي جاء بعده هو ابوبكر ، وقد ذكر كذلك انه عربي ، وانه بدأ نشاط دعوته في ملقه ، وانه شق طريقه الى بالمبنج وبروناي Brunai ، ووصل الى سولو حول سنة : ١٤٥٠ ، وبنى مساجد وقام بدعاية ناجحة ، وقد زوجه الراجه بجندا Baginda ، ملك بوانسا المسلم ، من ابنته ، وجعله وزيره . والى ابي بكر يرجع الفضل في تنظيم حكومة

سولو وسن قوانينها على اسس اسلامية قوية ، بقدر ما كانت تسمح به العادات المحلية . وعلى الرغم من انهم دخلوا في الاسلام منذ زمن بعيد ، فان المسلمين من اهالي سولو بعيدون عن التمسك بدينهم ، وفي الحق ان مآثر العبيد المسيحيين ، على اختلافهم ، وكانوا قد نقلوها معهم من جزائر الفيليبين في غاراتهم التي كانت تقوم على النهب والسلب ، كانت في العادة من القوة بحيث زعم بعض الباحثين " انهم كانوا قد اعترف بأنهم مسيحيون قبل ذلك بوقت طويل ، ولكن على تقدير ان مثل هذا التغيير لديهم ، عن طريق القاء تأثير قوى غلاب الى رجال الدين المسيحي ، لا بد ان يقوض دعائم سلطة هؤلاء العبيد ، ويمهد الطريق الى نقل ممتلكاتهم الى الحكم الاسباني . وهذه حادثة قد علمتها التجارب القاتلة في قوة وعنف ، كل الشعوب المحيطة التي انتحلت العقيدة المسيحية في تهور واستهتار " . اضافة الى ذلك ، ان مسلك العدوان الذي ظهر به قساوسة الاسبان الذين اقاموا بعثة تبشيرية في سولو ، قد خلق في نفوس الاهالي نفورا شديدا من الديانة الاجنبية .

ومنذ احتل الامريكيون جزائر الفيليبين ، اصبح التأثير الاسلامي محدودا الى حد كبير ، وهو الآن ينحصر في جزيرة بلوان Palawan ، وساحل منداناو الجنوبي ، ومجموعة جزائر سولو . ولكن يقال انه يجد في نشر دعوته بين الجزائر الشمالية ، وانه بدأ نشاط الدعوة حتى في منيلا Manila . ويقال ان احوالا معينة قد ساعدت على نجاحه ، ولا سيما تلك الحقيقة ، وهي ان اهالي جزائر الفيليبين يتحاملون على المسيحية ، بسبب المساواة التي ادت بهم الى حمل السلاح في وجه رهبان الاسبان .

بين الببوان : وقد قوبل الاسلام ، كما ذكرنا من قبل ، بأسمى آيات القبول من شعوب ارخبيل الملايو الذين يتمتعون بحضارة ارقى ، كما انه لم يرسخ الا قليلا عند الشعوب التي هي اشد انحطاطا وتأخرا . ومن امثلة هؤلاء ، الببوان Papuans في غينا الجديدة وفي الجزائر التي تقع الى الشمال الغربي منها ، نعني بذلك الوايجيو Waigyu والميسول Misool ، والوايجم والسلوتي Salawatti . وكانت هذه الجزائر ، بالاضافة الى شبه جزيرة اونين الى الشمال الغربي من غينا الجديدة خاضعة في القرن السادس عشر لسلطان باتجان ، احد ملوك ملوكس . ويفضل نفوذ حكام باتجان من المسلمين ، اعتقد زعماء الببوان في هذه الجزائر الاسلام . ومع ان عامة الشعب في المنطقة الداخلية قد ظلوا على وثنيتهم حتى الوقت الحاضر ، فان سكان الساحل مسلمون . ولا شك ان اسلامهم يرجع بنوع خاص الى تأثير هؤلاء الذين جاءوا من ملوكس واستقروا في هذه البلاد . وفي غينا الجديدة نفسها ، يظهر ان فئة قليلة جدا من الببوان قد اعتقدوا الاسلام . وقد دخل هذا الدين الى الساحل الغربي ( وربما الى شبه جزيرة اونين ) على ايدي تجار المسلمين ، الذين ادعوا دينهم في السكان في عهد مبكر يرجع الى سنة ١٦٠٦ . ولكن يظهر انه لم يصادف نجاحا كبيرا في خلال القرون التي خلت منذ ذلك الحين . وابدى الببوان نفورا شديدا من الدخول في الاسلام ، كذلك النفور الذي ابدوه في قبول تعاليم المبشرين المسيحيين الذين قاموا بأعمال التبشير بينهم منذ سنة ١٨٥٥ ولم يصادفوا نجاحا كبيرا في هذه السبيل . وقد اتهم مسلمو الجزائر المجاورة بأنهم يحتقرون الببوان

احتقارا شديدا بحيث لا يستطيعون ان يبذلوا جهودا لنشهر  
الاسلام بينهم . على ان هناك اسم احد الدعاة ، ويدعى الامام دكر  
( ربما ذكر ) ، وكان قد قدم من احدى الجزائر على الجنوب الشرقي  
من سرام Ceram حول سنة ١٨٥٦ ، وادخل الاسلام الى جزيرة  
ادى الصغرى Adi ، جنوبي شبه جزيرة اوتين . وبعد اداء رسالته  
عاد الى وطنه ، بعد ان قاوم الحاج السكان الذين طلبوا اليه ان  
يستقر بينهم . وقد روت الاخبار ان تجار المسلمين من سرام وجرام  
قد ادخلوا فريقا في الاسلام من بين الوثنيين في خلال العقد الاول  
من القرن العشرين . وتبذل جهود هائلة لتحويل البيوان في  
جزائر كي المجاورة الى الاسلام . وقد قيل انه كان من الصعب  
ان نجد في منتصف القرن التاسع عشر ، اى فريق من المسلمين على  
هذه الجزائر ، لانستثني الا سلالة المهاجرين من جزائر بنده . وقبل  
ذلك بقليل ، كان الدعاة من سرام قد نجحوا في ادخال عدد فني  
الاسلام ، بيد انه قلما كانت تراعى تعاليم الاسلام بينهم ، فقد اباحوا  
لانفسهم اكل اللحوم المحرمة وشرب المسكرات على انه قيل ان النساء  
كن اشد تمسكا بأهداب الدين من الرجال ، حتى ان بعولتهن  
كانوا اذا رغبوا في ان يبيحوا لانفسهم اكل لحم الخنزير ، فعلوا ذلك  
سرا ، لان نساءهم كن لا يسمحن بجلبه الى المنازل . وقد لوحظ  
في سنة ١٧٨٧ ، انه كانت هنالك نهضة في الحياة الدينية بين اهالي  
جزائر كي ، كما كان عدد المسلمين يكثر يوما بعد يوم . وقد برهن  
تجار العرب من مادورة وجاوة وبالي على انهم دعاة متحمسون للاسلام  
ولم يدعوا وسيلة الا حاولوها لجذب الداخلين في هذا الدين . وكانوا  
يدعمون حجتهم بالتهديد والعنف تارة ، وبالرشا تارة اخرى . وقد



قيل ان العادة قد جرت بأن يتقاضى كل من يدخل حديثا في الاسلام ما يساوي مائتي فلورين ( 5 ) من الهدايا ، على حين كان الزعماء يتسلمون مبلغا هائلا يساوي الف فلورين . وفي نهاية القرن التاسع عشر ، قيل ان نحو من ٨٠٠٠ من سكان جزائر كي كانوا مسلمين من بين مجموع سكان هذه الجزائر الذي يبلغ ٢٣٠٠٠ .

دعاة المسلمين : التجار وطبقة الحاجي : وان الصورة العامة

التي رسمناها من قبل عن انتشار الاسلام من الغرب الى الشرق عن طريق ارخبيل الملايو ، لا تؤلف الا جانبا قليلا من تاريخ اعمال الدعوة الى الاسلام في هذه الجزائر . وكثير من حقائق هذا التاريخ لم يدون بأكمله ، وان ما يمكن ان نلتقطه من التواريخ الوطنية ، ومؤلفات الرحالين الاوربيين ، والموظفين والدعاة ، انما هو متفرق ناقص في جوهره . على ان هناك شواهد كافية تدلنا على وجود جهود سلمية في الدعوى لنشر عقيدة الاسلام في خلال السنوات الستمئة الاخيرة . حقا ان السيف كان يمتشق اخيانا لتأييد قضية الدين ، ولكن الدعوة والاقناع وليس القوة والعنف ، كانا هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه . وان النجاح الرائع هو الذي احرزه التجار بنوع خاص ، الذين كسبوا السبيل الى قلوب الاهالي ، بتعلم لغتهم ، وانتحال اخلاقهم وعاداتهم ، واخذوا في رفق وتدرج ، ينشرون معارف دينهم بأن بدءوا بأن يحولوا الى الاسلام ، نساء البلاد اللاتي تزوجوا منهن ، والاشخاص الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية . وبدلا من ان يعتزلوا الاهالي في انفة وكبرياء ، امتزجوا شيئا فشيئا في عامة الشعب ، واستخدموا كل ما يتميزون به من تفوق في العقلية والحضارة في القيام بأعمال التحويل الى الاسلام ، واصطنعوا لمبادئ دينهم وطقوسه ، شروطا

حاذقة ، ومخارج ماهرة ، كانوا يرونها لازمة لتقريب هذا الدين الى اذهان الشعب الذي كانوا يرغبون في جذب اليهم . وفي الواقع " كان دعاة المسلمين — كما قال عنهم بكل Buckle — على جانب عظيم من الحكمة والروية " .

والى جانب التجار ، كانت هنالك جموع ممن يصح ان نسميهم الدعاة المحترفين — وهم الفقهاء ، والقضاة والحجاج . وكان الحجاج في السنين الاخيرة ، نشطين في نشر تعاليم الدعوة بنوع خاص ، وذلك بحث مواطنيهم على لون من الحياة الدينية ، اكثر نشاطا ، واشد تمسكا ، وبتطهيرها من بقايا عادات الوثنية ومعتقداتها . وان عبيد الذين يذهبون الى مكة لاداء فريضة الحج من كل جهات الارخبيل آخذ في الزيادة على الدوام ، وتبع ذلك نمو التأثير الاسلامي والفكرة الاسلامية نموًا مناسبًا . وقد حاولت الحكومة الهولندية ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ان تضع العراقيل في سبيل الحجاج ، فأصدرت امرا بأنه لا يجوز لاحد ان يوءى فريضة الحج الى المدينة المقدسة الا اذا حصل على جواز سفر ، وكان لابد ان يدفع للحصول عليه ١١ فلورين . وكل من يخالف هذا الامر ، يلزم عند عودته بأن يدفع غرامة تساوي ضعف هذا المبلغ . ومن ثم لانعجب ان نجد عدد الحجاج في سنة ١٨٥٢ ينخفض حتى يصل الى السبعين . ولكن هذا الامر لم يلبث ان الفى في هذه السنة نفسها ، واخذ عدد الحجاج يزداد منذ الغاء زيادة ثابتة .

وبلغ متوسط عدد الحجاج في خلال العقد الاول من القرن التاسع عشر ٧٠٠٠ وفي خلال العقد الاول من القرن العشرين ٧٣٠٠ ، ولكن العدد يتفاوت كثرة سنة فأخرى . وكان اكبر عدد

سجل من جزائر الهند الهولندية ١٤٢٣٤ في سنة ١٩١٠ .  
ولا شك ان مثل هذه الزيادة تعزى بنوع خاص الى زيادة  
تيسير المواصلات بين مكة وارخبيل الملايو ، ولكن هذا ، كما لاحظت  
ذلك احد المبشرين المسيحيين " لا يقلل بحال من اهمية تلك  
الحقيقة ، ولا سيما ان الحجاج ، الذين نما عددهم بسرعة فائقة ،  
لم يفقدو بحال من الاحوال من صفاتهم ما حصلوا عليه من كثرة  
عددهم . فالامر على خلاف ذلك ، يوجد الآن بينهم كثير من هؤلاء  
اكثر العاما واشمل معرفة بمبادئ الاسلام ، واشد تشربا بالتعصب  
الاسلامي وكراهية الكفار ، منهم قبل ان يوءوا فريضة الحج " . وتحمل  
تقارير الحكومة الهولندية والمبشرين المسيحيين ، دليلا لامرأه فيه على  
تأثير هؤلاء الحجاج ، وحماستهم في نشر تعاليم الدعوة ، وكانوا  
يعودون الى اوطانهم مصلحين ودعاة في وقت واحد . والى جانب  
الحجاج الذين كانوا يقنعون بمجرد زيارة البقاع المقدسة ، وتأدية  
الشعائر اللازمة ، وهؤلاء الذين يقضون وقتا اطول هناك لا تمام  
دراساتهم الدينية ، نجد في مكة ، في الوقت الحاضر ، جالية كبيرة  
من اهالي الملايو ، الذين اتخذوا مقامهم في المدينة المقدسة  
الى الابد . وهؤلاء على اتصال دائم بمواطنيهم في اوطانهم . وكانت  
جهودهم في الغالب فعالة في تطهير الاسلام في ارخبيل الملايو  
من شوائب العادات الوثنية ووسائل التفكير الوثني التي بقيت من العهود  
القديمة . كذلك طبعت في مكة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية باللغات  
المختلفة التي يتكلمها مسلمو الملايو ، وارسلت الى كل جهات الارخبيل  
وفي الواقع ان تأثير مكة في الحياة الدينية في هذه الجزائر ، كما قيل  
بحق ، كان اقوى منه في تركيا او الهند او بخارى .

وكما كان من الممكن ان نتوقع اذا تأملنا هذه الحقائق ، نجد في السنين الاخيرة نهضة عظيمة جدا في نشاط الدعوة في ارجبيل الملايو ، واصبح الحجاج العائدون من مكة ، سواء اكانوا تجارا ام معلمين دينيين ، دعاة الى الاسلام في البقاع التي كانوا يتصلون فيها بالاهالي الوثنيين . اضاف الى ذلك ان الجماعات الدينية بسطت نظامها على ارجبيل الملايو ، بل لقد وجدت احدث هذه الجماعات عهدا ، وهي السنوسية ، اتبعا لها في اقصى هذه الجزائر ، ومما يدل على تأثيرها ان كثيرا من سكان الملايو يتسمون باسم سنوسي ، على حين كانوا في مكة يبدلون اسماءهم الوطنية بأخرى عربية .

وقد اتهم المبشرون المسيحيون الحكومة الهولندية بأنها تساعد على انتشار الاسلام . ومهما يكن من شيء ، فان من المحقق ان الذي سهل مهمة الدعاة المسلمين هو تلك الحقيقة ، وهي ان لغة الملايو ، التي لا يكاد يتكلمها الا المسلمون ، قد اتخذت اللغة الرسمية للحكومة الهولندية الا في جاوة . ولما كان موظفو الدولة من الهولنديين ( من غير العسكريين ) قد الحقوا في كل مكان بجمع حاشد من المسلمين الذين كانوا موظفين موءسين ، ورجالا في الهيئة السياسية ، وكتابة ، ومترجمين ، وتجارا ، حملوا الاسلام معهم الى كل مكان ينزلون فيه وكان حتما على كل الاشخاص الذين يربطهم بالحكومة عمل ما ، ان يتعلموا لغة الملايو ، وقلما كانوا يتعلمونها دون ان يصبحوا مسلمين في الوقت نفسه . وعلى هذا النحو ، اعتقد الاهالي ذوو النفوذ والسلطان الاسلام ، وبادرت البقية الباقية الى الاقتداء بهم . وبذلك يعمل الاسلام في الوقت الحاضر على طرد الوثنية من ارجبيل الملايو في سرعة .

## خاتمة

### دعاة المسلمين - عدم وجود هيئة منظمة لهم :

في العالم المسيحي الحديث، تتمثل مهمة التبشير في الجمعيات التبشيرية، والموكلين بالتبشير كفاء اجور يتقاضونها، والتبرعات والتقارير والصحف. ويبدو ان ( مشروع التبشير ) تسمية غير صحيحة متى كان مجردا من هيئة مؤلفة تأليفا منظما بصفة مستمرة. وقد روعي في تأليف هيئة الكنيسة المسيحية، منذ بدء تاريخها، نشر التعاليم المسيحية بين الكفار. وكان مبشروها، في اغلب الاحيان، قساوسة ورهبانا، يعينون لهذا الغرض بانتظام. وقد توافرت جماعات الاديان ( منذ قيام جماعة بندكت فالجماعات التي جاءت بعدها ) والجمعيات التبشيرية التي نجدها في ازمان احدث عهدا، على اتجاه خاص ينحصر في ترقية ادارة المهمة المسيحية التي اعترف منذ البدايات بأنها احدى واجبات الكنيسة الاساسية. اما في الاسلام فان عدم وجود اى لون من الوان الكهنوت او اية هيئة دينية منظمة ايا كانت، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى في صور مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ البعث التبشيرية المسيحية. فليس هنالك جمعيات للدعوة، ولا موكلون مدربون لهذا الغرض، كما انه قلما نجد مواصلة الجهود في هذه السبيل. ويظهر اننا لانستثني الا جماعات الاسلام الدينية، التي يشبه نظامها، الى حد ما، نظام جماعات الاديان في العالم المسيحي. ولكن حتى في تلك الجماعات الاسلامية، نجد ان عدم وجود فكرة عن نظام الكهنوت، او اية نظرية ترى فصل المعلم الديني عن عامة المؤمنين، او ترى ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية، والتصريح بها - كل ذلك يجعل

الاختلاف الاساسي في النظامين ، يظل قائما في كل مكان ، فـ في وضوح وجلاء .

### المهمة ملقاة على عاتق الافراد :

ومهما تكن المساوىء التي نجمت من حاجة المسلمين الى طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة ، فقد وجدوا ما يعرضهم عنها في ذلك الشعور الناشيء عن المسوءولية التي القيت على كواهل المؤمنين من الافراد . ولما لم يكن هنالك واسطة بين المسلم وربه ، كانت مسوءولية خلاصه الشخصي ملقاة على كاهله وحده ، وكان من اثر ذلك ان اصبحت المسلم ، كما جرت العادة ، اكثر تشددا واهتماما في ادائه واجباته الدينية ، واشد تحملا للمتعاب في سبيل تعلم مبادئ دينه وشعائره . وبذلك يوءثر ، وقد رسخت في ذهنه اهمية هذه الجاذب وتلك الشعائر لنفسه ، ان يصبح رمزا لخلق الداعي الى دينه بين يدي الكافر ولم يكن الساعي في نشر تعاليم الدعوة ، يحيل من ادخله في الدين الى بعض معلمي دينه الثقات ، الذي ربما يقبل الرجل حديث العهد بالايمان في زمرة المسلمين من الناحية الشكلية ، ولم يكن بحاجة الى الخوف من الرقابة الكنسية لارتكاب خطيئة قارون . وعلى ذلك ، مهما تكن المبالغة عظيمة في القول ، ومهما ردد الباحثون القول بأن كل مسلم داعية الى دينه ، يبقى هذا القول حقيقيا . وفي الحق ان قليلا من المسلمين المتمسكين بدينهم تمسكا صحيحا ، الذين يتصلون بالكفار يوميا يهملون ما اوصاهم به نبيهم " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " . ومن ثم نجد ، الى جانب ارباب الدعوة المحترفين — وهم المعلمون الدينيون الذين كرسوا وقتهم ونواحيي نشاطهم كله في مهمة الدعوة — اخبارا تاريخية لنشر العقيدة الاسلامية

تتضمن سجلا بأسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع ، من الملك الى الفلاح ، ومن كل الصنائع والحرف ، قاموا بأعمال ابتغاء نشر دينهم - والتاجر المسلم ، على خلاف اخيه المسيحي ، يظهر بنوع خاص بمظهر النشاط في امثال تلك الاعمال . ونجد في ثبت يتضمن اسماء دعاة الهنود ، نشر في صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية ، اسماء معلمي مدارس ، وكتاب للحكومة في مصلحتي القنصل والافيون ، وتجار ( وفيهم احد العملاء في عربات النقل بالجمال ) ومحرر احدى الصحف ، ومجلد كتب ، وعامل في مطبعة ، فخصى هوؤلاء الناس ساعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومي ، للدعوة الى دينهم في الضرقات واسواق المدن الهندية ، ملتصقين اجتذاب مسلمين جدد من بين المسيحيين والهندوكيين جميعا ، الذين كانوا يجادلونهم ويحملون على عقائدهم .

ومما يثير اهتمامنا ما نلاحظه من ان نشر الاسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم ، بل لقد قام النساء المسلمات ايضا بنصيبيهن في هذه المهمة الدينية ، فيرجع الفضل في اسلام كثير من امراء المغول التي تأثير زوجة مسلمة . ولا يبعد ان يكون مثل هذا التأثير سببا في اسلام كثير من الاتراك الوثنيين ، عندما كانوا قد اغاروا على الاقطار الاسلامية . وقد انشأ دعاة السنوسية الذين قدموا لنشر دعوتهم بين التوبو ، شمالي بحيرة شاد ، مدارس للبنات ، واستغلوا ما كانت تحدثه النساء من نفوذ قوى بين القبائل ( كما كان لهن هذا النفوذ بين جيرانهن من البربر ) ، فبذلوا جهودهم لجذبهن الى صفوف الاسلام . وفي افريقية الشرقية الالمانية ، دخل في الاسلام هوؤلاء الوثنيون الذين كانوا يتركون اوطانهم ستة اشهر او اكثر ، للعمل في

السكك الحديدية او الاعمال الزراعية ، على ايدي نساء مسلمات ،  
تعاقدوا معهن على زواج مؤقت ، فان اولاء النساء كن يرفضن ان  
يتعاملن في شيء مع كافر لم يختتن بعد ، فكان يعولتهن يتجنبون  
ذلك العار الذي كان يلحق مثل هذا اللقب ، بأن يختتنوا وبذلك  
يقبلون الدخول في الجماعة الاسلامية . وقد قيل ان تقدم الاسلام  
في بلاد الحبشة ، في خلال النصف الاول من القرن الماضي ، كان  
راجعا ، الى حد كبير ، الى ما بذله النساء المسلمات من الجهود ،  
وخاصة نساء الامراء المسيحيين ، الذين لم يكن بد من ان يتظاهروا  
بالتحول الى المسيحية ، عندما يتزوجون ، ولكنهم نشئوا ابناءهم  
على شعائر الاسلام ، وبذلوا كل ما استطاعوا في سبيل تقدم ذلك  
الدين . وتقيم على حدود الحبشة الغربية قبيلة وثنية تسمى  
البرن Boruns ، وقد دخل بعض افراد هذه القبيلة ، وكانوا قد  
انتظموا في سلك فصيلة من الزنوج ، تحت لواء الحكومة المصرية  
الانجليزية في السودان في الاسلام ، على ايدي نساء الجنود  
السود ، في الوقت الذي كانت فيه الكتيبة راجفة الى الخرطوم .  
ويقال ان نساء قران التتريات بوجه خاص ذوات فيرة ، باعتبارهن  
داعيات الى الاسلام . ولا تمنع المتمسكة بدينها ، من ان تحتل  
مكانها الى جانب الولي من الرجال في زمرة الداعين الى العقيدة  
اذا اتفق انها كانت امرأة . وان اسطورة النساء المقدسات ، اللاتي  
ينتمين الى علي ، واللاتي يقال انهن طرن في الهواء من كربلاء  
الى لاهور ، وانهن ظفرن بأول من تحول من الهند وكية السني  
الاسلام ، بفضل تأثير حياة الصلاة والصوم ، التي كن يحيينها في  
تبتل وخشوع ، كان من الصعب ان يكون لها اصل تاريخي ، لو ان تأثير



امثال اولاء النساء المقدسات كان امرا مجهولا تماما . ومن اضرحة القاهرة التي لقيت او في نصيب من التعظيم ، ضريح السيدة نفيسة ، حفيدة الحسن ( الذي مات شهيدا وهو ابن علي ) ، والتي اثار إعجاب الامام الشافعي نفسه ، احد من عاصروها من العظماء ، بتفقهها في الالهيات ، والتي رفعتها تقواها ، وتشفها الى مصاف الاولياء الصالحين . ويروى انها عندما استقرت في مصر اتفق انها اقامت بجوار اسرة من اهل الذمة ، وكانت لهم بنت مصابة بداء عضال ، بحيث لم تستطع ان تحرك اطرافها ، ولم يكن بد من ان ترقد على ظهرها طوال اليوم . ولزم الامران يذهب والدا هذه الفتاة المسكينة الى السوق ذات يوم ، فطلبا الى جارتهما المسلمة ان تنفذ ابنتهما الى اثناء تغييبهما . وياشرت نفيسة هذا العمل الانساني ، وهي مفعمة بالحب والرحمة . ولما ذهب والدا هذه الفتاة المريضة الى السوق ، سمت نفيسة بروحها ، وابتهلت الى الله ان يشفي هذه المريضة البائسة . ولم تك تدف من دعائها حتى استعادت الفتاة المريضة تحريك اطرافها واصبحت قادرة على ان تذهب للقاء ابويها عند عودتهما . وملا الشكر والامتنان قلوب افراد الاسرة جميعا ، فانتبهوا الى الدخول في ديانة تلك المرأة التي اسدت اليهم هذا الفضل .

حتى المسلم الاسير ، يفتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه واخوانه في الاسر الى دينه . وقد تسرب الاسلام الى اوربا الشرقية اول الامر بفضل ما قام به فقيه مسلم ، سيق اسيرا ، ربما في احدى الحروب التي نشبت بين الدولة البيزنطية وجيرانها المسلمين ، وجني به الى بلاد بتشنج Pechenegs في مستهل القرن الحادى عشر . وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الاسلام ، فاعتقدوه في

اخلاص ، حتى انه اخذ في الانتشار بين هذا الشعب . اما سائر  
التشجج الذين لم يكونوا قد قبلوا دين الاسلام ، فقد ارتابوا من تصرف  
مواطنيهم ، وانتهى بهم الامر الى نشوب القتال بينهم . وقاوم المسلمون  
وكان عددهم يبلغ نحو من اثني عشر الفا ، هجمات الكفار في نجاح ،  
مع ان هؤلاء كانوا اكثر منهم عددا بما يزيد على الضعفين . ودخلت  
فلول المهزومين بين المنتصرين . ولم تأت نهاية القرن الحادى عشر ،  
حتى كان الشعب بأسره قد اعتقد الاسلام ، وكان من بينهم مسلمون  
تعلموا الفقه والتوحيد . وفي عهد الامبراطور جهابحير ( ١٦٠٥ -  
١٦٢٨ ) كان هنالك عالم سني من علماء التوحيد يدعى الشيخ احمد  
مجدد ، وقد تميز بقدرته على مجادلة الشيعة في عقائدهم بنوع خاص .  
ولما كان هؤلاء مقربين الى البلاط في ذلك الحين ، نجحوا في ايداعه  
السجن بتهمة تافهة . وفي خلال السنتين اللتين قصاهما في الحبس ،  
ادخل في الاسلام عدة مئات من عبدة الاوثان الذين كانوا يرافقونه  
في هذا السجن نفسه . وفي سنوات احدث من ذلك ، قضت  
الحكومة البريطانية بنفي احد مولوية الهنود الى الجزائر اندمان نفيها  
مؤبدا ، لانه كان قد قام بنصيب فعال في مؤامرة دبرها الوهابيون  
سنة ١٨٦٤ ، وهناك ، ادخل هذا المولوى في الاسلام قبل وفاته  
كثيرا من المحكوم عليهم . وفي افريقية الوسطى ، حكم البلجيكيون  
على زعيم عربي بالاعدام ، ففضى ساعاته الاخيرة ، وهو يحاول ان يدخل  
في الاسلام ذلك المبشر المسيحي الذى كان قد ارسل اليه ليزجج  
اليه التعزيات الدينية .

عوامل نجاحهم : واذا كان المسلمون قد بلغوا مثل هذه الحماسة  
في نشر الدعوة الى حد انهم كانوا على استعداد للتحدث عنها

في مناسبة وفي غير مناسبة — كما يقول داوتي في حصافة ودقة ملاحظة ،  
” حدِيثهم دائما ( في غير زندقة ) عن الدين ، وفي هذا الحديث  
ما يذكرهم بما ترتاح اليه نفوسهم من التقوى والورع ” ، — فلنسر الآن  
بعض العوامل التي ساعدت على نجاحهم .

في مقدمة هذه الاسباب بساطة العقيدة الاسلامية ، لا اله الا الله  
محمد رسول الله . وكل ما يطلب من الذي يدخل في الاسلام ، قبول  
هاتين الشهادتين . وان تاريخ العقائد الاسلامية كله ، ليخفق في  
عرض اية محاولة من جانب المقامات الدينية ، لحمل جمهرة المؤمنين على  
الاحذ بأية اشارة منطوية في عبارات اكثر تديقا وتعقدا . ان هذه  
العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان ، ولا تشير في العادة  
مصاعب عقلية خاصة ، وانها لتدخل في نطاق احد دركات الفهم  
والفطنة . ولما كانت خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية ،  
كان من الممكن ان يشرحها اى فرد ، حتى اقل الناس خبرة بالعبارات  
الدينية النظرية . ويعبر الشطر الاول من هذه العقيدة عن مبدأ  
يكاد يقبله جميع الناس على انه فرض لا بد منه ، على حين يقوم الشطر  
الثاني منها على فكرة علاقة الناس بالله وهي مسألة تكاد تكون عامة شاملة  
كذلك ، بمعنى ان الله تعالى ، في فترات من تاريخ العالم ، قد وهب  
بعض تجلية على الخلق ، على لسان انبياء ملهمين . ولا يستطيع اى  
فرد ان يوضح ذلك ، اعني الطابع العقلي للعقيدة الاسلامية  
وما جنته من هذا الطابع من الفائدة في نشر الدعوة ، توضيحا يبعث  
على الاعجاب ، بأكثر مما وضحه البروفسور مونتيه في العبارات التالية :  
” الاسلام في جوهره دين عقلي ، بأوسع معاني هذه الكلمة من  
الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية . فان تعريف الاسـلوب

العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ، ينطبق عليها تمام الانطباق . والحق ان محمدا الذي كان متحمسا لدينه ، كما كان كذلك يمتلك فيرة الايمان ، و نار الاقتناع ، تلك الصفة القيمة التي بشها كثيرا جدا من اتباعه — قد عرّض حركته الاصلاحية على انها وحيي والهدام : على ان هذا النوع من الوحي ليس الا صورة من العرّض والتفسير ، وان لدينه كل العلامات التي تدل على انه مجموعة من العقائد قامت على اساس المنطق والعقل . وتتخلص العقيدة الاسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه ، اما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليللا لاروح فيه ، فنعتقد في الله وفي الحياة الآخرة . وهذان المبدأان هما اقل ما ينبغي للاعتقاد الديني ، وهما امران يستقران في نفس الرجل المتدين على اساس ثابت من العقل والمنطق ، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن وان بساطة هذه التعاليم ووضوحها على وجه التحقيق من اظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة الى الاسلام . ومما لا سبيل الى انكاره ان كثيرا من عقائد اللاهوت ونظمه ، وكثيرا من الخرافات كذلك ، من عبادة الالوية الى استخدام المسابح والتعاوين قد طعم به الجذع الرئيسي للعقيدة الاسلامية . ولكن على الرغم من التطور الخصب ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لتعاليم النبي ، حفظ القرآن منزلته من غير ان يطرأ عليه تغيير او تعديل ، باعتباره النقطة الاساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة ، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية ، في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول ، ومن العسير ان نجد في غير

الاسلام ما يفوق تلك المزايا . وان هذا الاخلاص كعبداً الدين الاساسي ، والبساطة الجوهرية في الصورة التي يصاغ فيها هذا الدين والدليل الذي كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعاً يلتهب حماسه وغيرة ، ان هذا كله يكون الاسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين . وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد ، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية ، ثم هي تبعا لذلك في متنازل ادراك الشخص العادي ، ان تمتلك ، وانها لتمتلك فعلا ، قوة عجيبة ، لاكتساب طريقها الى ضمائر الناس " .

ويرى الاسقف لفروي Lefroy ان " سر القوة الخارقة للعادة التي اظهرها الاسلام في ازهر عصوره في فتوحاته وتقدمه " كما من في ادراك هذا الدين وجود الله ، اكثر منه في وحدانيته ، قال : " ليس قولنا ان الله واحد بأعظم من قولنا انه موجود — بمعنى ان وجوده هو حقيقة الكون المطلقة — وان ارادته هي العليا — وان سيادته مطلقة — وان قوته لاتحد . . . وهذا معناه الايمان بأن هنالك ارادة مطلقة عليا لا تقاوم في وسط كل ما يغمر الكون من الاختلال والاضطراب والفساد الذي يجعله في صورة من الظلمة والوحشة تبعث على الفزع والرهبة ، كما ان معناه الايمان بان الرجل مسير طوع هذه الارادة ، يظهرها ، ويلتزم الطاعة لها — ولو انه من الضروري ان يأخذ في سبيل اظهار هذه الارادة بأسباب بسيطة بدائية جدا — وهذا هو الذي امد جحافل المسلمين بوسائل الفتح التي لا تقهر ، تلك التي بعثت فيهم روحا من الانقياد الحربي والنظام العسكري ، كما بعثت فيهم ازدياء الموت ، الامر الذي ربما لم نعرفه قط في اي نظام سابق .

وهذا هو الذى يعطينا في كلمة ، حسب ما نجده متمثلا في اية روح صادقة فعالة بين المسلمين ، ذلك العمود الفقري لآخلاقهم ، اعني ذلك الثبات في العزيمة والقوة في الارادة ، وذلك الصبر الذى لا يعرف سبيلا الى الشكوى ، والاستسلام لاشد المصائب واصعبها ، — كل ذلك قد ميز خيرانصار العقيدة وجعلهم " .

وانا قبل الذى يدخل في الاسلام هذه العقيدة البسيطة وتعلمها لم يكن بعد عندئذ من ان يتعلم فرائض الدين الخمس :

١- النطق بالشهادتين .

٢- واقام الصلوات الخمس في اوقاتها .

٣- وايتاء الزكاة .

٤- وصوم رمضان .

٥- والحج الى مكة .

وطالما اعترض بعض الناس على اداء هذا الغرض الاخير باعتباره بقية غريبة من بقايا الوثنية ، ظلت من جملة تعاليم النبي التي تدعو الى الوجدانية ، ولكن ينبغي الا يعزب عن الازهان ان الحج قد اقترن بابراهيم ، في نظر النبي ، وان رسالة النبي هي اعانة دين ابراهيم . ولكن فوق ذلك كله — وهنا تكون اهميته العليا في تاريخ نشر الدعوة في الاسلام — ينظم الحج اجتماع المؤمنين في كل سنة ، على اختلاف شعوبهم ولفاتهم ، من كافة انحاء العالم ، للصلاة في ذلك المكان المقدس ، الذى يولون وحوهم شطره في كل ساعة من ساعات عبادتهم الخاصة في اوطانهم النائية . ولم تستطع اية محاولة يقوم بها عاقرة اى دين ان تتصور وسيلة احسن من هذه الوسيلة تطبع في عقول المخلصين معنى حياتهم المشتركة ، واخوتهم التي ارتبطت بروابط

الدين . وفي ذلك المكان ، حيث نجد عملا ساميا من اعمال العبادة المشتركة ، نرى زنجي ساحل افريقية الغربي يلتقي بالصيني من اقصى الشرق ، ويتعرف التركي الرقيق المهذب على اخيه المسلم من اهل الجزائر المتوحشين الذين يسكنون ابعـد اطراف بحر الملايو . وفي هذا الوقت نفسه تتطلع قلوب المؤمنين في كافة انحاء العالم الاسلامي ، في عطف وحنين ، الى اخوانهم الاسعد حظا منهم ، الذين تجمعوا في المدينة المقدسة ، فيحتفلون في اوطانهم بعيد الاضحى ، او كما ( يسمى في تركيا ومصر ) عيد البيرام او العيـد الكبير . وان زيارتهم المدينة المقدسة قد اصبحت في نظر كثير من المسلمين ، التجربة التي حثتهم على الجهاد في سبيل الله ، وقد اوردنا في الصفحات السابقة اشارات متتابعة الى ما قامت به طبقة الحاجي من نصيب فعال في اعمال نشر الدعوة .

والى جانب نظام الحج ، نجد ايتاء الزكاة فرضا آخر يذكر المسلم دائما بقوله تعالى " انما المؤمنون اخوة " — وهي نظرية دينية تتحقق على ضرورة رائعة تبعث على الدهشة في المجتمع الاسلامي . وقلما تعجز عن ان تتجلى في اعمال الشفقة ازاء المسلم الجديد . ومهما يكن جنسه ولونه واسلافه ، فانه يقبل في زمرة المؤمنين ، ويتبوأ مكانه على قدم المساواة مع اقرانه المسلمين .

على انه ليس من الصواب ، ما زعمه بعض الكتاب الاوربيين من انه اذا كان عبد الرجل المسلم كافرا ، فان تحوله الى الاسلام يوءى الى تحرير رقبته . ذلك ان الشريعة الاسلامية تفتضي بأن دخول العبد في الاسلام ، لا يوءثر في حالة العبودية التي كان عليها من قبل . وتختلف حالة العبد المسلم اختلافا كبيرا تبعا لاخلاق مولاه . ولكن

الحربة هي جزاء التحول الى الاسلام في كثير من الحالات .  
وان العقول الورعة التعبة لتعترف حتى في الاسترقاق بهداية الله  
الى الدين الحق ، كما يروى عن الزوج الساكنين في بلاد النيل  
الاعلى ، الذين لقيهم داوتي في بلاد العرب . " لا يوجد في نفوس  
اولئك الافريقيين اى حقد من انهم صيروا عبيدا . . . حتى ولو ان  
سراق البشر القساة قد انتزعوهم من ذويهم . وكان العملاء الذين  
يدفعون ثمنهم ، يتخذونهم في بيوتهم ، ويختتن الذكور منهم — وان  
الذى حرر ارواحهم ، الحنين الطويل الى اوطانهم ، هو ان الله قد  
تفقدهم في مملتهم ، انهم يستطيعون ان يقولوا ان نعمة الله قد  
تداركتهم منذ ان دخلوا بفضلها في الدين المنقذ ، لذلك يبرون  
انهم في بلد خير من بلادهم ، فهم في ذلك البلد عتقاء الله ، وهم  
في بقاء تحيى حياة اكثر مدنية ، وهم في تربة الحرمين الشريفين ، وفي  
بلد محمد — لذلك يشكرون الله ان بيعت اجسادهم يوما ما ببيع الرقيق "  
كذلك نجد اداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم  
من التأثير سواء في جذب الناصر والاحتفاظ بالمسلمين منهم . وقد  
احسن مونتسكيو في قوله : " ان المرء لاشد ارتباطا بالدين الحافل  
بكثير من الشعائر ، منه بأى دين آخر اقل منه احتفالا بالشعائر ،  
وذلك لان المرء شديد التعلق بالامور التي تسيطر دائما على تفكيره " ،  
ان دين المسلم يتمثل دائما في مخيلته ، وفي الصلوات اليومية ، يتجلى  
هذا الدين في طريقة نسكية خاشعة مؤثرة ، لانستطيع ان نترك العابد  
والمشاهد كليهما غير متأثرين . يتحدث سعد بن الحسن ، احد  
يهود الاسكندرية ، الذى اعتقد الاسلام في سنة ١٢٣٨ م ، عن مشهد  
صلاة في الجمعة في مسجد باعتباره عاملا حاسما في تحوله الى الاسلام .  
في خلال مرض شديد كان قد انتابه ، رأى في المنام ان صوتا يأمره



بأن يجهر بالاسلام . " وعندما دخلت المسجد " ، ( ويستمر فسي حديثه الى ان يقول ) " ورأيت المسلمين يقفون صفوفًا كأنهم الملائكة ، سمعت هاتفا يقول ، هذه الجماعة هي التي اخبر الانبياء ( صلوات الله عليهم ) بقدمها . ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء استولى على شعور عميق من الرهبة . . . ولما ختم خطبته بالكلمات ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ، ولما بدأت الصلاة ، احسست بقوة تدفعني الى النهوض ، لان صفوف المسلمين بدت امامي كأنها صفوف الملائكة ، الذين يتجلى الله القدير في سجداتهم وركعاتهم ، ثم سمعت هاتفا يهتف بي : اذا كان الله قد تحدث مرتين الى بني اسرائيل في كل العصور ، فانه يتحدث الى هذه الجماعة في كل وقت من اوقات الصلاة ، وايقنت في نفسي اني خلقت لأكون مسلما " .

فاذا استطاع رينان ان يقول : " ما دخلت مسجدا قط ، دون ان تهزني عاطفة حادة ، او بعبارة اخرى ، دون ان يصيبني اسف محقق على انني لم اكن مسلما " ، كان من اليسير ان ندرك كيف ان منظر التاجر المسلم في صلاته ، وسجداته الكثيرة ، وعبادته للاله الذى لا يراه ، في سكينه واستغراق ، قد يوتر في الأقريني الوثني ، الذى وهب ادراكا قويا للقوى الخفية ، كما يقترن هذا الادراك عادة بدرجة منحطة من المدنية وقد يحفز حب الاستطلاع على البحث بطبيعة الحال . وان معارف الاسلام التي عرفها الناس على هذا النحو قد تجذب احيانا فردا يدخل في الاسلام ، كان من الممكن ان ينصرف عنه لو انه قدم اليه على صورة لا يرغب فيها ، باعتبارها هبة حرة . ولا حاجة

الى القول بأن صيام شهر رمضان جزء من دليل ثابت يدحض النظرية القائلة بأن الاسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق مواوئهم في ملذاتهم الشخصية ، وكما قال كارليل : " ان دينه ليس بالدين السهل : فانه بما فيه من صوم قاس ، وظهره ، وصيغ معقدة صارمة وصلوات خمس كل يوم ، وامسك عن شرب الخمر ، لم يفلح في ان يكون ديناً سهلاً " .

ولكن هؤلاء المسلمين يعنون بتلك الفرائض وغيرها من الشعائر الدينية . ولكن من غير ان يثقلوا بها كواهلهم ، او تجعلهم مغمورين في الحياة ، نجد اركان العقيدة الاسلامية تلتقي دون انقطاع ، تعبيراً ظاهراً في حياة المؤمن ، ومن ثم نجد ها ، بعد ان اصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية تشابكاً لا سبيل الى الفكك منه ، تجعل المسلم الفرد اماماً ومعلماً لعقيدته ، اكثر ، الى حد بعيد ، مما هي الحال مع انصار معظم الديانات الاخرى . ولما كانت عقيدته مصوغة في مثل هذه اللغة الموجزة البسيطة ، كانت لا تطلب من الذكاء الا قليلاً ، وان تحدث هذه الطقوس وواقعيتها ودقتها ليدع المؤمن لا يتخالج في نفسه الشك فيما هو مكلف بأداءه ، فاذا ادى هذه الواجبات ، اطمأن وجدانه الى انه قد انجز كل اوامر الشرع . وقد نجد الى حد بعيد ، في هذه الوحدة التي تربط بين النظامين العقلي والطقسي في هذا الدين ، سر السيطرة التي احدثها الاسلام على عقول الناس . " فاذا اردت ان تجذب اليك جماهير كبرى من الناس ، لقمهم الحقيقة في صورة حاسمة ، دقيقة واضحة ، وفي اسلوب مرئي محس " .

ومن الممكن ان نورد كثيراً من الظروف الاخرى التي ساعدت

على نجاح الدعوة الى الاسلام - وهي ظروف تتعلق بازمان معينة وبلاد خاصة . ويمكن ان نذكر من بين هذه الظروف تلك الغائصة التي تستند لها اعمال الدعوة الاسلامية من هذه الحقيقة ، وهي ان هذه الدعوة كانت الى حد كبير في ايدى التجار ، وخاصة في افريقية وبلاد اخرى غير متمدنة ، حيث نرى الاجنبي موضع الريبة والشك بطبيعة الحال من اهالي هذه البلاد . ففي حالة التاجر ، نجد مهنته المعروفة التي لا ضرر فيها ، تضمن له مناعة من اى احساس بمثل هذه الريبة ، على حين نرى خبرته بالناس والاخلاق ، وحنكته التجارية في معاملة الناس تنيلانه قبولاً حسناً ، وتزيلان ذلك الشعور بالضيق الذى قد ينشأ بطبيعة الحال من وجود الغريب . وهو لا يقع في تلك المساوىء التي تعرقل مهمة الداعي المحترف ، الذى يكون معرضاً لان يتهم ببعض الدوافع الشريرة ، من جانب الشعب الذى نجد درجة خبرته وأفقه العقلي محدودين ، والذى يرى ان فكرة اى شخص يتحمل اخطار سفر طويل ، ويطرح جانبا كل المشاغل الدنيوية لغرض واحد ، هو ان يظفر بقوم يدخلهم في دعوته ، امرغاض لا سبيل الى تفسيره ، بل من جانب قوم من العالم اكثر تمدناً وحضارة على اتم استعداد للشك في اخلاص هؤلاء الذين عهد اليهم في نشر الدعوة من المأجورين .

وتختلف الظروف جد الاختلاف ، حينما لم يكن هنالك من سبيل من ان يظهر الاسلام في مظهر الضارع المتوسل في البلد الغريب ، ولكنه يمثل دين الجنس الحاكم في عزة وكبرياء . وقد بينا في الصفحات السابقة ان نظرية العقيدة الاسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع اتباع الديانات الاخرى ، اولئك الذين يؤدون

الجزية كفاء حمايتهم . وعلى الرغم من ان صفحات التاريخ الاسلامي قد تلوثت بدما\* كثير من الاضطهادات القاسية ، ظل الكفار ، على وجه الاجمال ، ينعمون في ظل الحكم الاسلامي بدرجة من التسامح لم تكن نجد لها مثيلا في اوربا حتى عصور حديثة جدا ، وان التحويل الى الاسلام عن طريق الاكراه محرم ، طبقا لتعاليم القرآن : " لا اكراه في الدين " ( سورة ٢ آية ٢٥٧ ) . " افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله " ( سورة ١٠ آية ٩٩ ، ١٠٠ ) ، وان مجرد وجود كثير جدا من الفرق والجماعات المسيحية في الاقطار التي ظلت قرونا في ظل الحكم الاسلامي ، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون ، كما يدل على ان الاضطهادات التي كانوا يدعون النبي معاناتها بأيدي الطفافة والمتعصبين ، انما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة واقليمية ، اكثر من ان تكون منبعثة عن مبدأ مقرر من التعصب .

وفي امثال تلك الازمان التي حدث فيها الاضطهاد ، كان ضغط الظروف يدفع كثيرا من الكفار الى ان يصبحوا — من الناحية الشكلية على الاقل — مسلمين ، ويمكن ايراد كثير من الامثلة عن افراد اكرهوا في مناسبات خاصة على الاندماج في الدين ولكن مثل هذا التمسك لم يكن بموافقة الشرع الاسلامي في شيء ، سواء منه الذي والمدني وقد ذكرنا من قبل الآيات القرآنية التي تنهى عن الاكراه في الدين ، وتوصي بالدعوة باعتبارها الوسيلة الشرعية الوحيدة لنشر هذه العقيدة ، ويؤيد هذا المبدأ نفسه ما قرره الائمة من المسلمين . ولما هرب موسى بن ميمون ، الذي كان قد تظاهر بالدخول في الاسلام في عهد الموحديين ، الذين كان حكمهم ينطوى

على التعصب الديني ، الى مصر ، واعلن هنالك امام الملا ان يهودى اتهمه احد فقهاء المسلمين من اسبانيا ، بالارتداد عن الاسلام ، وطلب بأن يوقع عليه اقصى عقوبة يقضي بها الشرع لهذا الجرم . ولكن القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي ، وهو من اشهر قضاة المسلمين ، وكبير وزراء صلاح الدين العظيم ، الفى هذا الحكم ، واعلن بصفة جازمة ، ان رجلا قد ارغم على الدخول في الاسلام ، لا يصح شرعا ان يعد مسلما ، وبهذه الروح نفسها ، نجد غازان ( ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م ) ، عندما اكتشف ان عبدة البوذية الذين كانوا قد دخلوا في الاسلام في مستهل حكمه ( حينما خربت معابدهم ) لم يتحولوا الى هذا الدين الا تظاهرا ونفاقا ، يسمح لجميع هؤلاء الذين كانوا جد راغبين في العودة الى التبت ، حيث يستردون حرمتهم مرة اخرى بين مواطنيهم البوذيين ، ويتبعون ديانتهم القديمة . ويقص لنا تافر نيير قصة ماثلة عن بعض يهود اصفهان الذين كان الحاكم قد اضطهدهم اضطهادا شديدا الى حد انه " جعلهم يتحولون الى الاسلام بالقوة والخديعة كليهما ، ولكن الملك ( الشاه عباس الثاني ) ( ١٦٤٢ - ١٦٦٧ ) ادرك ان القوة والرغبة وحدهما قد ارغمتاهم على هذا التحول ، فاذن لهم ان يستردوا ديانتهم وان يعيشوا في هدوء وامان " . وتدلنا قصة ذكرها رحالة في فارس يرجع الى عهد اقدم من ذلك بكثير ، الى سنة ١٤٧٨ كيف عكف احد حكام المسلمين ، في تلك الازمان المضطربة ، على القضاء على سورة من التعصب من هذا النوع نفسه في شدة وعنف . بينما كان تاجر ارمني موسر جالسا في حانوته ذات يوم ، قدم عليه حاجي ، كان مشهور بالتقوى والصلاح ، وألح عليه ان يدخل في الاسلام ، وينبذ المسيحية . ولما

يعرب التاجر عن نيته في ان يظل ثابتا على دينه ، وقدم له صدقة ،  
رغبة في ان يتخلص منه ، اجابه بأنه لا يريد صدقته ، وانما يريد  
ان يتحول الى الاسلام . واخيرا ضاق الحاجي ذرعا باصرار التاجر  
على الرفض ، فاختطف فجأة سيفا من يد احد المشاهدين ، وضرب  
التاجر على رأسه ضربة قاضية ، تم لان بالفرار . ولما سمع حاكم  
المدينة الخبر ، استشاط غضبا ، وامر بأن يقتفى اثر القاتل ويودع  
في السجن . وحيء بالمذنب بين يدي الحاكم ، فطعنه بيده طعنة  
قضت عليه وامر بأن تلقى جثته نهبا للكلاب ، وقال : " ماذا ، ابهذه  
الطريقة ينتشر دين محمد ؟ " . ولما رخص الليل سدوله اخذ  
عامة الشعب هذه الجثة وحرقوها ، ومن ثم ثار سخط الحاكم لهذا  
التحقير لاوامره . فأسلم هذا المكان الى عساكره ينهبونه ثلاث ساعات  
او اربعا ، ثم فرض غرامة امعانا في العقاب . وكذلك استقدم اليه  
ابن التاجر وعزاه ولاطفه بعبارات طيبة رقيقة ، حتى الحاكم المجنون  
( ٩٩٦ - ١٠٢٠ م ) ( ٣٨٦ - ٤١١ هـ ) الذي حملت اظهاداته  
كثيرا من اليهود والمسيحيين على ان يتركوا دينهم ويدخلوا في الاسلام  
قد سمح فيما بعد لهؤلاء الذين تحولوا الى الاسلام عن غير رغبة  
ان يعودوا مرة اخرى الى دينهم ، وان يعيدوا بناء اماكن عبادتهم  
المخرية . ولما كان المسيحيون الشرقيون يلقون اهمالا من جانب  
اخوانهم المسيحيين في الغرب ، وكانوا في الاغلب الاعم عزلا من اى  
سلاح ، كما كانوا غير محميين على الاطلاق ، كان يكون من السهل على  
اى حاكم من حكام الاسلام الاقوياء ، ان يستأصل شأفة رعاياه المسيحيين  
او ينفذهم من بلادهم . كما فعل الاسبان بالعرب ، والانجليز باليهود  
مدة اربعة قرون تقريبا . وكان من الممكن تماما ان ينفذ سليم الاول ( في  
سنة ١٥١٤ ) او ابراهيم ( في سنة ١٦٤٦ ) تلك الفكرة البربرية التي

تصورها للقضاء على رعاياهم المسيحيين ، كالذى صنعه الاول من ذبح  
... . شيعي لتدعيم وحدة العقيدة الدينية بين رعاياه المسلمين .  
وان طبقة المفتي الذين صرفوا اذهان ساداتهم عن مثل هذا الغرض  
الذى ينطوى على القسوة ، انما فعلوا ذلك باعتبارهم ائمة الشريعة  
الاسلامية والتسامح الاسلامي .

اضف الى ذلك انه على الرغم من ان المبدأ الذى وجد  
قبولا عظيما في ألمانيا في القرن السابع عشر — وهو ان لكل منطقة  
دينها الخاص — لم يقبله قط اى عاهل مسلم ، فمن الواضح ان هذه  
الحقيقة ، وهي ان الاسلام دين الدولة لم تعجز في انها قد  
احدثت بعض التأثير في زيادة عدد انصاره . وان الاشخاص الذين  
لم تتغلغل العقيدة الدينية في نفوسهم قد يكونون على استعداد  
للتأثر باعتبارات المنافع الدنيوية ، وقد يقوم الطموح والمصلحة  
الشخصية مقام بواعث اكثر قبولا واستحسانا للتحويل الى الاسلام .  
وقد شيكا القديس اوغسطين من مثل ذلك في القرن التاسع ، فذكر  
ان كثيرا من الناس دخلوا في الكنيسة المسيحية ، لا لشيء الا لانهم  
املوا في الحصول على بعض المنافع المادية باعتقادهم المسيحية ،  
قال : " ما اكثر الذين لا يسعون الى المسيح الا لفرض واحد ،  
هو ان يجنوا من وراء ذلك منفعة لهم ، حسب ما تقتضيه ظروف كل  
منهم ، يكون لاحد هم مهمة ما فيسعى الى رجال الدين ليحظى منهم  
بالكلمة الصالحة ، ويهرع آخر الى الكنيسة يطلب منها الحماية من  
زميل له ، اكثر منه اعتادا وقوة ، قد ضيق عليه الخناق ، ويرمي آخر  
بذلك الى توسط زميل له بعض الجاه والسلطان ، لمصلحته  
الشخصية . ولهذا حجتة ، ولذاك حجتة . ان الكنيسة تمتلئ كل يوم  
بأمثال هؤلاء " .

زد على ذلك ايضا ، ان الاسلام لا بد ان يكون قد بدا في  
نظر القبائل المتبربرة وغير المتمدنة التي شاهدت مجد الامبراطورية  
العربية وعظمتها في اوج قوتها ، بمثل ذلك التأثير والسحر اللذين  
بدت بهما المسيحية حين عرضت على برابرة اوربا الشمالية ، "عندما  
وجدوا المسيحية في الامبراطورية - تلك المسيحية المهذبة المعقدة  
التي تعتمد على الابهة وجلال النفوذ والسلطان - دينا ليس التاج  
الى جانب الملوك ، وقد يتفوق عليهم في السيطرة في بعض الاحيان".  
ومما يجب ان نزيده على ما تقدم ، هذا التأثير البطيء  
الدائم ، الذي احده الاتصال اليومي بالحياة الاسلامية والتفكير  
الاسلامي . . مما جعل حتى احد الكتاب النساطرة في القرن الثاني  
عشر ، يضيف كلمات التبجيل والتقدير الى اسم النبي والخلفاء الاولين  
كلما عرض لذكرهم ، ويستنزل رحمة الله على عمر بن عبد العزيز . وفي  
عصور حديثة ، يشكو المبشرون المسيحيون من ان نظام التعليم العام  
في مصر في ظل الاحتلال البريطاني ، ذلك النظام الذي " يضطر  
الاولاد المسيحيون غالبا بمقتضاه الى ان يجلسوا ويستمعوا للقرآن  
والدين ( اى الدروس الدينية ) وهما يدرسان لرفاقهم المسلمين ، على  
حين لا يوجد مكان يمكن عزلهم فيه " ، انما يميل الى منح المسلمين  
نفوذا راجحا على اخوانهم التلاميذ المسيحيين . ومن انشط اتباع  
محمد عبده المفتي الاخير رجل كان في الاصل طالبا قبليا يدرس الطب  
ثم تحول الى الاسلام بتأثير التعليم الديني الذي كان قد سمعه يلقي  
في ساعات الدرس بالمدرسة .

ولكن سرد امثال هذه البواعث التافهة يفسر كل حالات التحول  
الى هذا الدين او الى غيره من الاديان . وينبغي الا تجعلنا هذه  
البواعث نغض النظر عن العوامل الاخرى في حياة الدعوة الى الاسلام



التي كان لتأثيرها طابع ديني اكثر تميزا ووضوحا . وفي مقدمة هذه العوامل تأثير حياة الورع والتقوى التي يحياها المسلمون . وقد يبدو ذلك غريبا في نظر جيل تعود ان ينظر الى الاسلام على انه مستودع لكل الوان الرذيلة ، ومع ذلك لا مراء في ان كثيرا من المسيحيين في عصور اقدم من ذلك ، اتصلوا بمجتمع اسلامي حي ، وتأثروا تأثرا عميقا بما تجلى في هذا المجتمع من فضائل . وانا كانت هذه الفضائل قد اثرت كذلك في الرحالة وفي الغريب ، فلا شك في انه كان لها بعض التأثير في جذب الكافر الذي اصبح يتصل بهم اتصالا يوميا . من ذلك نجد ركلدوس دي مونت كروسيوس Ricoldus de Monte Crusis ، وهو مبشر دومينيقي زار الشرق في نهاية القرن الثالث عشر ، ينطلق بالثناء على المسلمين الذين كان قد اشتغل بين اظههم ، يقول : " استولى علينا الدهش ، كيف ان اعمالا تتصف بمثل هذا الكمال يمكن ان تحيا في ظل شريعة تصطبغ بمثل هذه النزعة اللاحادية . لهذا نستعيد الآن في ايجاز اعمال العرب تلك المتصفة بالكمال . . . من ذا الذي لا يعجب اذا تأمل جيدا اية عناية فائقة بالدراسة يمكن ان توجد بين العرب ، اى اخلاص في الصلاة ، واية رحمة بالفقير ، واية تجيل لاسم الله والانبياء والاماكن المقدسة . واية وقار في اخلاقهم ، وفي معاملتهم للغرباء ، واية مودة تربط بين جنسهم ؟ وعلى هذا النحو امتدح وليم بتي اف نيوبره William Petit of Newburgh حول نهاية القرن الثاني عشر ، رزاة العرب باعتبارها مظهرا من تعاليم نبيهم ، وموحية اليهم بمعنى من التفوق الخلقي على المسيحيين ، قال : " ولما كان محمد يبغض السكارى والنهمين في جميع انحاء الارض ، فانه

قد علمهم العفة والقناعة ، وقبح الطيب من الطعام ، ونهاهم عن شرب الخمر الا في اعياد محددة قليلة . ولذلك نرى العرب ، وان كانوا حقيقة مستسلمين لشهواتهم الجنسية ، متبعين في ذلك - كما قيل - سنة ذلك الذي اغواهم ، الا انه من المحزن ان نقول انهم اكثر عفة وارجح منزلة من رجالنا المسيحيين . وهم آخذون علينا ، باللعنار ، قذارتنا بسبب نهمنا وادماننا تناول المسكرات . ولما سمح صلاح الدين اخيرا ، اثناء اختباره احوال شعبنا ، وكان صلاح الدين المعول الهدام لاسم المسيحيين منذ عشر سنوات خلت ، انهم يستخدمون بعض الاطباق عند تناول الطعام ، يروى انه قال ان امثال هذه الآنية تعد عارا على الارض المقدسة . ومن ذلك يتضح ان مظهر مجدنا يثير علينا العرب الذين يباهون باقتصادهم ، كما انه يشجعهم ، كأن لسان حالهم يقول " قد نبذ الله السكارى ، فلنقتف آثارهم ، ونلق القبض عليهم ، ماداموا لا يجدون منفذا لهم " .

وادب الصليبيين غنى بمثل هذا التقدير للفضائل الاسلامية ، كما تلقى الاتراك العثمانيون في ايام حكمهم الاولي في اوربا ، كثيرا من تقدمات المدح والثناء من افواه المسيحيين ، كما بينا ذلك في احد ابواب هذا الكتاب .

وهنالک في الوقت الحاضر عاملان رئيسان ( فوق ما ذكرنا آنفا مما يصح ان يُؤيد وجهة نظرنا ) يعملان على تنشيط الدعوة في العالم الاسلامي . اولهما انتعاش الحياة الدينية التي يبدأ تاريخها من حركة الاصلاح الوهابية في نهاية القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من ان هذا الانتقال الجديد قد فقد كل معنى سياسي في خاراج حدود نجد زمانا طويلا ، نرى تأثيرها من حيث هي نهضة دينية

لموسا في كافة انحاء افريقية والهند وارخبيل الملايو ، حتى السى  
الوقت الحاضر ، كما احييت كثيرا من الحركات التي احرزت قصب السبق  
بين اقوى المؤثرات في العالم الاسلامي . وقد اوضحنا في الصفحات  
السابقة كيف ان كثيرا من البعثات الاسلامية الحديثة ، يرتبط ارتباطا  
وثيقا بتلك الحركة الواسعة النطاق ، وان ما اثارته هذه الحركة من  
حماسة متقدة ، وما سكبته في النظم الدينية القائمة من حياة جديدة ،  
وما بنته في الدراسة الدينية النظرية وتنظيم الشعائر المنسكية من روح  
دافعة — ان ذلك كله قد عمل على ايقاظ روح الاسلام الفطرية التي  
جبلت على نشر تعاليم الدعوة ، كما عمل على الابقاء عليها .  
وهناك عامل آخر يسير مع هذه الحركة الاصلاحية جنب السى  
جنب ، وهو من نوع يختلف عن هذه الحركة جد الاختلاف — ذلك انه ،  
ولن نذكر الا وجهة واحدة من هذا الاختلاف ، في الوقت الذي نجد  
فيه الحركة الوهابية تناهض الحضارة الاوربية مناهضة عنيفة ، ترى العامل  
الثاني ينزع نوعا ما الى التفكير الحديث ، ويقدم صورة الاسلام بما يتمشى  
مع هذه النزعة — ذلك هو حركة الوحدة الاسلامية التي تسعى الى ربط  
جميع شعوب العالم الاسلامي برباط مشترك من المودة والتعاطف . وعلى  
الرغم من ان هذا لا يساوى بحال العامل الاخر في الهمية ، نجد  
هذا الاتجاه الى التفكير ، يهب روحا قوية تدفع الى القيام باعمال  
نشر الدعوة ، وان الجهد الذي يحقق في الحياة الدنيا المثل الاسلامي  
الاعلى في اخوة المؤمنين كافة لينعكس على مثل العقيدة العليسا  
المكلمة ، وان معنى وحدة شاملة ، وحياة مشتركة تجرى في هذه الشعوب  
لينفخ في قلوب المؤمنين روحا وحياة ، ويخلق فيها الجرأة على  
التحدث بين يدي الكفار .

اما معرفة ما ستحدثه هاتان الحركتان من تأثير ابعد مدى  
في حياة الدعوة الاسلامية فان المستقبل وحده كفيل ببيان ذلك .  
على ان مجرد نشاطهم في الوقت الحاضر دليل على ان الاسلام لم  
يمت . ولم يكن النشاط الروحي للاسلام ، كما زعم عدد كبير جدا  
من الناس ، متمشيا مع سلطانه السياسي . بل على العكس من ذلك  
نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي ، يعمل على ابراز  
اجمل الصفات الروحية التي تعد اصدق البواعث التي تحفز على القيام  
بأعمال الدعوة . وقد تعلم الاسلام منافع الشدائد ، ولما كان بعيدا  
كل البعد عن الانحدار الى الرخاء المادي لكونه نذير انحلال  
هذا الدين ، كان من المهم ان تلك البلاد الاسلامية الخالصة  
التي عاشت اطول وقت في ظل الحكم المسيحي ، تتجلى كأشهاد  
ما تكون نشاطا في القيام بنشر تعاليم الدعوة . ويظهر مسلمو الهند  
والملايو من الحماسة والغيرة في نشر الدين ما لا نجد في تركيب  
او في مراكش .

\*\*\*\*

## تاريخ الاسلام في روسيا

=====

وقد حاول شعب آخر جذب الروس الى الاسلام قبل ذلك بسنين كثيرة ، ولكنه اخفق كذلك ، وهو ءلاء هم البلغار من المسلمين الذين وجدوا حول القرن العاشر الميلادي على ضفاف نهر الفلجس ، والذين قد يرجع الفضل في اسلامهم الى تجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية . على انه يظهر ان دخول البلغار في الاسلام لا بد ان يكون قد تم قبل سنة ٩٢١ م ، حين ارسل اليهم الخليفة المعتدر ( ٩٠٨ - ٩٣٢ م ) ( ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ ) رسولا من قبله يقـوم بتثبيتهم على الدين وتعليمهم مبادئ الاسلام وشعائره .

وقد حاول هو ءلاء البلغار تحويل فلاد يمير Vladimir ملك روسيا في ذلك الحين ( الذي تحدثنا الرواية الروسية ) ، انه رأى انه لم يكن بد من ان يختار دينا آخر فير الدين الوثني الذي كان يدين به . ولم يقف في سبيل تحوله هو ورعاياه الى هذا الدين الا الختان وتحريم الخمر المستعملين عند المسلمين ، وصرح ان الروس لا يعدلون عنهما ، لانهما كانا من مباحج الحياة عندهم . وكذلك ابتلي بهذا الاخفاق اليهود الذين جاءوا من بلاد الخزر على بحر قزوين ، واستمالوا ملك هو ءلاء الروس الى الديانة الموسوية . وبعد ان اصرى فلاد يمير الى حججهم ، سألهم اين بلدهم ؟ فأجابوا " بيت المقدس ، ولكن الله شئت شملنا في كافة انحاء العالم فضبا منه علينا " ، فصاح " اذا فقد بوءتم بلعنة من الله ، ومع ذلك فأنتم تريدون ان تعلموا غيركم . اذهبوا ، فنحن لانريد مثلكم الا يكـون

لنا وطن " . وكان احسن ما اثر في نفس فلاديمير تلك الفكرة التي رسمها قسيس افريقي ، حين عرض صورة شاملة لتعاليم المسيحية ، بعد ان نقد الديانات الاخرى نقدا موجزا ، بادئا بخلق العالم وقصة فناء الانسان ، وانتهى بالمجامع السبع المسكونية التي اعترفت بها الكنيسة الاغريقية ، ثم رسم الملك صورة ليوم الدين ، ودخول الصالحين الجنة ، وقذف الكفار في الجحيم ، ووعد بميراث السماء اذا عمد . ولكن فلاديمير لم يكن يميل الى الاندفاع في اختيار دين يحل محل دينه الوثني ، ومن ثم جمع زعماء الروس في دولته . ولما انهم اليهم ما سمعه عن الديانات المختلفة ، سألهم ان يمدوه بنصائحهم ، فأجابوا : " ايها الامير ، ان كل امرئ يمتدح ديانتها فاذا اردت ان تختار احسنها ، فابعث برجال عقلاء الى البلاد المختلفة ليكشفوا لك اية امة من الامم تعظم الله بالطريقة المثلى التي تليق بمقامه الأسمى " . لذلك اختار الامير لهذا الغرض عشرة رجال اشتهروا بالحكمة وسداد الرأي . ووجد هؤلاء السفراء بين البلغار اماكن حقيرة المظهر ، وصلوات تبعث على الكآبة ، ووجوها واجمة ، ووجدوا بين الالمان الكاثوليك حفلات دينية خالية من الابهة والجلال . واخيرا بلغوا القسطنطينية : فقال الامبراطور : " دعهم يشاهدوا جلال الهنا " ، ثم اخذوا الى كنيسة ايا صوفيا ، حيث كان البطريق ، وهو مرتد ملابسه الرسمية يحتفل بالقداس . وان فخامة البناء ، وملابس القسيسين الكهنوتية الجميلة ، وزخارف المذابح ، ورائحة البخور الزكية ، وسكون الناس المنبعث عن الاحترام والخضوع ، والاحتفال الديني السحري الذي يتجلى في هيبة وخشوع — كل ذلك ملاء قلوب الروس دهشا وعجبا .

وقد بدا لهم ان هذه الكنيسة لابد ان تكون مقام العلى الاسمى ،  
وانه سبحانه اظهر للبشر مجده في ذلك المكان . ولما عاد الرسل  
الى كيبف ، وصفوا سفارتهم للامير ، وتكلموا في احتقار عن ديانة  
النبي ، ولم يكن لديهم ما يقولونه الا القليل عن الديانة الرومانية  
الكاثوليكية ، ولكنهم امتدحوا الكنيسة الاغريقية في حماسة وغيره وقالوا :  
” ان كل رجل ذاق شربة حلوة ، سوف يعاف من الآن ، اى شراب  
مر المذاق . ومن اجل هذا ، لانرغب — بعد ان وقفنا على عقيدة  
الكنيسة الاغريقية — في اية ديانة اخرى ” . وقد استشار فلاديمير  
زعما الروس مرة اخرى ، فقالوا له : لو لم تكن الديانة الاغريقية  
احسن الديانات ، لما اعتقدتها ابدا جدتك اولجا ، احكم البشر .  
ومن ثم لم يعد فلاديمير مترددا . وفي سنة ١٩٨٨ م جهر بالمسيحية  
وفي اليوم التالي لتعميده نبذ الاوثان التي عبدها اجداده ، وصادر  
مرسوما يقضي بأن يدعن الروس كافة ، سادة وعبدا ، اغنياء  
وفقراء ، للتعميد وفق طقوس الديانة المسيحية .

وهكذا اصبحت المسيحية ديانة الروس . فانه بعد الفتح المغولي  
وجد الصفات القومية التي تميز بها الروس والتتار ، الذين احتفظوا  
الى الآن بعنصرين منفصلين احدهما عن الآخر ، وما اضروه من  
كراهة مبررة للسلطان التتارى ، واخلاص الروس لدينهم ، ونقص  
الغيرة الدينية عند التتار — نجد ذلك كله قد جعل الجنس  
المحكوم بعبدا عن اعتقاد ديانة هؤلاء الذين فتحوا بلاده . وقد  
زعم بعض ان تحريم الشريعة الاسلامية الخمر كان عقبة في سبيل اعتقاد  
اهالي روسيا هذا الدين .

ويظهر انه لم تكن هنالك حالات عن تحول بعض الروس الى  
الاسلام ، الا بعد ان صدر في سنة ١٩٠٥ مرسوم ينص على التسامح

الديني في كافة ارجاء الامبراطورية الروسية ، وما تلا ذلك مسن  
دعاية نشيطة قام بها المسلمون . وان ما حدث من هذه الحالات  
يعزى الى قوة التأثير الناتجة من المساعدة المادية التي قدمها  
التتار الى هؤلاء الداخلين في الاسلام ، كما يعزى الى القوة  
المعنوية التي تميز بها المسلمون انفسهم .  
ولم يكن تتار بلاد روسيا مجتمعين غير عاملين على تقدم  
انتشار الاسلام في القرون السابقة ، فان السحنة الهلينية الواضحة  
التي تشاهد بين هؤلاء الذين يطلق عليهم اسم تتار القرم ، ادت  
الى الظن بأن هؤلاء المسلمين قد ادمجوا في مجتمعهم الاهالي  
من الاغريق والاطاليين الذين وجدوهم قد استوطنوا شبه جزيرة  
القرم . كما نجد بينهم اسلافهم الذين دخلوا في الاسلام من  
الاهالي الوطنيين في هذه البلاد ، ومن سكان مستعمرة جنوه .  
ويحدثنا احد الرحالين في القرن السابع عشر الميلادي ان -  
تتار القرم كانوا يبذلون جهودهم لحث مواليتهم على الدخول  
في الاسلام ، وانهم جذبوا كثيرين منهم الى هذا الدين ، بما  
كانوا يعدونهم اياه من منحهم الحرية اذا استجابوا لرغباتهم .  
وكذلك نشطت الدعوة الى الاسلام بين تتار القرم بعد ان صدر  
مرسوم حرية التدين في سنة ١٩٠٥ .  
ولا بأس من ان نشير هنا اشارة موجزة الى التتار في لتوانيا ،  
حيث استقرت جماعات صغيرة منهم منذ اوائل القرن الخامس عشر .  
وقد احتفظ هؤلاء المهاجرون المسلمون ، الذين اقاموا بين الاهليين  
من المسيحيين ، بدينهم القديم . ولكن يظهر انهم ( وقد يكون  
ذلك لاسباب سياسية ) لم يحاولوا ان يعلموهم مبادئ هذا الدين



بيد انهم اعتادوا ان يتزوجوا من اللتوانيات والبولنديات ، اللاتي  
نشأ ابناؤهن نشأة اسلامية ، ولم يسمح لاية مسلمة ان تتزوج من  
مسيحي . وشجع كبار دوقات لتوانيا زواج النساء المسيحيات من  
رجال جنودهم التتارية ، الذين قدموا اليهم هبات من الارض ، ومنحوهم  
مزايا اخرى .

ومن اغرب الحوادث في تاريخ الدعوة الى الاسلام ، ما كان من  
تحول القرغيز في بلاد آسيا الوسطى على ايدى علماء التتار  
( المليات ) الذين نشروا الاسلام بينهم في القرن الثامن عشر ،  
باعتبار انهم دعاة من قبل الحكومة الروسية . وقد اخذ القرغيز  
ينضمون تحت لواء الروس حول سنة ١٧٣١ م ، وتبدلت الرسائل  
السياسية معهم كافة باللغة التتارية قرابة ١٢٠ سنة ، واهمين انهم  
كانوا يشبهون تتار الفلجا من ناحية السلالة البشرية وهناك نوع آخر  
من سوء الفهم من ناحية الحكومة الروسية ، وهو ان القرغيز كانوا  
مسلمين ، على حين كانوا في القرن الثامن عشر جميعا ، على وجه  
التقريب ، يدينون بالشامانية ، حيث كان عدد كبير منهم لا يزالون  
يدينون بهذا الدين حتى منتصف القرن التاسع عشر . وفي القرن  
الذي ضمت فيه بلادهم الى الامبراطورية الروسية ، عدا قليل من  
خاناتهم وسلطينهم ، كانت لهم معرفة ما بالدين الاسلامي — وكانت  
هذه المعرفة على درجة كبيرة من الاختلاط والغموض . ولم يجد  
احد مسجدا واحدا في ارجاء سهول القرغيز كافة ، كما لم يكن  
هناك اى معلم ديني يقوم بتعليم دين النبي . ويدين القرغيز بدخولهم  
في الاسلام الى هذه الحقيقة ، وهي ان الروس الذين عدوهم  
مسلمين ، اصرروا على معاملتهم كما لو كانوا كذلك . وقد منحوا

الاموال الضخمة لبناء المساجد ، وارسل عدد كبير من ( الملييات )  
لانشاء المدارس وتعليم الاطفال مبادئ الاسلام . وكان علماء القرغيز  
يتسلمون في كل يوم مقدارا صغيرا من النقود يقوم بنفقتهم ، واستحث  
الآباء على ارسال اطفالهم الى المدارس عن طريق الهدايا وغيرها من  
وسائل التشجيع والاقناع . ومن الادلة التي لا تقبل الجدل على ان  
الدعوة الاسلامية قد شقت طريقها في سهول القرغيز من ناحية بلاد  
الروسيا ، هذه الحقيقة الواقعة ، وهي ان هؤلاء القرغيز خاصة ،  
الذين كانوا اكثر اتصالا بأوروبا ، هم الذين اصبخوا مسلمين اول  
الامر . وقد اخذت الشامانية القديمة تسير حتى القرن التاسع عشر  
في بطة وتمهل ، بين هؤلاء الذين طوفوا فيما جاور بلاد خيـوة  
وبخارى وخوقند ، مع ان هذه البلاد كانت بلادا اسلامية عدة قرون .  
وقد يكون هذا هو المثل الوحيد لحكومة مسيحية شاركت في نشر  
الاسلام . وليس اقل غرابة من ذلك ان الحكومة الروسية في هذا  
العصر كانت تحاول ان تفرض المسيحية على رعاياها المسلمين في  
اوربا ، استمرارا لما بذلته من جهود في القرن السادس عشر على اثر  
فتح خانبة قران .

وفي مستهل القرن التاسع عشر ، كان كثير من القرغيز الذين  
يقيمون في السهول الفسيحة الممتدة جنوبا من مقاطعة تبلسك التي  
بلاد تركستان لا يزالون على الوثنية ، واتصل بعض بالحكومة الروسية  
لايفاد بعث تبشيري للدين المسيحي يقيم بين اظهـرهم . ولكن  
الحكومة لم تجبهم الى هذا الطلب بحجة ان " هؤلاء الناس كانوا من  
البربرية والوحشية بحيث لا يكون فهمهم للانجيل امرا ميسورا . سرعان  
ما سارت لنشر الدعوة جماعات اخرى لاتعتمد على حسن نية اية حكومة .

كما كانت اكثر فيرة وادراكا ، واحتلت هذا الميدان واجتذبت كافة قبائل القرغيز الى الدين الاسلامي ”

وبعد فتح قزان على ايدى الروس في القرن السادس عشر ، تلا احتلال خانية التتار السابقة حركة رسمية للتبشير بالمسيحية ، وعمد عدد من سكان الخانية الوثنيين ، ونشط رجال الشرطة ورجال السلطات المدنية في تأييد اعمال رجال الكنيسة . بيد انه لما لم يكن القسيسون الروسيون يفهمون لغة هؤلاء الذين حولوهم الى الاسلام ، والذين لم يلبثوا ان اهلوا شأنهم ، لم يكن بسد من الاعتراف بأن هؤلاء الذين تحولوا حديثا ” يحتفظون في غير خجل او حياء بكثير من العادات التتارية المردولة ، ولم يكونوا يتمسكون بالعقيدة المسيحية او يعرفونها ” . ولما اخفقت العظات الروحية ، امرت الحكومة موظفيها بأن يلففوا من هذه الحالة ، ويحبسوا الناس ويكبلوهم بالحديد ، ويحولوا بذلك دون تعليم هؤلاء الذين لا يطيعون اوامر المطران برغم تعميدهم ، ويشيرون مخاوفهم من ناحية العقيدة التتارية .

وفي القرن الثامن عشر بذلت الحكومة الروسية جهودا جديدة لتنصير القبائل الوثنية ، والتتار الذين ارتدوا عن دينهم ، وبذلوا كثيرا من ضروب الاقناع والاعراء لتعميدهم . ففي سنة ١٧٢٨ امرت الامبراطورة كاترين الثانية بأن يوقع كل من هؤلاء الحديثي العهد بالمسيحية على اقرار كتابي يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية ، وتجنب كل اتصال بالكفار ، والتمسك بالدين المسيحي وعقائده والثبات عليهما ” على الرغم من هذا كله ، لم يكن هؤلاء الذين اطلق عليهم ” التتار ” المعمدون الا مسيحين اسما ، وسرعان ما اخذوا يحاولون

التخلص مما بذلت الكنيسة الارثوذكسية من الجهود التبشيرية ، وتركوا  
المسيحية ، واعتنقوا الاسلام . ولم يكن هذا الدخول في المسيحية  
الا خطوة تمهيدية لدخولهم في عقيدة النبي .  
وفي الحق انه لا يبعد ان تكون اسماؤهم قد دونت في السجلات  
الرسمية باعتبارهم مسيحيين ، ولكنهم وقفوا في ثبات وقوة في وجهه  
اية محاولة بذلت لتنصيرهم . ويقول الكاتب في مقال شبه رسمي نشر في  
سنة ١٨٧٢ : " انه لحقيقة تستحق الانتباه ان سلسلة طويلة من  
الارتداد الواضح تتفق مع بداية الاجراءات التي اتخذت لتثبيت الداخلين  
في العقيدة المسيحية . ولهذا يجب ان يكون هناك سبب معقول  
لحالات الارتداد هذه ، في نفس الوقت الذي كان من المتوقع ان يحدث  
خلاف ذلك " . ويظهر ان الحقيقة كانت تنطوي على ان هؤلاء التتار  
لكونهم قد ظلوا دائما مسلمين بقلوبهم ، قاوموا التدابير الفعالة التي  
اتخذت لتجعل اعتناقهم المسيحية الاسمي حقيقة واقعة بحال من  
الاحوال . ولكن في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، بذلت  
جهود لتنصير هذه القبائل الوثنية والاسلامية عن طريق انشاء  
مدارس بينهم . وكانوا يوظفون من وراء ذلك ان يجذبوا اليهم شبيبة  
ذلك الجيل ، ان ظهر لهم انهم اذا لم يفعلوا ذلك ، كان من  
المحال ان يفوزوا بادخال المسيحية بين التتار . ذلك ان " استمالة  
مواطني قزان - كما يقول استاذ روسي - امر صعب المنال ، ولكننا  
نستجلب نفرا قليلا من سكان القرى الواقعة في السهل ، ونروضهم على  
مخافة الله ، فاذا ما اصبوا معنا فانهم لن يعرضوا عنا ابدا " .  
ذلك ان القانون الجنائي الروسي كان يتضمن دائما عقوبات صارمة  
لهؤلاء الذين حادوا عن الكنيسة الارثوذكسية ، ويعاقب كل شخص

تثبت عليه تهمة تحويل مسيحي الى الاسلام ، بتجريد ه من كافة الحقوق المدنية ، وحبسه مع الاشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثماني سنين وعشر . وبرغم اوامر الحكومة نجحت الدعاية الاسلامية في جذب القرى بأسرها الى عقيدة الاسلام ولا سيما القبائل الروسية التي تقيم في الشمال الشرقي .

وتعد مدينة قزان المركز الرئيسي لنشاط هذه الدعوة ، وكان يطبع في كل سنة عدد كبير من المنشورات الاسلامية ، في ذلك المكان ، ويذهب المليارات من الجامعة لتحويل الوثنيين في القرى واعادة التتار ، الذين كانوا قد ارتضوا التعميد ، الى الاسلام . وان ازدياد عدد التتار المسيحيين الذين اخذوا في زيادة صفوف الاسلام ، قد اثار الغزع في نفوس رجال الكنيسة الارثوذكسية . ولكن جهودهم قد اخفقت في وقت نجاح المليارات في هذه السبيل . وقد دونت الاخبار كثيرا عن دخول الناس في هذا الدين افواجا ، ولا سيما على اثر صدور موسم حرية التدين في سنة ١٩٠٥ . مثال ذلك ما قيل من ان احدى وتسعين اسرة اعتنقت الاسلام في قرية اتومفا Atomva في سنة ١٩٠٩ . وان عددا بلغ من الكثرة حول . . . ٥٣٠ نسمة اسلم بين سنتي ١٩٠٦ ، ١٩١٠ . وقد قيل ان اكير الفضل في نجاح هذه الدعوة يرجع الى مستوى الحياة الاخلاقية في المجتمع الاسلامي ، الذي كان اكثر رقيا ، كما يرجع ايضا الى شعور التآخي الذي كان يشيع في هذا المجتمع ، والذي كان اكثر تماسكا وقوة . اضافة الى ذلك ان الاساليب التي لجأ اليها رجال الكنيسة الروسية وايدتها الحكومة ، لتجعل تلك الطبقة التي كان يطلق عليها التتار المسيحيون اكثر تماسكا بالدين ، قد جعلت العقيدة المسيحية امرا غير مألوف لديهم . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى سارت الدعوة الاسلامية

عندما في حماسة بالغة : " فقد كان كل مسلم سانج امي داعية الى  
 كرينه ، وعجزت القبائل الفقيرة الجاهلة الامية من الوثنيين او اشباه  
 الوثنيين عن ان تقاوم هؤلاء الدعاة . وفي كثير من القرى التي عمد  
 اهلها ، انطلق الرجال في زمن الشتاء يحترفون الحياكة في القرى  
 الاسلامية . وهناك يتحولون الى الاسلام ثم يعودون الى قراهم  
 حمسا يجلبون معهم افكارا اسلامية يكون لها اثرها في بيوتهم " .  
 ومن اهم القبائل التي تأثرت بحركة الدعوة الى الاسلام قبيلة  
 الفوتياك Votiaks التي كان السواد الاعظم منها مسيحيين  
 معمداً ، بيد ان كثيرا منهم اصبحوا مسلمين في القرن الثامن عشر ،  
 وفي مستهل القرن التاسع عشر ، ولا يزال تأثير الاسلام آخذاً في  
 النمو ، بين هؤلاء الذين يدعون بالمسيحية وبين هذه البقية  
 اليسيرة ، التي لا تزال على وثنياتها . وان قبيلة الشيريمس Chermis  
 كالفوتياك ، قبيلة من الفن Finns ، لا يزال ربعها على الوثنية ،  
 ولكن كثيرين منها كانوا قد اسلموا ، ولا يبعد ان يبادر معظمهم الى  
 الدخول في هذا الدين . وقد تجلت حركة الشيريمس ازاء الاسلام  
 في القرن التاسع عشر ، ومع ان كثيرين منهم كانوا مسيحيين اسما ، فان  
 قراهم باسرها اسلمت برغم القوانين التي تحرم التحول الى اي دين  
 من الاديان عدا مذهب الكنيسة الارثوذكسية . وقد اصبحوا مسلمين  
 باتصالهم المباشر بالباشفرد والتتار الذين كانت تشبه اسرتهم  
 وعاداتهم الاجتماعية اسرة هؤلاء وعاداتهم . وقد بدأت هذه  
 الخطوات احيانا بالتصاهر الى المسلمين — مثال ذلك ان احدى  
 اسرات الشيريمس في بعض القرى تصاهرت الى بعض الباشفرد واعتنقت  
 ديانتهم . ولما كان هؤلاء الذين اسلموا يلقون في قراهم عنتاً  
 واضطهاداً بتسميتهم " الكلاب المختونين " ، نراهم يهاجرون

ويؤسسون مستعمرة جديدة على بعد اميال ، كما نرى بعض ذوى -  
اليسار من الباشفرد يعينونهم بالمال . ولكن لما كانوا يعدون  
وثنيين في السجلات الرسمية ، لم يستطيعوا ان يحصلوا على تصريح  
ببناء مسجد . لذلك انتقل بعض اسرات من الباشفرد التي كانت  
في الاماكن المجاورة لهم الى المستعمرة الحديثة ، حتى يجعلوا  
عدد الاهلين بحيث يسمح لهم بالحصول على التصريح الرسمي  
المطلوب . وطالما اتخذ مثل هذه الخطوة في القرى الاخرى  
التي جاء المسلمون لاستيطانها والتصاهر الى من فيها من الشيريمس .  
وكانت هنالك في احوال كثيرة حركة واضحة لنشر الدعوة ، مثال ذلك  
ان قرية قرقول كانت في مستهل القرن التاسع عشر اهلة بالشيريمس  
المسيحيين . على انه بعد منتصف هذا القرن بقليل ، تحول بعض  
الاسرات الى الاسلام على يد احد الشيريمس بعد ان دخل في  
جماعة المليات ، وخلفه في الدعوة بعد وفاته احد الباشفرد من اهالي  
قرية اخرى . وبعد ذلك انتقل الذين دخلوا في الاسلام الى قرى  
التتار والباشفرد ، بعد ان احتل التتار اماكنهم ، وبعد ان اصبحت  
القرية بأسرها تتارية في واقع الامر . واحتفظ قليل من شبيبة الجيل  
بشيء من لغة الشيريمس وتصاهروا مع التتار وحدتهم .  
وانا تركنا هذا النشاط في تعليم الناس مبادئ الدعوة  
جانبا ، وجدنا تأثير التتار في الكلام والعادات بين الشيريمس منتشرا  
انتشارا ملحوظا جدا . فقد انتشرت لغة التتار بينهم ، وجلبت  
معها افكار الاسلام الادبية والدينية . ويعد ادخال الزى التتارى  
علامة على تفوق الثقافة . وانا لم يرتد احد افراد الشيريمس الزى  
الذى يرتديه التتار ، تعرض لسخرية اول تتارى يلتقي به اول سخرية  
اخوانه من الشيريمس . وهذه الحركة الثقافية تجنح الى انتحال

ديانة التتار بصفة نهائية . وقد قيل ان الشيريمس قد اصبحوا بعد اسلامهم على جانب عظيم من الحماسة لنشر دينهم الجديد ، كما تلقوا معونة التتار الموسريين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ينظر الروس الى الشيريمس نظرة احتقار ، ويعدونهم جنسا منحطاً ، وينبزونهم بالقب سائنة ، حتى هؤلاء الشيريمس من المسيحيين الذين يقيمون بين اظهريهم . ولا يزال نحو ربع عدد الشيريمس على الوثنية ، ولكن المؤثرات الاسلامية كانت من القوة بينهم بحيث لا يبعد ان يصبح السوان الاعظم منهم مسلمين على مر الايام ، اما الشوفاش Chuvash الذين يبلغ عدد هم المليون ، فقد عمدوا باسرههم تقريبا ، ولا يزال نحو عشرين الفا منهم على الوثنية ، ولكن الاسلام يضمهم الى صفوفه تدريجاً ، على حين اصبح بعض الشوفاش من المسيحيين مسلمين . واصبحت البقية الباقية منهم واقعة تحت تأثير الاسلام . وقد نستدل على امتداد حماستهم نحو الذين دخلوا منهم في الاسلام من احدى قرى الشوفاش المسيحية التي يمكن ان نتخذها مثلاً في هذا الصدد ، فقد قضى قسيسها سنوات كثيرة في جمع ثلثمائة روبل Roubles كانت ضرورية لاصلاح الكنيسة . وتحولت ثمانى اسرات شوفاشية الى الاسلام ، فجمع المسلمون الفي روبل في خلال بضعة اشهر لبناء مسجد . وان مثل هذا النشاط الحي ليعد صفة تتميز بها الدعوة الاسلامية التي كانت منبثة بين القبائل الوطنية في ذلك الحين . وكانت كل اسرة تقبل الاسلام تتلقى المعونة عيناً او نوعاً : فالبيت بينى للفرد ، وبياع الحقل والماشية وغيرها لآخر ، فاذا اسلمت اسرات كثيرة في قرية من القرى ، بني لهم مسجد ، واستت مدرسة لاطفالهم .

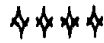


## الاسلام بين تثار سييريا

وليس لدينا الا تفصيلات يسيرة عن انتشار الاسلام بين التثار في سييريا . ولم ترسخ قدم الاسلام في هذه البلاد الا بعد النصف الاخير من القرن السادس عشر ، ولكن دعاة المسلمين كانوا يشقون طريقهم من حين لآخر الى سييريا ، حتى قبل هذه الفترة ، املا في اجتذاب الاهالي الوثنيين لقبول عقيدتهم ، ولكن السواد الاعظم من هؤلاء الدعاة قد ماتوا موت الشهداء . وعندما انضوت سييريا تحت لواء الحكم الاسلامي ، في عهد كوتشم خان ، كشف احد الشيوخ المسنين مقابر سبعة من هؤلاء الدعاة ، وكان هذا الشيخ قد قدم من بخارى للبحث عنهم اذ كان يتطلع الى معرفة شيء عن خشوع هؤلاء الشهداء واخلاصهم في دينهم ، واستطاع ان يدلي بأسماء هذا الفريق من الشهداء ، وكانت ذكراهم لاتزال حتى القرن الاخير موضع تجلة واحترام لدى التثار في سييريا . ولما اصبح كوتشم خان ( الذي كان من سلالة جوجي خان ، اكبر ابناء جنكيز خان ) خانا على سييريا ( حول سنة ١٥٧٠ ) - وكان قد اكتسب حق توليته العرش ، اما عن طريق قيامه بغزو البلاد ، او ( على رواية اخرى ) عن طريق دعوة الاهالي اياه لتولي العرش على اثر وفاة الخان السابق دون ان يعقب ذرية ، - بذل قصاره في تحويل رعاياه الى الاسلام ، وارسل الى بخارى في طلب دعاة لمساعدته في هذه المهمة التي تنطوي على التدبير والتقوى . وقد خلف لنا احد الدعاة الذين قدموا من بخارى اخبارا ، وصف فيها خروجه مع احد رفاقه الى حاضرة كوتشم خان ، على الضفة نهر ارتس Irtysh . وهناك مات رفيقه بعد سنتين ، وقفل هو واجعا الى وطنه لاسباب لم يتعرض هذا الكاتب لذكرها . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد الى بلاد كوتشم خان ثانية لاستئناف عمله ، وبصحبه رفيق آخر ، وذلك حين عاود

كوتشم خان بخارى بطلبه مددا من الدعاة . كذلك قدم دعاة من قزان الى سييريا ، ولكن تقدم تيار الغزو الروسي وقف جهود كوتشم خان التبشيرية ، قبل ان ينجز منها شيئا كثيرا ، وخاصة عندما وقف كثير من القبائل التي تنضوى تحت حكمه ، يعارضون معارضة قوية كـل المحاولات التي بذلها هذا الخان لتحويلهم الى الاسلام .

بيد انه على الرغم من ان الغزو الروسي وقف هذه الجهود ، لم يتوقف تقدم الاسلام في هذه البلاد بحال من الاحوال ، فقد رأب المليات الآتون من بخارى وغيرها من مدن آسيا الوسطى ، والتجار القادمون من قزان ، على موالاة الدعوة الى الاسلام في سييريا . وفي سنة ١٧٤٥ تسرب الاسلام لأول مرة الى قبائل التتار التي يطلق عليها Baraba Tatars ( وكانت مساكنهم بين نهري ارتس Irtish وأوب Ob ) ، ومع ان كثيرا منهم كانوا حتى مستهل القرن التاسع عشر لا يزالون على الوثنية ، اصبحوا الآن مسلمين بأسرهم . وقد سبق الكلام على اسلام القرغيز : وتاريخ معظم القبائل الاسلامية الاخرى في سييريا على جانب كبير من الغموض ، وان كان من المحتمل ان يكونوا قد اسلموا في عصر حديث . وما هو جدير بالذكر تلك الاغاني الشعبية ، التي يتغناها القرغيز ، والتي تحتل مكانة كبيرة بين وسائل الدعاية الاسلامية في الوقت الحاضر . وقد تضمنت هذه الاغاني حقائق الاسلام الاساسية ، مصوفة في اسلوب قصصي اسطوري ، مما جعل هذه الحقائق تصل الى قلوب عامة الشعب في سهولة ويسر .



## الاسلام في الاتحاد السوفييتي الآن

=====

يقف الاسلام في الاتحاد السوفييتي بين تيارين متضادين من المؤرخين : تيار يتأثر بالمدى الشيوعي ، فيشيد بحرية المسلمين في الاتحاد السوفييتي ، وتيار يهاجم سياسة الاتحاد السوفييتي ازاء المسلمين . والذي لا شك فيه ان الدين الاسلامي لاقى كثيرا من المحن في عهود مختلفة من جانب السوفيت ، ولعل الاتحاد السوفييتي غير سياسته تجاه الدين الاسلامي في هذه الآونة لكسب الشعوب الشرقية في مضمار السياسة الدولية .

ويظهر ان الاتحاد السوفييتي غير اتجاهه ازاء الاسلام والمسلمين منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، ان ساهم فيها عدد كبير من المسلمين الروس من شتى المقاطعات الاسلامية والاوروبية ، فرأت الحكومة الشيوعية ان تترك لهم امور العبادات ، واداء فرائضهم الدينية ، فسمح لهم بمزاولة بعض نشاطهم القديم ، وترخصوا في اقامة الاجتماعات الدينية ما لم تكن متعارضة مع النظام الشيوعي . وتدار الجمعيات الدينية الاسلامية بوساطة اربعة مراكز دينية

هي :

١- المجلس الديني الاسلامي للقسم الاوربي من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ولسبيريا ، وهو يدبر الشؤون الدينية للمسلمين الذين يعيشون في القسم الاوربي من الاتحاد السوفييتي - باستثناء القوقاز الشمالي وداغستان - وفي سيبيريا . ومقر المجلس الديني مدينة ( اوقا ) ، ورئيسه المفتي شاكر خيال الدينوف .

- ٢- المجلس الديني الاسلامي لآسيا الوسطى وكازاخستان . وهو يدبر الشؤون الدينية للمسلمين الذين يعيشون في اوزبكستان، وقرغيزيا ، وتاجيكستان ، وتركمانستان وكازاخستان ، ومقره مدينة " طشقند " .
- ٣- المجلس الديني الاسلامي لما وراء القوقاز ، ومقره مدينة " باكو " ، ويدبر الشؤون الدينية للمسلمين من الشيعة والسنيين الذين يعيشون في اذربيجان وجورجيا وارمينيا . وقد استطاع مسلمو ( ما وراء القوقاز ) السوفيتية ان ينظموا مجلسا دينيا واحدا للشيعة والسنيين معا .
- وتسوى المجالس الدينية المسائل الدينية البحتة المتعلقة بالمعقيدة والعبادة ، والتي تظهر في تفسيرها صعوبات او خلافات في الرأي . وقرارات المجالس الدينية في مسائل الشريعة يطلع عليها المسلمون حاملة توقيع المفتي او توقيع شيخ الاسلام . وللمفتي او شيخ الاسلام ان يصدر الفتاوى في هذه المسألة او تلك من مسائل الشريعة .
- وهناك مسائل اخرى تعالجها المجالس الدينية : كتحديد الخطباء والائمة لطوائف المسلمين ، والتصديق على انتخاب الائمة بوساطة المسلمين ، وتعيينهم بعد ان تمتحن معارفهم امتحانا وافيا والوسائل المتعلقة بتعيين او فصل او نقل القائمين بخدمات العبادة الدينية ، وتوزيع الوثائق اللازمة عليهم ، وكذلك الرقابة العامة على نشاط الطوائف الاسلامية في الجمهوريات والاقليم والمناطق ، واختيار مناهج التعليم للمدارس الدينية ( سمحت لها الحكومة السوفيتية اخيرا بمزاولة نشاطها ) ، ودراسات لتدريب القائمين

بخدمات العبادة الدينية ، والرقابة على تدريبهم في هذه المدارس ،  
ونشر المؤلفات الدينية ، والتصرف في مسائل انشاء مساجد جديدة ،  
وادارة المسائل المالية والادارية الخاصة بالمجالس الدينية والرقابة  
عليها محليا ، وتنظيم بعثات الحج الى مكة ، والاتصال بالهيئات  
الدينية الاجنبية للمسلمين ، ومسائل اخرى تتعلق بالعقيدة  
والادارة التنظيمية .

والمألوف فيما يختص بالدراسة الدينية ان يلحق رب العائلة  
ابناءه مبادئ الدين الرئيسية وفروعه ، وفقا لمقدرته واطلاعه . وبعد  
هذا الاعدان الاولي يأتي الآباء - اذا ارادوا - بمدرس خصوصي  
ليتابع تعليم الابناء الدين .

وليعض العلماء في آسيا الوسطى وداغستان مثلا عدد من  
التلاميذ الخصوصيين . وكثيرا ما يكتشفون الطلبة القادرين ، ويوصون  
المجالس الدينية بالحاقهم بمدارس الدين . ومثال ذلك مدرسة  
" مسير عرب " في بخارى التي تعمل تحت اشراف المجلس الديني  
الاسلامي لآسيا الوسطى وكازاخستان . ومدة الدراسة في هذه  
المدرسة تسع سنوات ، يتلقى الطالب في السنوات الخمس الاولى  
تعلما متوسطا ، وفي السنوات الاربع الاخيرة يتلقى تعلما عاليا .

والمدرسة داخلية ، ويعيش فيها الطلاب على نفقة المجلس  
الديني الذي ارسلهم اليها ، ويوزرون منازلهم عادة خلال العطلة  
الصيفية . وعند تخرجهم في المدرسة يعينهم المجلس الديني ائمة  
وخطباء لطوائف المسلمين ، وشيوخا للمزارات بحسب اعمارهم ومواهبهم  
وقد يعين بعضهم مدرسا في المدرسة نفسها .

وتعمل مدرسة " بركة خان " في طشقند بالطريقة ذاتها ،

وهي ايضا من ابرز مدارس الاسلام في آسيا الوسطى .  
وتصدر المجلس الدينية بانتظام النتائج الهجرية وطبعات  
جديدة من القرآن الكريم ، وكتب الفقهاء ، كما تصدر الفتاوى  
الشرعية ، ومختلف المبادئ والتفسيرات ، متناولة مختلف المسائل  
الدينية لخدمة الدين . وفي عام ١٩٤٥ صدر كتاب " الاسلام  
ديني " باللغة التنزية ، بقلم المفتي السابق عبد الرحمن رسوليف ،  
رئيس المجلس الديني الاسلامي للقسم الاوربي من الاتحاد السوفيتي ،  
ولسيبيريا ، ويشرح الكتاب بالتفصيل جميع الواجبات المتعلقة  
بالصلاة شرحا وافيا .

وفي اوائل عام ١٩٥٦ اصدر المجلس الديني الاسلامي لآسيا  
الوسطى وكازاخستان في طشقند طبعة جديدة من القرآن الكريم  
باللغة العربية . وفي خريف عام ١٩٥٦ اصدر المجلس الديني  
الاسلامي للقسم الاوربي من الاتحاد السوفيتي ولسيبيريا طبعة جديدة  
من القرآن الكريم . كما الف المفتي شاكر خيال الدينوف ، رئيس هذا  
المجلس ، كتابا جديدا صدر حديثا بعنوان " الاسلام والعبادات " .  
وفي روسيا كثير من الآثار الاسلامية ، وعدد غفير من المساجد  
في روسيا الاوربية ، ومن اشهر هذه المساجد مسجد " ليننجراد " الذي  
يومه المسلمون هناك لاداء فريضة الصلاة كل يوم ، ويجتمعون فيه ايام  
الجمع والاعياد الرسمية . ويشرف عليه المجلس الديني الاسلامي للقسم  
الاوربي من الاتحاد السوفيتي ولسيبيريا وتجمع صلوات عيد الفطر  
او عيد الاضحى في جامع " موسكو " عادة ٨٠٠٠ مسلم ، اما جامع  
تل الشيخ - وهو احد مساجد طشقند الستة عشر الكبيرة - فيتراوح  
عدد المصلين فيه بين ١٠٠٠٠ - ١٢٠٠٠ مسلم ومسلمة ،

ان يسمح للسيدات بحضور الصلاة على ان يكن بمعزل عن الرجال  
وفي طشقند وحدها ١٦ جامعا كبيرا ، واذ اضيفت اليهنا  
الخلوات والمصليات اريت على المائة ، منها مساجد قديمة ، كمساجد  
تل الشيخ ، ومساجد حديثة نسبيا ، كمساجد الرقيات ومررا يوسف  
وكريل تاوش واركان كوتشا وغيرها .

وبالقرب من مدينة " مرفا " القديمة ( ماري الآن ) فـي  
تركمانستان لا يزال المسجد الذي بني عام ٨٦٩ قائما حتى الآن .  
ويدعوه الناس بالجامع الحمداني ، نسبة الى الزعيم المسلم الكبير  
الحاج يوسف الحمداني ، ويؤمه في الاعياد آلاف من المسلمين في  
جميع انحاء تركمانستان . وبالقرب من مدينة ماري يقوم صرح من اقدم  
الصروح المعمارية في آسيا الوسطى ، وهو ضريح السلطان " سنجق "  
الذي كان من اتباع الحاج الحمداني . وقد بني الضريح في القرن  
الثاني عشر ، وما زال محتفظا بروعته حتى الآن .

وفي اوزبكستان مسجد " بيبي هانم " زوجة تيمورلنك الاولى ،  
وقد ظل محتفظا بروعته طيلة خمسة قرون كاملة . وفي نهاية القرن  
الماضي عانى كثيرا بسبب الزلازل وقد تم بناء المسجد عام ١٤٠٤ بعد  
خمسة اعوام من البدء في بنائه . ويقول مؤرخ " تيمورلنك " علي يزدي ،  
الشهير بشرف الدين ، في كتابه " ظفرنامه " ، اى كتـنـاب  
" الانتصارات " : " ان قبته فريدة في نوعها ، وقوسه نسيج وحده ،  
ومنارته ترتفع في السماء كي تقول : هذه اعمالنا تشير اليها ، فيصل  
قولها اركان العالم الاربعة " .

ومن مباني سموقند التاريخية ضريح " جور " امير مكانة كبرى .  
وقد شيد بأمر تيمورلنك بين عامي ١٤٠٤-١٤٠٥ م فوق قبر احمب

ابنائه وولي عهده السلطان محمد ، المتوفي عام ١٤٠٣ م . وفي داخل الضريح مجموعة من الخطوط الرائعة على القبور واصبح ضريح تيمورلنك ضريحا لاسرته بعد وفاته ، ودفن فيه اثنان من ابنائه ايضا ، هما شاروخ وميران شاه . كما دفن فيه احد ملوك اسرة تيمورلنك " اولغ بك جراجاني " .

وفي مدينة " بخارى " جامع " كليان الكبير " . ويرجع تاريخ بنائه الى عام ١٥٤١ م ، ويقع بجوار مدرسة " مسير عرب " التي يرجع تاريخ انشائها الى عام ١٥٣٦ ، ويجاور الجامع والمدرسة مئذنة طويلة اقيمت نحو عام ١١٢٧ م ، اى قبل انشاء الجامع والمدرسة . وتؤلف هذه المباني الثلاثة البارعة - وهي المدرسة والمئذنة والجامع - مجموعة معمارية رائعة في قلب بخارى القديمة .

ومن اشهر الاضرحة التي يوءمها مسلمو آسيا الوسطى ضريح الامام " ابو بكر كفال شاشي " ، ويدعونه بالامام لشهرته في آسيا الوسطى كلها ، وضريح مولانا عطا في خيوة ، وقبر سلطان بابا في كاراكالباكيا ، وجامع تازة ببيير الكبير في باكو .

وتنتمي الاغلبية الساحقة من المسلمين في الاتحاد السوفيتي للطائفة السننية . اما الشيعة فهم قليلون نسبيا ، ومنهم المسلمون في ازربيجان ، وعدد ضئيل منهم يعيش في داغستان وتركمانستان - واوزبكستان وفي تاجيكستان يوجد اسماعيليون كما يوجد سنيون . ويبلغ عدد المسلمين جميعا في الاتحاد السوفيتي نحو ٢٦ مليون مسلم .

ويقول " فنسنت مونتييل " : " ان عدد المسلمين يبلغ نحو ٢١ مليونا : منهم ١١ مليونا في آسيا الوسطى ، ٥ر٤ ملايين في



القوقاز ، هرة في الفولجا ، وما تبقى موزعون في أنحاء البلاد المختلفة " .

ويبلغ عدد المسلمين في منغوليا نحو ٢.٠٠٠ . وقد دخل الاسلام اليها منذ العصور الوسطى من طريق القوافل التجارية التي تنتقل بين الصين ومنغوليا .

اما مسلمو القرم فمن اصل تترى مغولي ، وهم رعاة رحل ، ويتبعون في الغالب المذهب الحنفي . وفي ليتوانيا ما يقرب من ألفي مسلم .

والجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ، هي : تازاكستان ، وازبكستان ، واذربيجان ، والقرغيز ، وكازاخستان ، وتركمانيستان . ويوجد نفر ضئيل من المسلمين في الجمهوريات فير الاسلامية ، وهي : روسيا ، واكرانيا ، وبيلوروسيا ( روسيا البيضاء ) وجورجيا ، وارمينيا ، ولتوانيا ، ولتوانيا ، وكاريا ، ومولدافيا .

ويبلغ عدد المسلمين في تازاكستان نحو مليون وخمسة الف مسلم ومسلمة ، وهم ينتمون الى اصل ايراني ، وزعيمهم الروحي هو القاضي عبد الرشيد موزابكوف .

اما ازبكستان فتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٣٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ٦٢٨٢٤٤٦ نسمة . ونسبتهم في " اذربيجان " ٨٠٪ من مجموع عدد السكان البالغ ٣٢٠٩٧٣ نسمة . وفي تركستان ٨٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ١٢٣٥٩٨٥ ، وهم سنيون احناف ، وزعيمهم الروحي هو الامام الخطيب عبد الرحمن شارينوف .

وفي " القرغيز " تبلغ نسبة المسلمين ٧٨٪ من مجموع السكان

وهم على مذهب اهل السنة . ونسبتهم في تازاكستان ٥٠ ٪ من  
مجموع السكان البالغ عددهم ٦١٤٥٣٧٩ .  
ويحرمون كثير من المسلمين على أداء فريضة الحج ، وزيارة  
قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، والاماكن المقدسة .  
وفي مكة يلتقون بالمسلمين من جميع انحاء العالم في جو تسوده المحبة  
وتترفع عليه ألوية السلام .

\*\*\*\*

## الاسلام في اوروبا

دخل العرب اوروبا عن طريقين : الطريق الاول طريق الاندلس وقد وصلوا منه الى جنوب فرنسا . والطريق الثاني طريق صقلية ومدن ايطاليا ، وقد استطاعوا ان يتوغلوا في ايطاليا ، وان يحاصروا روما مقر الحبر الاعظم . حتى ان البابا يوحنا الثامن ( ٨٢٣-٨٨٢ م ) ظل يوءى لهم الجزية مدة سنتين . ثم دخل الاتراك اوروبا من الشرق في القرن الخامس عشر . وكان العرب والاتراك يحملون في هذه الفتوح الدين الاسلامي ، والثقافة الاسلامية اللذين كان لهما اثر كبير في نفوس الاوربيين ، فاعتنق بعضهم الاسلام ، واحب بعضهم الثقافة العربية حبا جما ، وعكف على دراستها والتزود منها ، وانشئت معاهد تهتم بالثقافة الاسلامية والحضارة العربية ، ونقل بعض آثار العرب الى اللغات الاجنبية . وكان تأثير الفلاسفة العرب والعلماء العرب في الحضارة الاوروبية قويا ملحوظا .

### الاسلام في جزر البحر الابيض

وقد فتح المسلمون جزيرة صقلية ، وظلت في حوزتهم مائة وتسعة وثمانين عاما ، وعمروا مدينة " بالرمو " ، وانشأوا فيها المساجد ، حتى ان الرحالة الجغرافي " ابن حوقل " ذكر في وصفها انه وجد فيها اكثر من مائة وخمسين حانوتا للقصابين لبيع اللحوم ، وانها تضم اكثر من ثلاثمائة مسجد ، وان مسجدهم الجامع قام فيه اكثر من ستة وثلاثين ضفا للصلاة ، كل صف يحتوى على ما يقارب مائتي رجل مما جعل عدد المصلين يبلغ سبعة آلاف .

وقد قامت صقلية بدور كبير في نشر الثقافة العربية والديين الاسلامي في اوربا . ولم تكن جزيرة صقلية الجزيرة الوحيدة التي احتلها العرب في حوض البحر الابيض المتوسط ، انما استولوا على بعض الجزر الاخرى ، ومنها جزيرة اقريطش " كريت " التي افتتحها عام ٢١٢ هـ ( ٨٢٧ م ) بحار عربي باسل هو ابو عمر حفص بن عيسى الاندلسي . وفتح المسلمون جزيرة كورسيكا ، موطن نابليسون بونابرت ومسقط رأسه ، على يد موسى بن نصير فاتح الاندلس عسام ٧١٣ م ، ثم فتحوها بعد ذلك اكثر من مرة ، واستطاعوا البقاء فيها اكثر من قرن ، كما فتحوا جزيرة " سردانيا " منذ فاتحة القرن الثامن للميلاد .

وفتح العرب جزيرة مالطة عام ٢٥٥ م واستولوا على جزيرة قبرص ، وكانت بينها وبين المسلمين علاقات طيبة ، كما كانت تنقسم الى قسمين : قسم للمسلمين ، وقسم للنصارى ، وكان للمسلمين بها امير وحاكم . ويقول ابن حوقل ان جزيرتي قبرص واقريطش " كريت " كانتا جزيرتين كثيرتي الخير والمير والتجارة .

وفي روم الآن مئات من المسلمين ، ورئيسهم الشيخ سليمان قاشلي اوغلو ، وهو مفتي رودس ، وعالم كبير ، والمسلمون اليونانيون حاربوا في عام ١٩٤٠ ضد ايطاليا واستشهد منهم مئات الشباب ، وفتحوا نصف البانيا .

### الاسلام في اليونان

ويبلغ عدد المسلمين في اليونان حوالي مائة الف مسلم ، واكثرهم فلاحون يسكنون في مقاطعة تراقيا الغربية ، وعاصمتهم " كوموتيني " وحكومة اليونان تسمح بنشر الدعوة الاسلامية ، وتشجع .

الحركات الثقافية ، وتبني على حسابها المدارس الاسلامية . وفنسي  
العام الماضي نشرت ترجمة يونانية للقرآن الكريم .  
والمسلمون في اليونان يبنون المساجد ، وتشجعهم الحكومة  
على ذلك ، وتمدهم بالمعونة والاموال . ولكن معظم حفظـة  
القرآن في اليونان يتلونه دون ان يدركوا معناه ومغزاه ، وبعضهم  
يظن ان الاسلام في المسجد وفي الاسم ، وفي دفتر تقييد المواليسد  
واجراء عملية الختان ونحو ذلك . ولذلك كان لابد من ارسال البعث  
الدينية الى البلقان لتعليم المسلمين هناك تعاليم الاسلام الصحيحة ،  
وليفقهوهم في الدين .

وقد ساعدت القوافل التجارية على نشر الاسلام في اوربا ، الى  
جانب هذه الفتوحات الكبيرة التي اقدم عليها العرب : لا رغبة في  
سفك الدماء ، انما من اجل تأمين جانبهم ، وصيانة دولتهم ، وعملا  
على نشر العقيدة الاسلامية ، والمجاهدة في سبيل الله ، ولذلك  
نشأت واحات اسلامية في اوربا بجهود افراد من السياح والتجار  
المسلمين والوعاظ والزهاد .

وقد عرف المسلمون الشعوب السلافية ، وكانوا يسمونهم باسم  
الصقالبة منذ عهد بعيد . وقد اعتنق كثيرون منهم الاسلام ، ولا سيما  
بعد ان استولى العرب على الساحل الشرقي للبحر الادرياتيكي  
اي مقاطعة المسيا في يوفوسلافيا الحالية . وقد كان بعض هؤلاء  
لالصقالبة يفتدون الى البلاد العربية منذ العصور الاسلامية الاولى  
للتزود بالثقافة العربية والتعرف الى الدين الاسلامي .

يقول ياقوت الحموي في كتابه " معجم البلدان " في تفسيره  
باشقارد : " وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشقارديية ،

شقر الشعور والوجوه جدا ، يتفقهون على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ، فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال : اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة امة من الافرنج يقال لهم "الهنكر" . ونحن مسلمون ، ولساننا لسان الافرنج ، وزينا زيهم ، ونخدم معهم في الجندية ، فسألته عن سبب اسلامهم ، مع كونهم في وسط بلاد الكفر ، فقال : سمعت جماعة من اسلافنا يتحدثون انه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغار وسكنوا بيننا ، وتلطفوا في تعريفنا ما نحن عليه من الضلال ، وارشدونا الى الصواب من دين الاسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعا ، وشرح الله صدورنا للايمان . ونحن نقدم الى هذه البلاد ونتفقه ، فاذا رجعنا الى بلادنا اكرمنا اهلها وولونا امور دينهم . فسألته : لم تحلقون لحاكم كما يفعل الفرنج ؟ فقال : يحلقها منا المتجددون ، ويلبسون لبسة السلاح مثل الافرنج ، اما غيرهم فلا فقلت : فكم مسافة ما بيننا وبين بلادكم ؟ فقال : من هنا الى القسطنطينية نحو شهر ونصف ، ومن القسطنطينية الى بلادنا نحو ذلك "

وهكذا انتشر الاسلام في اوربا الجنوبية الشرقية . فيران بعض الملوك ظلوا يحاربون الاسلام مثل الملك كارل الاول روبرت ( ١٣١٠ - ١٣٤٢ م ) الذي اصدر قانونا يمنع فيه الصيام او تناول الطعام على غير الطريقة المسيحية ، ويعاقب من يمتنع عن اكل لحم الخنزير ، او يتوضأ قبل الصلاة . وأغرى من يبلغ عن احد من المسلمين بتعليك جزءا من اموال المسلم . واذ قام احد بزيارة مسلم ، او دعا مسلما اليضايقه ، فعلى كليهما ان يأكلا لحم الخنزير . وهكذا اضطهد

المسلمون في هنغاريا ، ولكن المسلمين لم يلبثوا ان تحرروا من هذا النير بموت هذا الملك ، وظلوا بين مد وجزر سنوات طويلة حتى العصر الحديث .

### الاسلام في يوغوسلافيا

اما في يوغوسلافيا فالمسلمون كثيرون منذ العصور الاولى ، ولا سيما بين قبائل البنجاك والبشناق . وقد وصف احد الرحالة حالـة المسلمين في " البوسنة " فقال : " انه لعجيب حقا ان يتغلب الاسلام في هذه البلاد الآورنية على التقاليد القومية اليوغوسلافية ، حتى لينظر اليها المسلمون الآن كأنها عادات اجنبية عنهم . ولعل هذا هو ما يميزهم عن بقية مسلمي العالم . فهم في قلب اوربا اشدنا تسكنا بالتقاليد والعادات الاسلامية من اخوانهم في الشرق . وقد اتيح لي ان ازور بعض بيوتهم الجبلية ، وشاهدت اساليبهم في المعيشة ، وشعرت كأنني في بيوت العرب المتقدمين " .

وقد دخل اهل البوسنة في دين الله افواجا بعد فتحها عام ١٤٦٣ م ، واسلموا طواعية ومن الادلة الساطعة على عدم اكراه اهالي البوسنة على اعتناق الاسلام ما ورد في الوثيقة الموجودة في دوجي — احدى البيع الارثوذكسية في هرسك — والمؤرخة عام ١٥٠٥ ، وجاء فيها ان كثيرا من الناس اعتنقوا الدين الاسلامي بدون اى اكراه . وظل الاسلام يعيش بين عدد كبير من مسلمي اوربا الجنوبية الشرقية فترة طويلة .

وفي يوغوسلافيا اليوم جالية اسلامية كبيرة العدد تتمتع بحريتها الدينية الكاملة ، ويكفلها لها الدستور . وينظم المسلمون شئونهم الدينية لانفسهم . ويقوم على المسائل الدينية مجلس الاوقاف الاعلى ،

ومقره مدينة سيرا جيفو ، وينتخب ثلث اعضاءه على الاقل من رجال الدين وفي يوغوسلافيا عدد كبير من المساجد ، علاوة على مئات من المكاتب الاسلامية ، ومدرسة ثانوية دينية في " سيرا جيفو " التي تعد عاصمة الاسلام هناك .

وللمسلمين في يوغوسلافيا دورهم في الحياة العامة : فمنهم الوزير في الوزارة الاتحادية مثل عثمان كريجو فتش ، وحسن بيركتش رئيس لجنة التجارة الخارجية ، ويعادل منصبه منصب وزير التجارة في الدول الاخرى . وحتى المرأة المسلمة خرجت الى الحياة العامة ، وتولت منصب القضاء ، ونابت عن الناس في البرلمان ويوجد مجلس للعلماء يتألف من اربعة اعضاء في سيرا جيفو ( سراي بوسنة ) . وتوجد المشيخة الاسلامية في بلغراد العاصمة ، وعلى رأسها شيخ الاسلام الذي يسمى رئيس العلماء ، ويعين بالانتخاب بوساطة لجنة مكونة من اعضاء مجلس العلماء واهل الفتوى ومدير مدرسة القضاء الشرعي ومندوبي لجنة الاوقاف بمجلس النواب .

وللمسلمين في مجلس النواب ثلاثون نائبا منتخبا . ومن بينهم اعضاء مجلس العلماء ومحكمة التمييز . وهم يبحثون في هيئة خاصة مصالح المسلمين ، وخصوصا ميزانية الاوقاف والمعارف ومجالس المديرات . ولكل مديرية بها خمسة آلاف من المسلمين فأكثر محكمة شرعية ، وقاض شرعي للفصل في شئون الطلاق والزواج والميراث والاوقاف الى غير ذلك ، كما توجد محكمة عليا تسمى محكمة التمييز في سراي بوسنة .

وفي سراي بوسنة ايضا مدرسة للقضاء الشرعي ، ومدرسة للعلوم الشرعية ، ومدرسة للمعلمات والمعلمين يستطيع طلبتها اتمام



دراساتهم العالية فيما بعد في جامعات اسلامية او اوربية وفقـا  
لاختصاص المدارس .

### الاسلام في البانيا

اما البانيا فقد انتشر فيها الاسلام على يد الاتراك . ولما  
فتح الاتراك البلقان قاومهم الالبانيون اشد المقاومة بقيادة جورج  
كستريوت بن حنا كستريوت . ولكن جورج لم يلبث ان اعتنق الاسلام  
وظل في خدمة الجيش العثماني ، وصار من قواده وسمي اسكندر بك .  
ويقدر سكان البانيا بنحو مليونين : نصفهم من المسلمين ،  
والنصف الثاني من الارثوذكس والكاثوليك . ويتعلم المسلمون في بعض  
مدارسهم القرآن الكريم . ومن اشهر المعاهد الدينية الاسلامية  
في البانيا : مدرسة تيرانا الدينية . وكلمة مدرسة باللغة الالبانية  
هي نفسها باللغة العربية . ويتخرج من مدرسة تيرانا الطلبة مفتين  
واثمة وموذنين ووعاظا ومدرسين للديانة .

### الاسلام في المانيا

اما المانيا فيبلغ عدد المسلمين فيها نحو تسعة آلاف مسلم :  
منهم ثلاثة آلاف من الالمان ، والباقيون من العرب والهند والباكستان  
وسائر الدول الاسلامية . والحرية الدينية مكفولة بالمانيا . وهناك  
جمعيات اسلامية في بعض المدن ، وجمعية الاخوة الاسلامية التي  
يرأسها السيد احمد هازون .

وفي " فرانكفورت " جمعية المسلمين ، ورئيسها شاب الماني  
اعتنق الدين الاسلامي ، ويدعى محمد امين . وفي مدينة " هامبورج "  
جمعية اتحاد المسلمين . وامام برلين يدعى محمد امان ، وهو عالم

كبير ألف عدة كتب ، منها كتب مصورة للصلاة باللغة الالمانية حتى يقرب فرائض الدين الاسلامي للمسلمين الالمان ، وينوب عن الامام محمد امان السيد محمد احمد ، ويقوم بجهود تبشيرية واسعة .  
والمسلمون في المانيا على اتصال دائم بمسلمي سويسرا والنمسا وهولندا وفنلندا والسويد ، ويؤدى المسلمون الالمان صلاتهم باللغة العربية . وهناك ترجمة رصينة للقرآن الكريم بهذه اللغة .

### الاسلام في فرنسا

اما فرنسا فيبلغ عدد المسلمين فيها نحو مائتي ألف ، منهم عشرون الفا بباريس وضواحيها ، واكثرهم من شمال افريقيا من طبقة العمال في الصناعة والتجارة .  
وفي مرسيليا تكية تديرها سيدة يمنية كريمة ترحب بالضيوف واللاجئين الشرقيين . وفي باريس مسجد كبير افتتح في ١٥ يوليو سنة ١٩٢٦ ، وبه قاعة للمحاضرات . وقد بنى المسجد على الطراز الاسلامي المغربي ، وفرش بأنفس البسط والسجاجيد ، وتدلّت من سقفه مجموعة فخمة من الثريات . وفي بعض ساحاته احواض رائعة مليئة بالزهور تتوسطها نافورات المياه .

### الاسلام في انجلترا

اما انجلترا فيبلغ عدد المسلمين فيها نحو ثلاثين الفا . ويرجع تاريخ الاسلام فيها الى عام ١٨٨٠ م حين اعتنق الاسلام السوردي استانلي اوف آلدرلي ، احد اشراف الانجليز وسفير انجلترا في تركيا وقد سمى نفسه عبد الرحمن . وفي عام ١٨٦٦ م اعتنق الاسلام المستر كويليام احد اعيان ليفربول ، وسمى نفسه عبد الله ، وكان بليغا

قوى الحجة . وقد اثار اسلامه السلطان عبد الحميد ، فاستدعاه الى تركيا ومنحه لقب بك ، وعينه شيخا للاسلام في بريطانيا ، فعاد الشيخ عبد الله كويليام الى مدينة ليفربول ، وحول جزءا من داره الى مسجد ، واصبحت داره ملتقى لمحبي الثقافة الاسلامية . وقد اصدر جريدتين اسلاميتين ، واخذ ينشر فيهما آراءه ، فكان لهما اثر كبير في نشر الاسلام في شمال انجلترا .

وظهرت في انجلترا عام ١٨٨٦ م جمعية اسلامية استمرت سبعة عشر عاما . وقد حضر من الهند الى انجلترا شودارى فاتح محمد سيال وخوجه كمال الدين ، وشرعا يدعوان للاسلام حتى اسلم عليهما يديهما اللورد هيدلي . وتأسست في انجلترا جمعيات اسلامية منها الجمعية الغربية الاسلامية ، وتهدف الى حماية حقوق العمال المسلمين من العرب والهند والملايو والصومال ، واكثرهم يشتغل في الموانئ الانجليزية ، وايواء الغرباء المعوزين من المسلمين ، وانشاء المدارس والمساجد لتعليم ابناء المسلمين . كما تألفت في نهاية الربع الاول من القرن العشرين جمعية لا يواء المسلمين الغرباء في انجلترا ، وتولى ادارتها بعض محبي الثقافة الاسلامية من الانجليز وبعض الهنود والعرب من المسلمين .

ويوجد في مانشستر مركز للثقافة الاسلامية لاقامة الشعائر الدينية وقد منح الامام حق عقد الزواج . وفي هذا المركز قاعة لاقامة الصلوات ، وقاعة للمحاضرات ، وقاعة للاجتماعات والحفلات . والطابق العلويان مخصصان لاقامة الطلبة المسلمين المتزوجين .

ويبلغ عدد المسلمين في مانشستر وضواحيها اكثر من ثلاثمائة مسلم ، وتلقى في المركز محاضرات اسبوعية لتعليم الدين الاسلامي

الحنيف . ويجتمع المسلمون مرة في الاسبوع ايضا للبحث في القضايا الخاصة بالمركز وبأحوالهم عامة في جامعة مانشستر . وفي الكلية الصناعية الكبيرة التابعة لها عدد لا يستهان به من الطلبة العرب والمسلمين يتلقون فيها الدراسات العالية .

اما في مدينة كارديف فتوجد جالية عربية من ابناء اليمن وعدن وبقية الامارات الاخرى ، ويبلغ عددها نحو ١٥٠٠ شخص . وهناك ايضا نحو ٦٠٠ عربي من الصومال لهم جمعية اسمها جمعية شباب الصومال . ويملك العرب المسلمون في كارديف بعض المطاعم والمقاهي والفنادق وحوانيت البقالة والخضر والفواكه واللحوم .

وقد بنى المسلمون في كارديف مسجدا يسمى " مسجد نور الاسلام " انشأته " جمعية نور الاسلام العلوية " . وفي كارديف زاوية اطلق عليها اسم الزاوية العلوية الاسلامية ، والحقت بها مدرسة ينفق عليها السيد علي سلمان الزبيدي من ماله الخاص . ويأمل اهل كارديف في بناء مسجد كبير لاقامة شعائرهم الدينية . وفي ضاحية " وكنج " — وهي تبعد عن لندن ٢٨ ميلا — مسجد بنى منذ ثلاثة ارباع قرن بأموال جمعت من الهند . وكانت تنفق عليه والدة المرخوم بيجوم بهوبال بالهند ، ولذلك يسمى ايضا الشاه جهان ، وفي لندن نفسها مركز ثقافي يعمل على نشر الثقافة الاسلامية ، وشرح مبسوء الاسلام .

### الاسلام في اسبانيا والبرتغال

لما فتح العرب اسبانيا والبرتغال ، اطلقوا عليهم اسما " الاندلس " . وتاريخ الاسلام في الاندلس حافل بالامجاد والبطولات فقد ظل طيلة ما يقرب من ثمانية قرون يحمل مشعل الحضارة لاوربا

كلها ، ويقيم العمران ، وينشر المدنية والعدل في ربوع البلاد .  
وقد دافع عن كيانه حتى آخر ايامه هناك دفاعا باسلا ، ولكن  
شاءت الاقدار ان تحل المأساة الدامية ، ويفاد ر البلاد ابو عبد الله  
— آخر سلاطين بني الاحمر في غرناطة — مغلوبا على امره ، ويسدل  
الستار على مجد سامق ، كان من الممكن ان يمتد فيشمل اوربا كلها .  
وقد عمل العرب في الاندلس على نشر الاسلام ، وانشاء المساجد ،  
وتشجيع العلم حتى قال العالم دوزي : " لم يكن يوجد في بلاد  
الاندلس رجل امي واحد في الوقت الذي لم يكن في اوربا من يلتم  
بالقراءة والكتابة الا طبقة القسوس " . وقد انشأ الحكم الثاني وحده  
٢٧ مدرسة مجانية بلوازها كي لا يبقى احد من رعيته محروما من نعمة  
العلم . وكانت جامعة قرطبة اشهر من الجامعة النظامية في بغداد .  
ولا تزال آثار المسلمين باقية حتى اليوم في الاندلس . ومن  
اشهر هذه الآثار قصر غرناطة الشهير بالحمراء . وهو قصر فخم  
من ابداع ما صنعتته يد الانسان ، وله باب من المرمر منقوش فيه بالخط  
الكوفي نقشا بارزا : " هذا الباب المسمى بباب الشريعة امر ببنائه  
ابو عبد الله ابن يوسف بن الحجاج الخزرجي " . واذا دخلت  
من هذا الباب استقبلك دهليز ساحته مرصوفة بالمرمر ، وحيطانسه  
بدروب من اللبن الجيد . وفي جانبه اماكن السيوف والرماح المعدة  
للحرم الملكي الخاص . ثم تنتهي من هذا الدهليز الى طرقة ذات ظل  
واشجار واثمار ورياحين ، وبها قصر الحمراء . وقد ابداع المؤرخون  
في وصف قصر الحمراء ابداعا لا مزيد عليه ، وهو يضم عدة قصور تحوى  
مئات القاعات التي زينت ابداع زينة ، وزخرفت اروع زخرفة ، وفيها من  
بداع الصنع والرواء ما يشهد بما پلغته حضارة المسلمين في الاندلس

من تقدم وازدهار .

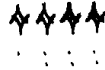
ومن الآثار الاسلامية الباقية حتى الآن في اسبانيا " قصر اشبيلية " وهو قصر فخم بابه من خشب الصنوبر ، ومنظره بهيج جدا ، ويقع في وسط بستان عظيم يشتمل على انواع الاشجار ذات الظلال والثمار ، وفيه برك وغدران متعددة ، وعليها مقاعد ومجالس ملوك اشبيلية ، وجميع السقوف والحيطان والابواب والنوافذ مزينة بالنقوش المحكمة البديعة ، المظلية بالذهب .

ولا تزال توجد حتى الآن قنطرة الوادي الكبير عند قرطبة ، وطولها اكثر من . . . ٥ خطوة وعرضها نحو ٢ خطوة . وعليها حواجز حجرية . واما قصر الزهراء الذي سارت بذكره الركبان والقصر الذي بناه الخليفة عبد الرحمن الداخل ، فلم يبق منهما الا اطلال بالية .

اما جامع قرطبة فيقع على طرف قنطرة الوادي الكبير ، وهو مسجد عظيم يحيط به سور ضخم ارتفاعه نحو ٨ امتار ، ومبني بالاحجار الصلدة والصخور الضخمة . وارتفاع الجامع نفسه لا يتعدى ثمانية امتار ، وطوله مائة وثمانية وستون مترا ، وعرضه مائة وخمسة وعشرون مترا . وسقفه مرفوع على اقواس مزخرفة بالقيشاني ، معقودة على عمد من المرمر الملون الباهر ، وطول كل عمود منها اربعة امتار ، ويبلغ عدد الاعمدة في الجامع تسعمائة عمود . وفي الساحة الخارجية عمد عدد هائل مائتان . وارض المسجد مرصوفة بأنواع اللبن الملون المحكم ، والمحراب والمنبر من المرمر الصافي تزينهما نقوش بديعة . وعلى المحراب كتبت هذه الآية الكريمة بالخط البارز الكوفي المحلي بالذهب " بسم الله الرحمن الرحيم : حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى

وقوموا لله قانتين " ، وكتبت تحت هذه الآية بالصفة المذكورة عبارة :  
" الامام الحكيم امير المؤمنين " .

تلك هي اهم الآثار الاسلامية الباقية في الاندلس ( اسبانيا  
والبرتغال ) ، حتى اليوم ، وهي تشهد بما كان عليه الاسلام في تلك  
الآونة من قوة النفوذ وامتداد السلطان ، وعلو الذكر ، وارتفاع  
المكانة . ولولا ما ألم بالاندلس من اضطرابات وفتن وما فشا فيها من  
شحناء ومنازعات ، لامتد الاسلام الى اوربا ، واستطاع ان يتوغل فيها .  
وفي اسبانيا ، حتى اليوم ، عدد من المسلمين لا يزالون ينوءون  
فرائضهم الدينية في البقاع التي شهدت مجد اجدادهم ، وعظمت  
آبائهم الاولين . وفيها معهد للدراسات العربية يقوم بخدمة طلاب  
العلم الذين يرغبون في استكمال ثقافتهم العربية ، كما يبين معالم  
الثقافة الاسلامية والدين الاسلامي لمن شاء من الباحثين والدارسين .



## الاسلام في الامريكيتين

=====

### الاسلام في الولايات المتحدة الامريكية

لا يمكن معرفة عدد المسلمين في الولايات المتحدة على وجه التحديد ، لانه لا توجد اى هيئة حكومية في الولايات المتحدة تحصر عدد المواطنين وفقا لديانتهم . وتقول بعض المصادر ان عددهم يبلغ ( ٣٢٥٠٠ ) نسمة ، في حين تقول مصادر اخرى ان عددهم يصل الى ( ٥٠٠٠٠ ) او ( ٦٠٠٠٠ ) نسمة .

وقد جاء هؤلاء المسلمون الى الولايات المتحدة من جميع البلاد الاسلامية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، ومنهم البانيون ويوفوسلافيون جاءوا من شرق اوربا ، ومنهم نتر واتراك من اواسط آسيا ، بل هناك مسلمون من جنوب آسيا وجنوبها الشرقي .

ويتركز اكر عدد من المسلمين في الولايات المتحدة في مدينة ديترويت بولاية ميتشيجان ، ففيها نحو ١٥٠٠٠ مسلم ، اما في نيويورك فيقدر عددهم بنحو ٣٠٠٠ ، وفي شيكاغو ٢٥٠٠ ، وفي توليدو بولاية اوهايو نحو ١٥٠٠ مسلم . وهناك جماعات صغيرة متفرقة في الولايات المتحدة منهم ١٥٠ مسلما يعيشون في مدينة سيدار رابيد ، ونحو ٦٠٠ في سكرامنتو بمنطقة كاليفورنيا .

وقد عمل المهاجرون الاولون من المسلمين في مختلف الحرف والمهن التي اتقنوها ، واستطاع كثيرون ان يحسنوا مستواهم العلمي والثقافي . وكانوا في جميع الاحوال يهتمون بتعليم اولادهم ، فاحتل الجيل الثاني - وهم الموجودون الآن - مراكز بارزة في مهن الطب والقانون والمحاسبة ومارس كثيرون من المسلمين ، من ابناء الشرق الاوسط حرفة التجارة .



وهم يقرأون القرآن الكريم باللغة العربية ، وان كان بعضهم لا يجيد القراءة . وقد تلقوا تعاليم الاسلام عن آباءهم او عن امام المنطقة التي يعيشون فيها اذا كانت الجالية كبيرة ، وكان هناك مسجد لاقامة الصلاة وعقد الاجتماعات لتلقي تعاليم الاسلام .

وتوجد في مدينة " سكرامنتو " في ولاية كاليفورنيا جالية باكستانية يشتغل اكثر ابنائها في الزراعة ، وبعضهم يملك مزارع كبيرة تدر عليه آلاف الدولارات . ويملك المسلمون الباكستانيون في مدينة نيويورك ناديا خاصا بهم في حي مانهاتن اطلقوا عليه نادي العصابة الاسلامية . وتهتم هذه الجمعية الاسلامية بالشئون الدينية المتعلقة بالمسلمين الباكستانيين في نيويورك ، واكثرهم يشتغل في المصانع او يدير بعض المطاعم الشرقية او نحو ذلك .

وفي بروكلين جالية يمنية تحمل الطابع اليمني في حياتها ، وهي حوالي ٣٠٠ شخص ، وقد اتجه اكثرهم الى العمل في المصانع او المعامل او نحو ذلك .

وتوجد في نيويورك جالية سودانية واخرى سورية ولبنانية ، وتعيش هذه الجاليات مع الجاليات الاسلامية الاخرى في تعاون ومودة واخاء .

وقد قام الزوج في امريكا بدور كبير في نشر الاسلام . ومن الذين قاموا بالتبشير له في حي " هارليم " - وهو حي الزوج في نيويورك - رجلان من المسلمين عام ١٩٣١ م : احدهما زنجي يدعى صوفي عبد الحميد ، نشأ في شيكاغو ، وعاش فترة من حياته في الشرق الاوسط . اما الآخر فكان يدعى حافظ الحكيم ، وكان متضلعا في العلوم الاسلامية . وقد صادفت دعوتهما هوى في قلوب كثيرين من الزوج لانهما اعلنا لهم ان الدين الاسلامي هو دين المساواة ، ولا فضل

لمربي على عجمي الا بالتقوى ، وان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وان الله لا ينظر الى الوان الناس ولا الى صورهم ، انما ينظر الى قلوبهم واعمالهم .

وقد ظلا يدعوان الناس الى حضور دروسهما الدينية في السدار التي خصصت لذلك حتي بلغ عددهم عام ١٩٣٦ ( ٣٠٠ ) شخص ، اسلم منهم ( ٢٥٠ ) شخصا .

وفي عام ١٩٣٨ م قام احد تلاميذ صوفي وحافظ ، ويدعى عبد الودود ، بتأسيس المركز الاسلامي الغربي الوطني في هارليم ، وطفق ينظم هو وزوجته " رزقه " الاجتماعات الدينية لنشر التعاليم الاسلامية بين زوج نيويورك . وفي عام ١٩٤٢ قامت سيدة هندية تدعى البيجوم عطية بتأسيس المعهد الاسلامي . وبعد سنتين اسس عبد الودود الجمعية الاسلامية الدولية .

ويقوم محمد جواد تشيري ، الملقب بخادم الشريعة الاسلامية في امريكا ، بدور كبير في الدعوة الى الدين الاسلامي في الولايات المتحدة . وقد نشأ في مدينة النجف بالعراق ، وسافر في عام ١٩٣٦ الى لبنان ، وهناك درس اصول الدين والشريعة ، ثم سمع به بعض اللبنانيين المسلمين المهاجرين في ديترويت بولاية ميشيغان الامريكية ، فدعوه للاقامة هناك لتفقيه الكبار وتعليم الصغار . فسافر اليها في مارس عام ١٩٤٩ . وكان في اول عهده هناك يدرس باللغة العربية لمن يعرفها حتى تعلم هو اللغة الانجليزية واتقنها ، وبدأ يعظ بها .

اما لقب خادم الشريعة الاسلامية فقد اطلقه عليه مسـلـمـو امريكا لانه وقف حياته على خدمة الدين . وقد تبرع السيد الرئيس

جمال عبد الناصر بمبلغ ٤ الف دولار لانشاء مركز اسلامي في دترويت يقوم بخدمة جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، ويبلغ عدد هم نحو ١٥٠٠٠ . ويدير هذا المركز مجلس ادارة منتخب من اعضاء الجالية الاسلامية يتولى جمع الاكتاب لاستكمال المشروع الذي يتكلف حوالي ٢٠٠٠٠٠ دولار .

وقد تقرر تزويد مساجد دترويت بمكتبات تساهم فيها وزارتا التربية والتعليم والاوقاف والمؤتمر الاسلامي والازهر ، وفيها يتم تعليم اللغة العربية والدين للناشئين والكبار على السواء ، كما سيختار لهذه المساجد والمراكز ائمة من الازهر . ويسمى زعيم المسلمين في دترويت الامام وهبي اسماعيل ، وهو من مواطني البانيا السابقين . وفي توليد وولاية اوهايو يقوم الشيخ كامل ( عود تيش ) بالدعوة الى الاسلام . وقد تلقى علومه في كلية اسلامية في يوغسلافيا ، ثم التحق بالازهر وتخرج فيه ، ثم عمل مدرسا و مترجما في القاهرة بـعض الوقت ، ثم دعتة الجالية الاسلامية في شيكاغو عام ١٩٤٦ ليكون اماما . وفي عام ١٩٥٨ انتقل الى توليد وفي ولاية اوهايو ، وكان يدرس اللغة العربية ، ويقسر القرآن الكريم ، ويؤم المصلين . كما كان يدعى لعقد الزواج بين الطوائف الاسلامية في مختلف مدن الولاية ، ويلقي ست محاضرات على الاقل شهريا في مختلف الموضوعات الاسلامية . وفي امريكا الان نحو اثني عشر مسجدا ، وفي مقدمتها مسجد واشنطن الجديد ، واصغرها مسجد الجالية الباكستانية في مدينة سكرامنتو في ولاية كاليفورنيا . وهناك غير ذلك عدد كبير من المصليات . وربما كان اول مسجد بني في نصف الكرة الغربي هو مسجد الجالية السورية اللبنانية في دترويت . وقد تم انجازه في عام ١٩٢٢ م ، غير ان

الجالية شرعت في بناء مسجد آخر . واكبر مسجد قديم في امريكا هو مسجد ولاية ايوا الذي تم بناؤه عام ١٩٣٥ م . ويوجد في نيويورك مسجد متوسط يوءمه كثيرون من الجالية التتيرية البولندية . وفي مدينة لوس انجلوس بنى رجل اميكي اعتنق الاسلام ، اسمه محمد عبد الله رينولدز ، مسجدا على شاطيء امريكا الغربي . اما مسجد واشنطن فهو اكبر المساجد الامريكية واجملها . وقد الحق به معهد للدراسات الاسلامية ، ومركز للتعاون الثقافي بين الشرق والغرب ، ومكتبة تضم آلاف الكتب القيمة من جميع انحاء العالم . وللمركز جناح لسكنى المدير والمكاتب التابعة للمعهد . وقد استقبل المركز الاسلامي كثيرا من كبار الضيوف المسلمين مثل الرئيس الاندونيسي احمد سوكارنو ، وشاه ايران ، وملك المغرب ، وملك المملكة العربية السعودية ، ورئيس وزراء افغانستان ، وكثيرين غيرهم من الضيوف الممتازين من جميع انحاء العالم الاسلامي . ويفتح المركز الاسلامي في واشنطن ابوابه في شهر رمضان المبارك لصلاة التراويح . وفي عيد الفطر المبارك وعيد الاضحى يجتمع مئات المسلمين في المساجد لاداء فريضة الصلاة ، ولتبادل التهاني بهذا اليوم السعيد . وقد تكلف بناء المركز الثقافي الاسلامي في واشنطن ٣ ملايين دولار ، وساهمت جميع الدول الاسلامية في بنائه . وقد تبرع السيد يوسف ابو الهوى بربع مليون دولار لبناء هذا المركز ، واقامه شركة البترول العربية السعودية ، ومركزها الظهران ، حديقة فيحاء مليئة بالزهور الجميلة ، والاشجار المنسقة حول المركز فزادته جمالا وروعاً .

ويوجد في مدينة " سان فرانسيسكو " مركز ثقافي اسلامي ، يرأسه طبيب ايطالي اعتنق الاسلام ، وهو الدكتور كاريو . ويشغل منصب امين الصندوق احد اطباء الاقليم الشمالي ، ويعمل في احد مستشفيات مدينة " سان فرانسيسكو " . ووكيلة المركز سيدة امريكية اعتنقت الدين الاسلامي ، وسمت ابناؤها اسماء عربية مسلحة ، وهي صاحبة ايد بيض على المركز الاسلامي في " سان فرانسيسكو " .

وقد عقد المسلمون في الولايات المتحدة في صيف عام ١٩٥٤ مؤتمرا في مدينة شيكاغو ، حضره مندوبون كثيرون من شتى الجمعيات الاسلامية ، واشترك فيه من الاقليم الجنوبي الدكتور محمود الشواربي الاستاذ بجامعة ماريلاند ، وقرر المؤتمر تكوين اتحاد يسمى " اتحاد المنظمات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا " ، وانتخب السيد عبد الله عجوم اول رئيس لاول اتحاد اسلامي في نصف الكرة الغربي ، لما قام به من جهود كبيرة ، وما بذله من مساع مشكورة في تكوين هذا الاتحاد .

وقد اقامت هذه المنظمة الاسلامية دعائم دستورها على الآيئة القرآنية الكريمة " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " . والهدف الذي يرمي اليه دستور هذا الاتحاد هو تنمية روح الاسلام وفلسفته واخلاقه وثقافته بين اعضاء المنظمة واطفالهم ، وايضاح روحه ومبادئه السامية عن طريق النشرات وغيرها .

وفي يونية عام ١٩٥٨ عقد اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا مؤتمره السابع الذي استغرق ثلاثة ايام ، وحضره ٧٠٠ مندوب يمثلون ٤٥ اتحادا اسلاميا في امريكا الشمالية . وقد بدأ المؤتمر بحفلات التعارف ، ثم بصلاة الجمعة .

وانشيء في نيويورك مجلس اسلامي اعلى لمدينة نيويورك ، مثل فيه كثير من الجمعيات الاسلامية ، وهي : جمعية اتحاد وادي النيل وجمعية الاتحاد النوبي السوداني ، وجمعية شمال افريقيا الامريكية ، وجمعية الاتحاد الباكستاني بأمريكا ، والجمعية اليمينية الامريكية ، والجمعية الدولية الاسلامية ، والجمعية الاندونيسية ، والجمعية الاسلامية الامريكية ، والارسالية الاسلامية الامريكية ، وجمعية الملايو الامريكية ، والاتحاد العام للجمعيات المراكشية ، وجمعية الشباب الاسلامي ، والجمعية الثقافية للسيدات المسلمات .

ويقوم الشيخ وهي اسماعيل - وهو عالم الباني درس في الجامع الازهر ، ويرأس الجمعية الاسلامية اللبنانية في مدينة " ترويت " بولاية ميتشجان - باعداد دليل عام للمسلمين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا . وليس من شك في ان اتمام هذا العمل العظيم سوف يعود بفائدة كبيرة على المسلمين هناك ، ويوضح للبلاد العربية سفراءها المسلمين الذين يقومون بدورهم في خدمة القضايا الاسلامية والعربية في صمت وسكون ، ودون صخب ولا ضوضاء . كما تعمل جمعية التعريف الدولي للاسلام على طبع عدد من النشرات والكتيبات . ومن بينها نشرات عن الفكرة الدولية في الاسلام ، وحقوق المرأة في الاسلام ، والنظم الاقتصادية في الاسلام ، وآراء فلاسفة العرب وعلمائه في الاسلام ، ولماذا اسلمنا ، وفضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ونظرة الاسلام الى الرق والرقيق ، والاسلام والتسامح الديني ، والاخاء الدولي الاسلامي ، والاسلام والديموقراطية ، والحرية والاخاء والمساواة في الاسلام ، وآراء بعض من اسلموا من المثقفين الاوربيين والامريكيين .

وتقوم الجمعية بطبع هذه النشرات بناءً على توصيات سكرتير  
جمعية التعريف الدولي بالاسلام وهو الدكتور محمود يوسف الشواربي  
صاحب كتاب "الاسلام في امريكا" .

### الاسلام في امريكا الجنوبية

يقال ان العرب حاولوا اكتشاف امريكا الجنوبية في القرن العاشر  
للميلاد او اوائل القرن الحادى عشر . ويستند اصحاب هذه الرواية  
الى ما كتبه الادرسي المورخ المعروف في كتابه " نزهة المشتاق في  
اختراق الآفاق " ، من ان جماعة من مسلمي الاندلس ، من اهل  
الحامة ، على مقربة من لشبونة ، يعرفون بالمغرورين - وهم ثمانية  
فتيان اخوة او ابناء عم - انشأوا لهم مركبا كبيرا ، وشحنوا فيه من  
الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ، ثم خرجوا الى بحر الظلمات من ثغر  
لشبونة عند مهب الريح الشرقية ، وساروا في الغرب نحو احد عشر يوما ،  
وصادفوا مهالك كادت تودي بهم ، حتى انقذهم لفيق من البربر ،  
واعلموهم ان بينهم وبين الاندلس مسيرة شهرين ، وان المكان الذى  
رسوا فيه يقع في اقصى المغرب . ولا يستبعد ان يكون الشاطيء  
الذى رسوا فيه جزيرة سان بول او احدى جزر فرناندو دي نورونها  
الواقعة في مياه امريكا الجنوبية على مسافة نحو مائة وخمسين ميلا من شرق  
البرازيل ، فان مثل هذه المدة التي قطعوها تحملهم الى هذه  
المنطقة ولا يستبعد بعد ذلك ان يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا  
هذه الجزيرة ، ثم توغلوا في القارة الجنوبية ، ونشروا دين الاسلام  
هناك بين طائفة من الناس .

وفي اقاليم امريكا الجنوبية مسلمون يقومون بدور كبير في ميدان

الحضارة والتقدم ، ويعيشون جنباً الى جنب مع اهالي البلاد في مودة  
واخاء . ويبلغ عدد المسلمين في امريكا الجنوبية نحو ٥٣.٠٠٠ نسمة  
على حسب الاحصائية التي اصدرتها جمعية تقريب المذاهب الاسلامية  
والتي يرأسها العالم الايراني الشيخ تقي الدين الغمي .  
ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية في المساجد والجوامع  
المنتشرة في احياء متفرقة من اقاليم امريكا الجنوبية .  
وهناك عدد كبير من الزوج المسلمين ، الذين اسلموا نتيجة  
لاختلاطهم بالعرب الوافدين من اسبانيا وبلاد المغرب ، ومن الوطن  
العربي بوجه عام ، ولا طمئنانهم الى ان الاسلام هو دين المساواة ،  
ولا يمانهم بأن لا خلاص لهم - في هذا العالم المتطاحن -  
الا باعتناقهم ديناً لا يجد رسوله العربي فضلاً لعربي على عجمي  
الا بالتقوى ، وتمسكهم بشريعته .  
الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها اكفاء

\*\*\*\*\*



## مستقبل الاسلام في العالم

=====

### اتجاه العالم بأسره الى الجاهلية :

لاسباب تاريخية عقلية ، طبيعية قاسرة ، تحولت اوربا جاهلية مادية ، تجردت من كل ما خلفته النبوة من تعاليم روحية ، وفضاءل خلقية ، ومبادئ انسانية ، واصبحت لاتوءمن في الحياة الشخصية الا باللذة والمنفعة المادية ، وفي الحياة السياسية الا بالقوة والغلبة ، وفي الحياة الاجتماعية الا بالوطنية المعتدية ، والجنسية الفاشمة ، واثارت على الطبيعة الانسانية ، والمبادئ الخلقية ، وشغلت بالآلات ، واستهانت بالغايات ، ونسيت مقصد الحياة ، وجهادها المتواصل في سبيل الحياة وبسعيها الدائب في الاكتشاف والاختبار مع استهانتها المستمرة بالثريية الخلقية وتفذية الروح وجحودها بما جاءت به الرسل ، وبامعانها في المادية ، ويقوتها الهائلة مع فقدان الوازع الديني ، والحاجز الخلقى ، اصبحت فيلا هاججا ، يدوس الضعيف ، ويهلك الحرث والنسل ، ويانسخاب المسلمين من ميدان الحياة ، وتنازلهم عن قيادة العالم وامامة الامم ، ويتفريطهم في الدين والدنيا ، وجنايتهم على انفسهم وعلى بني نوعهم ، اخذت اوربا بناصية الامم ، وخلفتهم في قيادة العالم ، وتسيير سفينة الحياة والمدنية التي اعتزل ربابها ، وبذلك اصبحت العالم كله — بأومه وشعوبه ومدنياته — قطارا سريعا تسير به قاطرة الجاهلية والمادية الى فائتها ، واصبح المسلمون — كغيرهم من الامم — ركابا لا يملكون من امرهم شيئا ، وكلما تقدمت اوربا في القوة والسرعة ، وكلما ازدادت وسائلها ووسائطها ، ازداد هذا القطار

البشرى سرعة الى الغاية الجاهلية بحيث النار والدمار والاضطراب  
والتناحر والغوضى الاجتماعية والانحطاط الخلقي والقلق الاقتصادي  
والافلاس الروحي ، وها هي اوربا تستطي الان اسرع قطار ،  
وتريد ان تصل الى غايتها بسرعة الطائرة بل بسرعة القوة الذرية .

### استيلاء الفلسفة الاوربية على العالم :

وليس على وجه الارض اليوم امة او جماعة تخالف الام الغربية في  
عقائدها ونظرياتها وتزاحمها في سبورها وتعارضها في وجهتها  
وتناقشها في مبادئها وفلسفتها الجاهلية ، ونظام حياتها المادي  
لا في اوربا ولا في امريكا ، ولا في افريقية وآسيا ، والذي نرى ونسمع من  
خلاف سياسي ونزاع بين الام فانما هو تنافس في القيادة ، وتنازع  
فيمن يكون هو القائد الى هذه الغاية المشتركة ، فدول المحور انما  
كانت تكره ان يبقى الحلفاء مستبدين بالقيادة العالمية منذ زمن طويل  
مستأثرين بموارد الارض وخبراتها واسواقها ومستعمراتها ، وبشرف  
السيادة على العالم وخدمهم مع انها لا تقل عنهم في القوة والعلم  
والنظام والنبوغ والذكاء ، بل ربما تفوقهم ، اما انها كانت تريد ان  
تسير الى غاية اخرى وان تقوم بدعوة المسيح ، وتقيم في الارض القسط ،  
وان تقود الامم الى الدين والتقوى وتنصرف بها وتتجه من المادية  
الى الروحانية والاخلاق ، فهيهات هيهات .

اما روسيا الشيوعية فليست الا ثمرة الحضارة الغربية ، قد اينعت  
وادركت ، ولا تمتاز عن الشعوب والدول الاوربية الا ان روسية قد  
خلعت جلباب النفاق والزور ونفذت ما تزوره وتبطنه الام الغربية منذ  
زمن طويل ، وتعقده منذ قرون في الاخلاق والاجتماع ، وقد استبطأت

روسية سير هاتيك الامم والدول في سبيل اللادينية والمادية ، فهي تريد ان تتولى قيادة العالم ، وتسير بالامم الانسانية سيرا حثيثا الى ما وصلت اليه .

### الشعوب والدول الآسيوية :

اما الشعوب والدول الآسيوية والامم الشرقية فهي في طريقها الى الغاية التي وصلت اليها شعوب اوربا في الحضارة والسياسة وتدين بما تدين به هذه الشعوب في الاخلاق والآداب والاجتماع ، وتعتقد ما تعتقده عن الحياة والكون ، وتتحلى بما تتحلى به من سيرة وخلق وتهذيب ، الا انها لا ترضى ان يتولى امرها النزلاء الاجانب ويقوموا عليها الحجر كما يقام على السفه ، وان تكون للاوربيين عليها دول وامبراطوريات ينعمون في ظلها ويرتعون في جنباتها ، ولا يكون لها مثلها في الشرق وافريقية وآسيا ، ولا تستمتع حتى في داخل بلادها بما استمتع به الاوربيون طويلا حتى في خارج بلادهم . اما انها تنكر على الاوربيين ما ديتهم وتنقم منهم اخلاقهم وسيرتهم وتنعي عليهم فلسفتهم ومبادئهم فلعل ذلك لا يخطر منها على بال ، بل قد زين لها كل ما تتصف به الامم الآوربية فحلى في عينها .

وكلما سنحت لهذه الامم فرصة الاستقلال وملكت زمام امورها تجلت اخلاقها ومبادئها وظهرت سيرتها الجاهلية في صورتها الطبيعية الحقيقية ، فاذا هي افطع صورة وابشعها في التاريخ ، قساوة قلب وضراوة بالدم الانساني وهتك للاعراض ونهب للاموال وقتلا وتدميرا ، وقد ظهرت من بعض هذه الشعوب الآسيوية على اشر استقلالها من الحكم الاجنبي فظائع ومنكرات تستبشعها الوحوش والسباع وتستك منها الاسماع ، فقد عاملت بعض الشعوب المواطنينة

بعصبية دينية وسياسية ، معاملة عز نظيرها في التاريخ ، رضعاء يقتلون ويقطعون اربا اربا ، ونساء تهتك اعراضهن ثم يقتلن من غير رحمة ولا حياء ، وآبارتسمم وبيوت تهدم ونيران تشعل وقنابل تقذف ، واذ دخلوا قرية فاتحين منتصرين افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ووضعوا فيها السيف ، وعاث الوحوش في الدماء والاعراض حتى اقرت القرى ، وامتلأت الابار بالسيدات اللاتي آثرن الموت على هتك الاعراض ، هذا عدا نساء قتلن بهمجية وطرق فظيعة لم تسبق في التاريخ الى غير ذلك من الافاعيل التي يشك فيها الناس في البلاد الاسلامية والمتحضرة .

هذا غير ذلك الاضطهاد الديني والمقاطعة الاجتماعية التي تلقاها تلك الطوائف في بلادها ، وما تلقى ثقافتها وديانها من مطاردة ومهاجمة من تلقاء هذه الشعوب فتحرم الحرية الثقافية واللسانية وترغم على لغة مصطنعة دائرة ، ويحاول الاقوياء ان يمحوا كل اثر من آثار حضارتها وثقافتها ويختلقوا عليها الاكاذيب والجنايات ، ويمثلوا قصة الحمل والذئب كل يوم ، فيعزل رجالها من الوظائف وتسد في وجوههم ابواب المعاش والتجارة والحرف ، وتقفل دكاكينهم ومحالهم التجارية وتصادر املاكهم واموالهم بعلل واهية مضحكة .

ثم ان هذه الامم افلست افلاسا شائنا في الدين والاخلاق ، وقد اشربت في قلوبها حب المال والمادة ، وتسلط عليها شيطان الاثرة والجشع حتى ضجت منها الحكومات وتعبت ، فقد ارتفعت الاسعار ارتفاعا فاحشا ، فلما التجأت الحكومة الى التسعير اخفت السلم والاموال ، واصبح الناس ، لا يجدون كسوة ولا طعاما ولا حاجة الا بالسعر الذي يريده التاجر ، فنفتت السوق السوداء وشاعت الجنايات

والخيانات والارتشاء والتهريب ، واصبحت الحكومة والتجار كفرنسي  
رهان او قرني ميدان ، كل يريد ان يغلب صاحبه وينتهز فرتسه ،  
واصبح الناس حبة بين حجرى الرعى لا يدرون كيف يفعلون .  
وقد حاول رجال الاصلاح والديانة ان ينفخوا في هذه الامة  
حياة جديدة ويثثوا فيها روح الاخلاق والفضيلة والامانة والاقتصاد —  
فأخفقوا اخفاقا تاما ، وعلموا ان خلق امة بأسرها اهون من اصلاح  
هذه الامة وتهذيبها وقد انقطعت مادتها وانقضى اجلها .  
وهكذا اصبح العالم شرقا وغربا في ازمة روحية وخلقية واجتماعية  
واقتصادية تطلب حلا سريعا عاجلا .

### الحل الوحيد للآزمة العالمية :

والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة  
من اليد الاثيمة الخرقاء التي اساءت استعمالها الى يد اخرى بريئة  
خائفة .

ان تحول القيادة من بريطانيا الى امريكا ومنهما جميعا الى  
روسيا لا يغني فناء ولا يغير من الموقف شيئا ، فان هذا التحول ليس  
الانقل المجداف من اليمين الى الشمال اذا تعبت الالمنى او  
بالعكس ، فما دام المجداف واحد فلا فرق بين يمينه وشماله ،  
وليست بريطانيا وامريكا وروسيا الا ايدي رجل واحد تتداول دفة  
الحياة ، وتتناوب تجديف السفينة على خط واحد الى جهة واحدة .  
ان التحول المؤثر الواضح هو تحول القيادة من اوربا — بالمعنى  
الواسع الذى يشمل بريطانيا وامريكا وروسيا ومن كان على شاكلتها —  
من الامة الآسيوية والشرقية — التي تقودها النادية والجاهلية ، الى

العالم الاسلامي الذي يقوده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته  
الخالدة ودينه الحكيم .

هذا هو التحول الذي يغير وجه التاريخ ، ويحول مجرى الامور  
وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه .

ان حقا على العالم الاسلامي ان يمضي نفسه بهذا المنصب  
الخطير ، ويطمح اليه ، وان حقا على كل بلد اسلامي وشعب اسلامي  
ان يشد حيازيمه لذلك ، وان حقا على كل مسلم ان يجاهد في سبيله  
ويبذل ما في وسعه ، فهذه هي المهمة الشريفة التي نيّطت بالامة  
الاسلامية يوم برزت الى عالم الوجود ، ويوم ظهرت نواتها في جزيرة  
العرب .

### العالم الاسلامي على اثر اوربيا :

من الغريب الواقع ان المسلمين قد اصبحوا في الزمن الاخير في  
كثير من نواحي الارض حتى في مراكز الاسلام وعواصم حلفاء للجاهلية  
الاوربية وجنودا متطوعين لها ، بل صار بعض الشعوب والسدول  
الاسلامية يري في الشعوب الاوربية التي تزعمت حركة الجاهلية منذ  
قرون ونفخت فيها روحا جديدة ، وركزت اعلامها على الشرق والغرب  
ناضرا للمسلمين ، حاميا لدمار الاسلام المستضعف ، حاملا لرايصة  
العدل في العالم قواما بالقسط .

ورضي عامة المسلمين بأن يكونوا ساقا عسكر الجاهلية بدل ان  
يكونوا قادة الجيش الاسلامي ، وسرت فيهم الاخلاق الجاهلية ومبادئ  
الفلسفة الاوربية شريان الماء في عروق الشجر والكهرباء في الاسلاك ،  
فترى المادية الغربية في البلاد الاسلامية في كثير من مظاهرها

وأثارها ، ترى تهاافتا على الشهوات ونهما للحياة نهم منن لا يوء من  
بالآخرة ، ولا يوقن بحياة بعد هذه الحياة ، ولا يدخر من طيباتها  
شيئا . وترى تنافسا في اسباب الجاه والفخار وتكالبا عليها فعل من  
يغلو في تقويم هذه الحياة واسبابها ، وترى ايثارا للمصالح والمنافع  
الشخصية على المبادئ والاخلاق ، شأن من لا يوء من بنبي ولا بكتاب  
ولا يرجو معادا ، ولا يخشى حسابا . وترى حبا للحياة وكراهة للموت ،  
دأب من يعد الحياة الدنيا رأس بضاعته ، ومنتهى امه ، ومبلغ  
علمه ، وترى افتتانا بالزخارف والمظاهر الجوفاء كالام المادية التي  
ليس عندها اخلاق ولا حقيقة حية ، وترى خضوعا واستكانة للانسان  
حيث يملك المال او القوة او المنصب والجاه شأن الامم الوثنية وعبدة  
الاضنام .

المسلمون على علاتهم موثل الانسانية وامة المستقبل :

ولكن برغم كل ما اصيب به المسلمون من علة وضعف فانهم هم  
الامة الوحيدة على وجه الارض ، التي تعد خصيم الامم الغربية  
وغريمتها ومنافستها في قيادة الامم ، ومزاحمتها في وضع العالم  
والتي يعزم عليها دينها ان تراقب سير العالم وتحاسب الامم على  
اخلاقها واعمالها ونزعاتها ، وان تقودها الى الفضيلة والتقوى ،  
والى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنم  
بما استطاعت من القوة ، والتي يحرم عليها دينها ويأبى وضعها  
وفطرتها ان تتحول امة جاهلية .

هذه هي الامة التي يمكن ان تعود في حين من الاحيان خطرا  
على النظام الجاهلي الذي بسطته اوربا في الشرق والغرب وان تحبط  
مساعيها .

وقد وصف هذا الخطر شاعر الاسلام الحكيم " محمد اقبال " في قصيدته البديعة : ( برلمان ابليس ) على لسان ابليس ، ذكر فيها ان الشياطين وزملاء ابليس واعوانه اجتمعوا في مجلس شورى ، وتباحثوا في سير العالم واطار الفد وفتنه ، وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الابليسي ومهمتهم الشيطانية ، فتذاكروا في فتن واطار قد احدثت بهم وهددت نظامهم ، وجللوا خطبها وتنازروا شرها ، فذكر احد هم الجمهورية وحسب لها حسابا كبيرا ، فقال الثاني : لا يهولنك امرها فانها ليست الا غطاء للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهورى ، ان رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته ، وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها ، فألهينا بلعبة الجمهورية ، وليس الشأن في الامير والملك . ان الملوكية لا تنحصر في وجود شخص ترتكز فيه الملوكية وفرد يندتد بالسلطان ، انما الملوكية ان يعيش الانسان عيالا على غيره مستشرفا الى متاع غيره ، سواء في ذلك الشعب والفرد : اما رأيت نظام الغرب الجمهورى وجه مشرق وضاح وباطنه اظلم من باطن جنكيزخان .

فقال الآخر : لا بأس اذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الدهماء التي اثارها هذا الهىودى الذى يدعى كارل ماركس ذلك الباقعة الذى ليس نبيا ولكنه يحمل عند اتباعه كتابا مقدسا ، هل عندك نبأ أنه اقام العالم واقعه ، واثار العبيد على السادة حتى تزعزت مباني الامارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطبا رئيس المجلس : يا صاحب الفخامة ، ان سحرة اوربا وان كانوا مريدك المحلصين ولكني لم اعد اثق بفراستهم ها هو السامرى اليهودى الذى هو نسخة من مزدك ( الزعيم الفارسي



الا باحي ) قد كاد يأتي على العالم بقواعده فاستنسر البغاث ، واصبح الصعاليك يراحمون الطوك بالمناكب ويدفعونهم بالراح ( اعلام ارض جعلت بطائحا ) انا قد استهنما بخطب هذه الحركة الاباحية وهاهي قد استفحلت وتفاقم شرها ، وهاهي الارض ترجسف بهول فتنة الغد ، ياسيدى ان العالم الذي كنت تحكمه سينقض عليك ، وينقلب نظام العالم ظهرا لبطن .

فتكلم رئيس المجلس ( ابليس ) وقال : اني امك زمام العالم واتصرف به كيف اشاء ، وسيرى العالم عجا اذا حرشت بين الامم الاوربية فتهاارشت تهاارش الكلاب ، وافترس بعضها بعضا فعل الذئاب واذ ا همست في آذان القادة السياسيين واساقف الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم وجن جنونهم .

اما ما ذكرتم عن الاباحية المزدكية فكونوا على ثقة ان الخرق الذي احدثته الفطرة بين الانسان والانسان لا يرفوه المنطق المزدكي لا يخوفني هو علماء الطرداء والصعاليك السفهاء .

ان كنت خائفا فاني اخاف امة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة في رماذها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبيهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا ، لا يخفى على الخبير المتفرس ان الاسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل .

انا لا اجهل ان هذه الامة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وانها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وارخازه كغيرها من الامم ، انا خبير ان ليل الشرق داج تكفير ، وان علماء الاسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ويضيء لها العالم ، ولكني

اخاف ان قوارع هذا العصر وهزته ستقفض مضجعا وتوقظ هذه الامة وتوجهها الى شريعة ( محمد صلى الله عليه وسلم ) . اني احذركم وانذركم من دين محمد ( صلى الله عليه وسلم ) حامي الذممار ، حارس الذم والاعراض ، دين الكرامة والشرف ، دين الامانة والعفاف ، دين العروة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغي كل نوع من انواع الرق ، ويحمو كل اثر من آثار استعباد الانسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك ، ولا يوتر سلطانا على صعلوك ، يزكي المال من كل دنس وزجس ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل اصحاب الثروة والممتلكات مستخلفين في اموالهم امناء لله وكلاء على المال . واي ثورة اعظم واي انقلاب اشد خطرا ما حدثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل يوم صرخ ان الارض لله لا للملوك والسلطين .

فابذلوا جهنكم ان يظل هذا الدين متواريا عن اعين الناس وليهنتكم ان المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الايمان بدينه ، فخبر لنا ان يبقى مشتغلا بمسائل علم الكلام والالهيات وتأويل كتاب الله والآيات ، اضربوا على آذان المسلم فانه يستطيع ان يكسر ظلام العالم ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا ان يطول ليلته ويبطيه سخره ، اشغلوه يا اخواني عن الجد والعمل حتى يخسر الرهان في العالم . خير لنا ان يبقى المسلم عبدا لغيره ، ويهجر هذا العالم ويعتزله ويتنازل عنه لغيره زهدا فيه ، واستخفافا لخطره يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الامة التي يعزم عليها دينها ان تراقب العالم وتعسه .

### رسالة العالم الاسلامي :

لا ينهض العالم الاسلامي الا برسالته التي وكلها اليه مؤسس

صلى الله عليه وسلم والايمان بها والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالة اعدل منها ولا افضل ولا ايمن للبشرية منها .

وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحهم الاولى ، والتي لخصها احد رسلهم في مجلس يزيد جرد ملك ايران بقوله " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، رسالة لا تحتاج الى تغيير كلمة وزيادة حرف ، فهي منطبقة تمام الانطباق على القرن العشرين انطباقها على القرن السادس الميلادي كأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم لانقاذ العالم من براثن الوثنية والجاهلية .

فلا يزال الناس اليوم عاكفين على اصنام لهم — من اوثان منحوتة ومنجورة ومقبورة ومنصوبة — ولا تزال عبادة الله وحده مغلوطة غريسة ، ولا تزال الفتنة قائمة على قدم وساق ، ولا يزال اله الهوى يعبد ، ولا يزال الاحبار والرهبان والملوك والسلاطين واصحاب القوة والثروة والزعماء اربابا من دون الله تقرب لها القوابين وينصب لها الجبين . وكذلك العالم اليوم رغم اتساعه وتوفر وسائل السفر والانتقال من مكان الى مكان ، واتصال الشعوب والامم بعضها ببعض اضيق بأهله منه بالاسس ، قد ضيقته المادية التي لا تنظر الا الى قدمها ولا تؤمن الا بفائدة صاحبها ، ولا تعرف غير العكوف على الشهوات وعبادة الذات . وقد خنقته الاثرة التي لا تسمح لاثنين بالعيش في اقليم واسع والوطنية الضيقة التي تنظر الى كل اجنبي شززا وتجحد له كل فضل . وتحرمه كل حق .

ثم ضيق خناق هذه الحياة المادية المسيطرون الذين يحتكرون وسائل الحياة والرزق والقوت ، يضيّقون هذه الحياة لمن شاءوا ويوسعونها لمن شاءوا ، ويبسطون الرزق — زعموا — لمن شاءوا ويقدرونه لمن شاءوا ، فأصبحت المدن الواسعة اضيق من حجر ضب وأصبح الناس في بلادهم في شبه حجر كحجر السفيه واليتيم ، وضائق على الناس الأرض بما رحبت وضائق عليهم أنفسهم ، وأصبح الناس في اغلال واصفاد من المدينة والمملكة مهددين في كل وقت بمجاعات مصطنعة وحقيقية ، وحروب خارجية وداخلية ، واضرابات واضطرابات اسبوعية ويومية .

نظم ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ولا تزال في هذا العصر السنتور الراقي المثقف أديان تغيب بعقول الناس وتسخرهم كالحمير والبقر ، وتزين لاتباعها قتل مئات من البشر لاجل بقرة ذبحت في عيد الاضحى ، او شجرة مقدسة عضدت في قرية من القرى . وهنالك أديان بغير اسم الأديان لا تقل في نفوذها وسلطانها ، ولا تقل في جورها وعدوانها وبعثها بعقول اتباعها وفي عجائبها عن الأديان القديمة ، وهي النظم السياسية والنظريات الاقتصادية التي يؤمن بها الناس كدين ورسالة ، وهي أقل مسامحة لمن لا يدين بها واشد قسوة على منافسيها ، واضيق عطنا من الأديان الجاهلية ، وما حرب اسبانيا الاهلية التي دامت مدة طويلة ، وسفكت فيها دماء غزيرة ، وما حرب الصين التي قامت بين الجمهوريين والشيوعيين من اهل الصين ، وحرب ( كوريا ) التي قامت بين الجنوبيين والشماليين ، الا نتيجة اختلاف في العقيدة السياسية والنظريات الاقتصادية .

فرسالة العالم الاسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله والأيمان

باليوم الآخر ، وجائزته الخروج من الظلمات الى النور ، ومن عبادة  
الناس الى عبادة الله وحده ، والخروج من ضيق الدنيا الى سعتها ،  
ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، وقد ظهر فضل هذه الرسالة  
وسهل فهمها في هذا العصر اكثر من كل عصر ، فقد افتضحت  
الجاهلية وبدت سواتها للناس واشتد تذمر الناس منها ، فهذا طور  
انتقال العالم من قيادة الجاهلية الى قيادة الاسلام ، لو نهض  
العالم الاسلامي ، واحتضن هذه الرسالة بكل اخلاص وحماسة وعزيمة ،  
ودان بها كالرسالة الوحيدة التي تستطيع ان تنقذ العالم من الانهيار  
والانحلال .

#### الاستعداد الروحي :

ولكن العالم الاسلامي لا يؤدى رسالته بالمظاهر المدنية التي  
جاءت بها اوربا على العالم ، ويخذق لغاتها وتقليد اساليب  
الحياة التي ليست من نهضة الامم في شيء ، انما يؤدى رسالته  
بالروح والقوة المفقودة التي تزداد اوربا كل يوم افلاسا فيها ، وينتصر  
بالايمان والاستهانة بالحياة والمعروف عن الشهوات ، والشوق الى  
الشهادة والحنين الى الجنة ، والزهد في حطام الدنيا وتعمس  
الاذى في ذات الله صابرا محتسبا قال الله تعالى : ( ولا تهنؤا  
في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألون كما تألمون وترجون  
من الله ما لا يرجون ) ففوة المؤمن وسر انتصاره في ايمانه بالآخرة  
وزجائه لثواب الله ، فاذا كان العالم الاسلامي لا يرى الا ما تراه اوربا  
من المعروض القريب ، ولا يطمح الا فيما تطمح فيه اوربا من حطام الدنيا  
ولا يؤمن الا بما تؤمن به اوربا من المحسوسات والماديات ، كانت اوربا  
بقوتها المادية احق بالانتصار والسيادة من العالم الاسلامي السدى

يتخلف عنها في القوة المادية تخلفاً شائناً ولا يفوقها في القوة المعنوية .

لقد اتى على العالم الاسلامي حين من الدهر وهو مستخف بهذه القوة المعنوية لا يحتفل بها ، ولا يحتفظ بالبقية منها ، ولا يخذلها ، حتى نضب معينها في قلبه ، فلما خاض العالم الاسلامي في المعارك التي تحتاج الى الايمان ، والصبر والثبات ، وتحمل الشدائد والنكبات ، وزلزل بعض الزلزال ، ولجأ الى القوة المعنوية الكامنة في نفوس المسلمين ، كانت كسران بقية يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، هنالك عرف انه قد جنى على نفسه جناية عظيمة باهمال هذه القوة الروحية وتضييعها ، وبحث في جمعته فلم يجد شيئاً يسد مكاتبها ويغني غناها .

وخاض العالم الاسلامي في معارك حاسمة ، وهو يرى ان المسلمين تقوم قيامتهم ، وسوف يهزغون للدفاع عن الاسلام وحماية بلادهم المقدسة ، وبخضبون لله ورسوله وحرماته ، وان الاقطار الاسلامية تشتعل نارا وتتوقد حمية وحماسة ، فاذا الحادث لم يوهثر في العالم الاسلامي التأثير المنتظر ، واذا النظر ضعيل والسخط خافت ، واذا العالم الاسلامي كعادته - في غدواته وروحاته - منهمك في لذاته وشهواته ، كأن لم يحدث كبير شيء ، فعرف ان الحمية الدينية قد ضعفت في العالم الاسلامي ، وان شعلة الجهاد قد انطفأت او - كانت ، وهنالك عرف الناس ضعف العالم الاسلامي وخذلانه وهوانه على انفسهم .

فالمهم الالهم لقادة العالم الاسلامي ، وجمعياته وهيئاته الدينية وللدول الاسلامية غرس الايمان في قلوب المسلمين واشعال العاطفة الدينية ، ونشر الدعوة الى الله ورسوله ، والايمان بالآخرة

على منهاج الدعوة الاسلامية الاولى ، لا تدخر في ذلك وسعا ،  
وتستخدم لذلك جميع الوسائل القديمة والحديثة ، وطرق النشر  
والتعليم ، كتجوال الدعاة في القرى والمدن ، وتنظيم الخطب  
والدروس ، ونشر الكتب والمقالات ، ومدارسة كتب السيرة ، واخبار  
الصحابه ، وكتب المغازي والفتوح الاسلامية ، واخبار ابطال  
الاسلام وشهداءه ، ومذاكرة ابواب الجهاد ، وفضائل الشهداء  
وتستخدم لذلك الراديو والصحافة وكتب الادب ، وجميع القسوى  
والوسائل العصرية .

والقرآن وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قوتان عظيمتان  
تستطيعان ان تشعلا في العالم الاسلامي نار الحماسة والايمان ،  
وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي ، وتجعلان امة  
مستسلمة ، منخذلة ناعسة ، امة فتية ملتبهة حماسا وغيره .

ان علة علل العالم الاسلامي اليوم هو الرضا بالحياة الدنيا  
والاطمئنان بنها ، والارتياح الى الاوضاع الفاسدة والهدوء الزائف  
في الحياة ، فلا يقلقه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ،  
ولا يبهمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة  
النبوية ان وجدا الى القلب سبيلا - يحدث صراع بين الايمان  
والنفاق ، واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة ،  
وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطالة وموت الشهادة ،  
صراع احده كل نبي في وقته ، ولا يصلح العالم الا به . هنالك تفوح  
روائح الجنة ، وتهب نفحات القرن الاول ، ويولد للاسلام عالم جديد  
لا يشبه العالم القديم في شتيه .

الاستعداد الصناعي والحربي :

ولكن مهمة العالم الاسلامي لا تنتهي هنا ، فاذا اراد ان يظلم

برسالة الاسلام ويملك قيادة العالم فعليه بالمقدرة القاطنة ،  
والاستعداد التام في العلوم والصناعة والتجارة وفن الحرب ، وان  
يستغني عن الغرب في كل مرفق من مرفق الحياة ، وفي كل حاجة  
من الحاجات ، يقوت ويكسو نفسه ، ويصنع سلاحه ، وينظم شؤون  
حياته ، ويستخرج كنوز ارضه وينتفع بها ، ويدير حكوماته برجالهم وماله  
ويمخر بحاره المحيطة به بسفنه واساطيله ، ويحارب العدو ببوارجه  
ودباباته واسلحة بلاده ، وتزيد صادراته على وارداته ، ولا يحتاج  
الى الاستدانة من الغرب ، ولا يضطر الى ان يلجأ الى راية من رايته  
وينضم الى معسكر من معسكراته .

اما ما دام العالم الاسلامي خاضعا للغرب في العلم والسياسة  
والصناعة والتجارة ، يمتص الغرب دمه ، ويحفر ارضه فيستخرج منها  
ماء الحياة ، وتفنزو بضائعه اسواق العالم الاسلامي وبيوته وجيوبه  
كل يوم فتستخرج منها كل شيء ، وما دام العالم الاسلامي يستند بين  
من الغرب الاموال ، ويستعير منه الرجال ، ليدبروا حكومتهم ،  
ويشغلوا الوظائف الخطيرة ويدربوا جيوشه ، ويستورد منه البضائع  
ويجلب منه الصنائع ، وينظر اليه كأستان ومرب ، وسيد ورب ، لا يبرم  
امرا الا بانئنه ولا يصدر الا عن رأيه ، فلا يستطيع ابدا ان يواجه  
الغرب فضلا عن ان يناهضه ويغالبه .

هذه هي الناحية العنصرية والصناعية التي اخل بها العالم  
الاسلامي في الماضي فعوقب بالعبودية الطويلة والحياة الذليلة ،  
وابتلى العالم الاسلامي بالسيادة الاوربية الجائرة التي ساقط العالم  
الى النار والدمار والتناحر والانتحار ، فان فرط العالم الاسلامي  
مرة ثانية في الاستعداد العلمي والصناعي والاستقلال في شؤون حياته  
كتب الشقاء للعالم وطالت محنة الانسانية وبلأوهها .



## تبوء الزعامة في العلم والتحقيق :

وقد تنازل العالم الاسلامي — بما فيه العالم العربي — منذ زمن طويل عن مكانته في القيادة العلمية والتوجيه ، والاستقلال الفكري ، واصبح عيالا على الغرب متطفلا على مائدته حتى في اللغة العربية وآداب اللغة وعلومها ، وحتى في علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه . واصبح المستشرقون هم المرشدين الموجهين في البحث والتحقيق والدراسة والتأليف ، وهم المنتهى والمرجع والحجة في الاحكام والآراء الاسلامية والنظريات العلمية والتاريخية ، وهم الاسوة في النقص والابرار . وعدد كبير منهم قسوس وارساليون ويهود ومسيحيون متعصبون ، يضمرون للاسلام وصاحب رسالته — صلى الله عليه وسلم — العدا والبغضاء ، وللحضارة الاسلامية السخرية والاستهزاء ، ويخونون في النصوص والنقول ، ويحرفون الكلم عن مواضعه . ومنهم عدد لم يتقن اللغة العربية ولم يبرع فيها ، وهم يخطئون في فهم النصوص وترجمتها اخطاء فاحشة ، وقد تغلفت افكارهم ودعاياتهم فني الاوساط العلمية الحديثة في العالم الاسلامي وتجلت بصورة واضحة في الدعوة الى فضل الدين عن السياسة ، وان الدين قضية شخصية لا شأن له بالمجتمع ، وان الدين عقيدة وعبادة وخلق لا شأن له بالسياسة والحكم ، وفي الدعوة التي تغيير مفهوم الدين واحكام الشريعة الاسلامية على اساس الحضارة الغربية وفلسفتها التي غير ذلك من الافكار التي يدعوا اليها تلاميذ المستشرقين والخاضعون لهم في الشرق الاسلامي .

وقد عجز كتاب الشرق المسلمون والمفكرون الشرقيون عن مواجهة الحضارة الغربية وجها لوجه ونقد اسسها وقيمتها نقدا حرا جريئا

فيه الابتكار ، وفيه الاستقلال ، وقد بلغ بعضهم من ضعف التفكير ،  
والاغراق في التقليد منزلة رأى فيها ان الحضارة الغربية هي آخر  
ما وصل اليه العقل البشرى وانه لا منزلة وراءها ، ومنهم من دعا  
الى تطبيق الحضارة الغربية برمتها ، وعلى اعاتها في الشرق ، ودعا  
بعض الاقطار الاسلامية العربية الى اعتبار نفسها جزءا لا يتجزأ  
من القارة الاوربية وادابها فيها واختيار الثقافة اليونانية التي هي  
اصل الثقافات الاوربية .

وندر في هذه الطبقة وجود " عملاق " يكفر بالحضارة الغربية  
وفلسفة حياتها وقيمها ويشرح الحضارة الغربية واسسها التي قامت  
عليها في ثقة واعتداد وعلم وبصيرة . ونستثني من هذه الكلية بعض  
الافراد الاقذان كالعلامة " محمد اقبال " من المسلمين القدامى ،  
والاستاذ " محمد اسد " من الاوربيين المهتدين بالاسلام .  
ولا بد - اذ اراد العالم الاسلامي ان يقوم على قدميه  
ويفكر بعقله - ان يقاوم هذا الخضوع ويكون فيه علماء عماليق وكتاب  
جهابذة يتناولون الحضارة الغربية بالنقد والتشريح ، وكتابات  
المستشرقين وآراءهم بالجرح والتعديل . ويتبحرون في العلوم  
الاسلامية ويتعمقون فيها حتى يفيد منهم كبار المستشرقين في اوربا  
وامريكا ويصححون بهم آراءهم واخطاءهم ، ويتوجه رواد العلم  
والتحقيق والدراسات العالية الى عواصم العالم العربي وحواضر  
العالم الاسلامي ، كما اعتادوا ان يتوجهوا الى عواصم اوربا وامريكا .  
فهذه المدن الاسلامية اولى بأن تكون مركزا للثقافة الاسلامية والعلوم  
الدينية وآداب اللغة العربية من العواصم الاوربية وجامعات اوربا ، ومن  
سقوط الهمة والقناعة بالدون ان تتخلي هذه العواصم الغربية في العلم  
والدين عن زعامتها العلمية ومكانتها الرئيسية .

## التنظيم العلمي الجديد :

ولا بد للعالم الاسلامي من تنظيم العلم الجديد بما يوافق روحه ورسالته . وقد ساد العالم الاسلامي على العالم القديم بزعامته العلمية ، فتسرب بذلك في عقلية العالم وثقافته ، وتغلغل في احشاء الادب والفلسفة ، وظل العالم المتمدن قرونا يفكر بعقله ويكتب بقلمه ويؤلف بلغته ، فكان المؤلفون في ايران وتركستان وافغانستان والهند لا يؤلفون كتابا له شأن الا باللغة العربية ، وكان بعضهم يؤلف الاصل بالعربية ويلخصه بالفارسية كما فعل الفزالي في : " كيميا السعادة " .

وان كانت هذه الحركة العلمية التي ظهرت في صدر الدولة العباسية متأثرة باليونان والفجج ، وغير موهسة على الفكر الاسلامي النقي والروح الاسلامي ، وان كانت فيها مواضع ضعف من الناحية العلمية والدينية ، ولكنها سادت على العالم بقوتها ونشاطها ، واضمحل امامها النظم العلمية القديمة .

وجاءت نهضة اوربا فنسخت هذا النظام القديم باختباراتها ونقدتها العلمي ، ووضعت منهاجا جديدا للعلم والدراسة كان نسخة صادقة لروحها وعقليتها ونفسياتها المادية ، فلا يخرج منه الطالب الا وهو متشبع بهذه الروح ، وخضع العالم مرة ثانية لهذا النظام التعليمي وخص له العالم الاسلامي بطبيعة الحال — ان كان مصابا بالانحطاط العلمي والشلل الفكري من زمان ، وكان لا يجد المدد والفوت الا في اوربا — فقبل هذا النظام التعليمي على علاته ، فهو النظام السائد اليوم في انحاء العالم الاسلامي .

وكانت نتيجة هذا النظام الطبيعية ، صراعا بين النفسية  
الاسلامية — ان كانت لاتزال في النفوس لم تقتلها البيئة — وبين  
النفسية الجديدة ، وبين وجهة الاخلاق الاسلامية ووجهة الاخلاقية  
الاوربية ، وبين الميزان القديم والجديد للاشياء وقيمتها ، وكانت  
نتيجة هذا النظام حديث الشك والنفاق في الطبقة المثقفة ، وقلّة  
الصبر ونهاية الحياة وترجيح العاجل على الآجل ، الى غير ذلك مما  
هو من طبائع المدنية الاوربية .

فان اراد العالم الاسلامي ان يستأنف حياته ، ويتحرر من رق  
غيره وان كان يطمح الى القيادة ، فلا بد ان من الاستقلال  
التعليمي ، بل لابد من الزعامة العلمية وما هي بالامر الهين ، انها  
تحتاج الى تفكير عميق ، وحركة التدوين والتأليف الواسعة ، وخبرة  
الى درجة التحقيق والنقد بعلوم العصر مع التشيع بروح الاسلام والايان  
الراسخ بأصوله وتعاليمه ، انها لمهمة تنوء بالعصبة اولي القوة ،  
انما هي من شأن الحكومات الاسلامية ، فتتنظم لذلك جمعيات ، وتختار  
لها اساتذة بارعين في كل فن فيضعون منهاجا تعليميا يجمع  
بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التي لا تتبدل وبين العلوم  
العصرية النافعة والتجربة والاختبار ، ويدونون العلوم العصرية  
النافعة والتجربة والاختبار ، ويدونون العلوم العصرية على اساس  
الاسلام وبروح الاسلام وفيها كل ما يحتاج اليه النشء الجديد ، مما  
ينظمون به حياتهم ويحافظون به على كيانهم ويستغنون به عن الغرب  
ويستعدون للحرب ، ويستخرجون به كنوز ارضهم وينتفعون بخيرات  
بلادهم ، وينظمون مالية البلاد الاسلامية ويدبرون حكوماتها على  
تعاليم الاسلام بحيث يظهر فضل النظام الاسلامي في ادارة البلاد ،

وتنظيم الشؤون المالية على النظم الاوربية ، وتنحل مشاكل اقتصادية  
عجزت اوربا عن حلها .  
وبالاستعداد الروحي والاستعداد الصناعي والحربي  
والاستقلال التعليمي ينهض العالم الاسلامي ، ويؤدي رسالته  
وينقذ العالم من الانهيار الذي يهدده . فليست القيادة بالهزل ،  
انما هي جد الجد ، فتحتاج الى جد واجتهاد ، وكفاح وجهاد  
واستعداد اى استعداد .

\*\*\*\*

١ ١ ١ ١

## زعامة العالم العربي =====

### اهمية العالم العربي :

ان العالم العربي له اهمية كبيرة في خريطة العالم السياسية ، وذلك لانه وطن امم لعبت اكبر دور في التاريخ الانساني ، ولانه يحتضن منابع الثروة والقوة الكبرى : الذهب الاسود الذي هو دم الجسم الصناعي والحربي اليوم ، ولانه صلة بين اوربا وامريكا ، وبين الشرق الاقصى ، ولانه قلب العالم الاسلامي النابض يتجسس اليه روحيا ودينيا ويد بين بحبه وولائه ، ولانه عسى — لا قدر الله — ان يكون ميدان الحرب الثالثة ، ولان فيه الايدي العاملة ، والعقول المفكرة ، والاجسام المقاتلة ، والاسواق التجارية ، والاراضي الزراعية ، ولان فيه مصر ذات النيل السعيد بنتاجها ومحصولها وخصبها وثروتها وزقيها ومدنيتها ، وفيها سورية وفلسطين وجاراتها ، باعتدال مناخها وجمال اقليمها واهميتها الاستراتيجية ، وببلاد الرافدين بشكيمة اهلها ومنابع البترول فيها والجزيرة العربية بمركزها الروحي وسلطانها الديني ، واجتماع الحج السنوي الذي لا مثيل له في العالم وآبار البترول الغزيرة . كل ذلك قد جعل العالم العربي محط انظار القريين ، وملتقى مطامعهم وميادان تنافس لقيادتهم ، وكان رد فعله ان نشأ في العالم العربي شعور عميق بالقومية العربية ، وكثرت التفتني " بالوطن العربي " و " المسجد العربي " .

### محمد رسول الله روح العالم العربي :

ولكن المسلم ينظر الى العالم العربي بغير العين التي ينظر

بها الاوربي ، وبغير العين الني ينظر بها الوطني العربي ، انه ينظر اليه كمهد الا سلام ومشرق نوره ومعقل الانسانية ، وموضع القيادة العالمية ، ويعتقد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم العربي هو روح العالم العربي واساسه وعنوان مجده ، وان العالم العربي بما فيه من موارد الثروة والقوة وبما فيه من خيرات وحسنات — جسم بلا روح ، وخط بلا وضوح اذا انفصل — لأسح الله بذلك — عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع صلته عن تعاليمه ودينه ، وان سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الذي ابرز العالم العربي للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة ، وقبائل متناحرة ، وشعوبا مستعبدة ، ومواهب ضائعة ، وبلاد تتسكع في الجهل والضلالات ، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفرسانية ولا يخطر ذلك منهم على بال ، ولا يصدقون بذلك اذا قيل لهم في حال من الاحوال ، وكانت سورية التي تكون جزءا مهما من العالم العربي مستعمرة رومية تعاني الملكية المطلقة والحكم الجائر المستبد ، لا تعرف معنى الحرية والعدل ، وكان العراق مطية لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والاتاوات الفاحشة . وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقية حلوبا ركوبا ، يجزون صوفها ويظلمونها فسي علفها ، ثم انها تعاني الاضطهاد الديني مع الاستبداد السياسي ، فما لبث هذا العالم المفكك المنحل ، المظلوم المضطهد ، ان هبت عليه نفحة من نفحات الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ادرك رسول الله من هذا العالم وهو ضائع هالك وأخذ بيده وهو ساقط منهالك ، فأحياه باذن الله وجعل له نورا يمشي به في الناموس ، وعلمه الكتاب والحكمة وزكاه ، فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية سفير الاسلام ، ورسول الامن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومشغل

الثقافة والحضارة . كان غوثا للامم ، غيثا للعالم ، هنالك كانت الشام  
وكان العراق ، وكانت مصر ، وكان العالم العربي الذي نتحدث عنه ،  
فلولا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا رسالته ، ولولا ملته ، لما  
كانت سورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا كان العالم  
العربي ، بل ولا كانت الدنيا كما هي الآن حضارة وعقلا ، وديانة  
وخلقا ، فمن استغنى عن دين الاسلام من شعوب العالم العربي  
وحكوماته ، وولى وجهه شطر الغرب او ايام العرب الاولى ، او استلهم  
قوانين حياته او سياسته من شرائع الغرب ودساتيره او اسس حياته على  
العنصرية او العروبة التي لا شأن لها بالاسلام ، ولم يرض برسول الله  
قائدا ورائدا ، واماما وقدوة ، فليرد على محمد بن عبد الله صلى الله  
عليه وسلم نعمته ويرجع الى جاهليته الاولى ، حيث الحكم الروماني  
والفارسي ، وحيث الاستعباد والاستبداد ، وحيث الظلم  
والاضطهاد ، وحيث الجهل والضلالة ، وحيث الغفلة والبطالة ،  
وحيث العزلة عن العالم ، والخمول والجمود ، فان هذا التاريخ  
المجيد ، وهذه الحضارة الزاهية ، وهذا الادب الزاخر ، وهذه  
الدول العربية ، ليست الا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة والسلام .  
الايمان هو قوة العالم العربي :

فالا سلام هو قومية العالم العربي ، ومحمد صلى الله عليه وسلم  
هو روح العالم العربي وامامه وقائده والايمان هو قوة العالم العربي  
التي حارب بها العالم البشرى كله فانتمز عليه ، وهو قوته وسلاحه  
اليوم كما كان بالامس ، به يقهر اعداءه ، ويحفظ كيانه ويؤدى رسالته  
ان العالم العربي لا يستطيع ان يحارب الصهيونية او عدوا آخر بالمال



الذي ترضخه بريطانيا او تتصدق به امريكا ، او تعطيه مقابل ما تأخذ من ارضه من الذهب الاسود ، انما يحارب عدوه بالايمان والقوة المعنوية ، وبالروح التي حارب بها الدولة الرومية والامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعا . انه لا يستطيع ان يحارب اعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت ، ونجس يميل الى الدعة والراحة ، وعقل يخامره الشك وتتنازع فيه الافكار والاهواء ، او بيد مضطربة وقلبا متشككا ضعيفا الايمان وقوة متخاذلة في الميدان فالمهم لامراء العرب وزعمائهم وقادة الجامعة العربية ان يفرسوا الايمان في الشعوب العربية ، وجماهير الامة واولياء الامور ، والجيوش العربية والفلاحين والتجار ، وفي كل طبقة من طبقات الجمهور ، ويشعلوا فيها شغلة الجهاد في سبيل الله ، والتوق الى الجنة ، ويعيشوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء وزخارف الدنيا ، ويعلموهم كيف يتغلبون على شهوات النفس ومآلوفات الحياة ، وكيف يتحملون الشدائد في سبيل الله ، وكيف يستقبلون الموت بثغر باسم ، وكيف يتهافون عليه تهافت الغراش على النور .

علم الله عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الروم والفرس والامم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة ان تتعرض للخطر وتحمل المتاعب والمصاعب في سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الانسانية البائسة ، ولا تستطيع ان تضحي بشيء من دقائق مدنيته وتأنقاتها في اللبس والمأكل وان تنزل عن حظوظها ولذاتها وزخارفها فضلا عن حاجاتها ، وان لا يوجد فيها افراد يقوون على قهر شهواتهم ، والحد من طموحهم والزهد في فضول الحياة ومطامع الدنيا ، والقناعة بالكفاف . فاختار

لرسالة الاسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام امة تضطلع بأعباء  
الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والايتار ، تلك هي الامة العربية  
القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنية ولم ينخرها البذخ والتصرف  
واولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ابر الناس قلوبا واعمقهم  
علما واقلمهم تكلفا .

قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها من الجهاد في  
سبيلها وايتارها على كل ما يقف في وجهها ، والعزوف عن الشهوات  
ومطامع الدنيا فكان في ذلك اسوة وامام للعالم كله ، كلمة وفد قريش  
وعرض عليه كل ما يغرى الشباب ويرضى الطامحين من رئاسة وشرف  
ومال عظيم وزواج كريم ، فرفض كل ذلك في صرامة وصراحة ، وكلمه عنه  
وحاول ان يحد من نشاطه في سبيل الدعوة فقال " يا عم والله لئو  
وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى  
يظهره الله او اهلك فيه ما تركته " ثم كان اسوة للناس في عصره وبعد  
عصره بقيامة بأكثر قسط من الجهاد والايتار ، والزهد وشظف العيش  
واقط قسط من العيش واسباب الحياة ، فقد اوصد على نفسه الابواب  
وسد في وجهه الطرق وتعدى ذلك الى اسرته واهل بيته والتصلين به  
فكان اكثر الناس اتصالا به واقربهم اليه اقلمهم حظا في المعيشة ،  
واعظمهم نصيبا في الجهاد والايتار ، فانما اراد ان يحرم شيئا ببدأ  
ذلك بعشيرته وبيته ، واذا سن حقا او فتح بابا لمنفعته قدم الاخرين  
وربما حرمه على عشيرته الاقربين . اراد ان يحرم الربا فبدأ بربا عمه  
عباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، واراد ان يهدر دماء الجاهلية  
فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأبطله ، وسن الزكاة  
وهي منفعة مالية عظيمة مستنرة الى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بنسي

هاشم الى آخر الابد ، وكلمه علي بن ابي طالب يوم الفتح في ان يجمع  
لبني هاشم الحجابة مع السقاية فأبى وطلب عثمان بن طلحة وناولوه  
مفتاح الكعبة وقال : هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء ، وقال  
خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم الا ظالم ، وحمل ازواجه على  
الزهد والقناعة وشطف العيش وخيرهن بين عشرتهن مع الفقر وضيق  
العيش ، ومفارقتها مع السعة والرخاء وتلا عليهن قوله تعالى :  
" يا ايها النبي قل لا زواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها  
فتمالين امتعن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله  
والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما " فاخترن الله  
والرسول ، وتأتته فاطمة تشكو اليه ما تلقى في يدها من الرحي ويلفها .  
انه جاءه رقيق فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ويقول لها انه خير  
لها من خادم . وهكذا كان شأنه مع اهل بيته والمتصلين به فالاقرب  
ثم الاقرب .

وآمن به رجال من قريش في مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية  
اضطرابا عظيما ، وكسدت تجاراتهم ، وحرم بعضهم رأس ماله الذي  
جمعه في حياته ، وحرم بعضهم اسباب الترف والرخاء واناقة اللباس  
التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغالهم  
بالدعوة وانصراف الزبائن عنه وحرم بعضهم نصيبه في ثروة ابيه .  
ثم لما هاجر الرسول الى المدينة وتبعه الانصار تأثرت بذلك  
بساتينهم ومزارعهم فلما ازادوا ان يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها  
لم يسمح لهم بذلك وانذرهم الله به فقال " وانفقوا في سبيل الله  
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة " .  
وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم فقد  
كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والاموال اعظم من نصيب

اي امة في العالم وقد خاطبهم الله بقوله : " قل ان كان آباؤكم  
وابنائكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقتزفتوها وتجارة تخشون  
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله  
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " وقال :  
" ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول  
الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " لان سعادة البشرية انما كانت  
تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وايتثار ما يتحملون من خسائر ونكبات  
فقال : ( ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس  
والثمرات " وقال : " احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آما وهم  
لا يفتنون ؟ " وكان احجام العرب عن هذه المكربة وتردد هم في ذلك  
امتدادا لشقاء الانسانية واستمرارا للاوضاع السيئة في العالم فقال:  
" الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير " .

وقد وقف العالم في القرن السادس الميلادي على مفترق الطرق  
اما ان يتقدم العرب ويعرضوا نفوسهم واموالهم واولادهم وكل ما يعزز  
عليهم للخطر ويزهدوا في مطامع الدنيا ويضحوا في سبيل المصلحة  
الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم وتستقيم البشرية وتقوم سوق الجنة  
وتروج بضاعة الايمان ، واما ان يوءثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم  
الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم فيبقى العالم في حماً الضلالة  
والشقاء الى ما شاء الله ، وقد اراد الله بالانسانية خيرا وتشجع العرب  
بما نفخ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم من روح الايمان والايتثار وحب  
اليهم الدار الآخرة وثوابها — فقدوا انفسهم فداءً للانسانية كلها  
وزهدوا في مطامع الدنيا طمعا في ثواب الله وسعادة النوع الانساني  
وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، وضحوا بكل ما يحرقه عليه

الناس من مطامع وشهوات وآمال واحلام واخلصوا لله العمل والجهاد  
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين .  
وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول ووقف العالم على  
مفترق الطرق مرة ثانية اما ان يتقدم العرب — وهم امة الرسـول  
وعشيرته — الى الميدان ويغامروا بنفوسهم وامكانياتهم ومطامعهم  
ويخاطروا فيما هم فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة ، وفرص متاحة  
للعيش واسباب ميسورة فينهض العالم من عثاره وتتبدل الارض فيسر  
الارض . واما ان يستمروا فيما هم فيه من طمع وطموح ، وتتنافس  
في الوظائف والمرتبات وتفكر في كثرة الدخل والايراد وزيادة غلبة  
الاملاك وريح التجارات والحصول على اسباب الترف والتنعم فيبقى  
العالم في هذا المستنقع الذي يتردى فيه منذ قرون .  
ان العالم لايسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية  
عابثون على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون  
في غيرها ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلها ولقد كان شباب بعض  
الامم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المادىء التي  
اعتنقوها اكبر منهم نفسا ، واوسع منهم فكرا ، بل كان الشاعر  
الجاهل " امرؤ القيس " اعلى منهم همة ، ان قال :  
ولو انني اسعى لادني معيشة      كفاني ولم اطلب قليل من المال  
ولكنما اسعى لمجد مؤثر      وقد يدرك المجد المؤثر امثالي  
ان العالم لايمكن ان يصل الى السعادة الا على قنطرة مبن  
جهاد ومتاعب . ان الارض لفي حاجة الى سماء وسماء ارض البشرية  
الذي تصلح به وتنبت زرع الاسلام الكريم هي الشهوات والمطامع  
الفردية التي يضحى بها الشباب العربي في سبيل علم الاسلام وبسط  
الامن والسلام على العالم وانتقال الناس من الطريق المؤدية الى جهنم

الى الطريق المؤدية الى الجنة .  
انه لثمن قليل جدا لسلمة غالية جدا .

### العناية بالفروسية والحياة العسكرية :

من الحقائق المؤلمة ان الشعوب العربية قد فقدت كثيرا من خصائصها العسكرية ، ورزئت في فروسيتها التي كانت معروفة بها في العالم ، فكانت رزية كبيرة وخسارة فادحة ، وكانت سببا من اسباب ضعفها وعجزها في ميدان الجهاد ، فقد اضمحلت الروح العسكرية ، وضعفت الاجسام ونشأ الناس على التنعم ، وقد حلت السيارات محل الجياد حتى كادت الخيل العربية تنقرض من الجزيرة العربية ، وهجر الناس المصارعة والمناضلة وسباق الخيل وانواع الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية ، واستبدلوا بها العاب لا تفيدهم شيئا ، فالمهم لرجال التعليم والتربية قادة الشعوب العربية ان يربوا الشبيبة العربية على الفروسية والحياة العسكرية ، وعلى البساطة في المعيشة وخشونة العيش والجلادة وتحمل الشاق والمتاعب ، والصبر على المكروه .

وقد كتب العربي الكبير امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى بعض عماله العرب وهم في بلاد العجم : " اياكم والتنعم وزى العجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، وتمعدوا ، واخشوشنوا ، واخشوشبوا ، واخلولقوا ، واعطوا الركب اسنتها ، وانزوا نزوا ، وارموا الاغراض " .

وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ارموا بني اسماعيل فان اياكم كان راميا " . وقال : " الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي " .

ومن واجب رجال التربية وولاة الامران يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة والجلادة ويبعث على التخثث والعجز ، من عادات وادب وصحافة وتعليم ، ويأخذوا على يد الصحافة الماجنة والادب الخليع الملحد ، الذي ينشر في الشباب النفاق والدعارة والفسوق ، وعبادة اللذة والشهوات ، ولا يسمحوا لهؤلاء التجار الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ان يدخلوا في معسكر محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتم مكارم الاخلاق ، ويفسدوا على الناشئة الاسلامية قلبها واخلاقها ، ويزينوا لها الفسوق والعصيان وحب الفحشاء ، بثمان بخمسة دراهم معدودة ، وقد شهد التاريخ بأن كل امة اصاب رجالها في رجولتهم وفيرتهم ، ونساءؤها في انوثتهم وامومتهم ، وطفى فيهم التبرج ، ومزاحمة الرجال في كل شيء ، والزهد في الحياة المنزلية ، وحب اليهن العقم ، اقل نجمها وكسفت شمسها فأصبحت اثرا بعد عين .

هذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس ، وان اوربا لفي طريقها الى هذه العاقبة ، فليحذر العالم العربي من هذا المصير الهائل .

محاورة التبذير والفرق الهائل بين الغني والصلوك :

وقد اعتاد العرب لاسباب كثيرة وبتأثير الحضارة الغربية حياة الترف والدعة والاعتداد الزائد بالكماليات وفضول الحياة والاسراف والتبذير والاستهانة بمال الله في سبيل اللذة والشهوة والفخر والزينة .  
وبجانب هذا الترف والنعيم وحياة البذخ والتبذير ، جوع وعسر وفقر فاضح ، يرى الناظر مناظره الشائنة في عواصم البلاد العربية فتدمع العين ويحزن القلب وينتكس الرأس حياءً وخجلاً ، فبيننا هنالك رجل

عنده فضول الثياب وزائد الطعام والشرب ، يعمر ديفا يستهلكه  
اذا بيدوى لا يجد قوت يومه وكسوة جسمه ، ويبتما امراء المررب  
واغنياؤهم على سيارات تبارى الريح وتثير النقع ، اذا بفوج من النساء  
والاطفال عليه ثياب سوداء قد اصبحت خيوطا من طول اللبس يعدو  
لاجل فلس او قرص ، فما دامت المدن العربية تجمع بين القصور  
الشامخة والسيارات الفاخرة ، وبين الكواخ الحقبيرة والمبوت المتداعية  
الضيقة المظلمة ، وما دامت التخمة والجوع يزخران في مدينة واحدة ،  
فالباب مفتوح على مصراعيه للغزو الفكرى والمبادئ المستوردة —  
والاضطراب والقلق لا تتقها دعاية ولا قوة ، وان الم يسد النظام الاسلامى  
في بلاد هـ بجماله واعتداله يحل محله نظام جائر بعسفه وقهره عقابا  
من الله كرد فعل عنيف .

#### التخلص من انواع الاثرة :

لقد اتى على العالم العربى عهد في التاريخ كانت الحياة فيه  
تدور حول فرد واحد — وهو شخص الخليفة او الملك — او حول حفنة  
من الرجال — هم الوزراء وابناء الملك — وكانت البلاد تعتبر ملكا  
شخصيا لذلك الفرد السعيد والامة كلها فوجا من المماليك والعبيد ،  
يتحكم في اموالهم واملاكهم ونفوسهم واعراضهم ، ولم تكن الامة التي  
كان يحكم عليها الا ظلا لشخصه ولم تكن حياتها الا امتدادا لحياته .  
لقد كانت الحياة تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها  
وآدابها وشعرها وانتاجها ، فاذا استعرض احد تاريخ هذا العهد  
او ادب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الامة  
او المجتمع ، كما تسيطر شجرة باسقة على الحشائش والشجيرات التي  
تنبت في ظلها وتمنعها من الشمس والهواء ، كذلك تضمحل هذه



الامة في شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح امة هزيلة لا شخصية لها ولا ارادة ، ولا حرية لها ولا كرامة .

وكان هذا الفرد هو الذي تدور لاجله عجلة الحياة ، فلاجله يتعب الفلاح ويشغل التاجر ويجتهد الصانع ويؤلف المؤلف وينظم الشاعر ، ولاجله تلد الامهات ، وفي سبيله يموت الرجال وتقاتل الجيوش ، بل ولاجله تلفظ الارض خزائنها ويقذف البحر نفاثه وتستخرج كنوز الارض خيراتها .

وكانت الامة — وهي صاحبة الانتاج وصاحبة الفضل في هذه الرفاهية كلها تعيش عيش الصغار ، او الارقاء الممالك ، قد تسعد بغنائم مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر ، وقد تحرم ذلك ايضا فتصبر ، وقد تموت فيها الانسانية فلا تنكر شيئا بل تتسابق في التزلف وانتهاز الفرص .

هذا هو العهد الذي ازدهر في الشرق طويلا وترك رواسب في حياة هذه الامة ونفوسها وفي ادبها وشعرها ، واخلاقها واجتماعها وخلف آثارا باقية في المكتبة العربية ، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب " الف ليلة وليلة " الذي يصور ذلك العهد تصويرا بارعا ، يوم كان الخليفة في بغداد او الطك في دمشق او القاهرة ، هو كل شيء ، وبطل رواية الحياة ومركز الدائرة . ان هذا العهد الذي يمثل كتاب " الف ليلة وليلة " بأساطيره وقصصه ، وكتاب الاغاني بتاريخه وادبه ، لم يكن عهدا اسلاميا ، ولا عهدا طبيعيا معقولا ، فلا يرضاه الاسلام ولا يقره العقل ، بل انما جاء الاسلام بهدمه والقضاء عليه ، فقد كان هذا هو العهد الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الجاهلية ونعى عليه وانكر على ملوكه — ككسرى وقيصر — وعلى اثرتهم وترفعهم اشد الانكار

ان هذا العهد غير قابل للبقاء والاستمرار في اى مكان وفي  
اى زمان ولا سبيل اليه الا اذا كانت الامة مغلوبة على امرها او مصابة  
في عقلها او فاقدة الوعي والشعور او ميتة النفس والروح .  
ان هذا الوضع لا يقره عقل ، ومن الذى يسوغ ان يتختم فبرد  
او بضعة افراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعا ومسغبة ، ومن  
الذى يسوغ ان يعيث ملك او ابناء ملك بالمال عيث المجانيين ،  
والناس لا يجدون من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستر  
جسمهم ، ومن الذى يسوغ ان يكون حظ طبقة - وهي الكثرة -  
الانتاج وحده والكدح في الحياة والعمل المضني الذى لانهاية له ،  
وحظ طبقة - وهي لا تجاوز عدد الاصابع - الا التلهي بثمرات  
تعب الطبقة الاولى من غير شكر وتقدير وفي غير عقل ووعي ، ومن الذى  
يسوغ ان يشقى اهل الصناعة واهل الذكاء واهل الاجتهاد واهل  
المواهب واهل الصلاح ، وينعم رجال لا يحسنون غير التبذير ولا يعرفون  
صناعة غير صناعة الفجور وشرب الخمر ؟ ومن الذى يسوغ ان يجفى  
اهل الكفاية واهل النبوغ واهل الامانة ويقصوا كالمذبذبين ويجتمع  
حول ملك او امير فوج من خسام النفوس وسخاف العقول وفاقدي الضمائر  
من لا هم لهم الا ابتزاز الاموال وارضاء الشهوات ، ولا يحسنون فنا  
من فنون الدنيا غير التلق والاطراء والمؤامرة ضد الابرياء ، ولا يتصفون  
بشيء غير فقدان الشعور وقلة الحياة .

انه وضع شان لا ينبغي ان يبقى يوما فضلا عن ان يبقى اعواما .  
انه ان سبق في عهد من عهود التاريخ وبقي مدة طويلة فقد  
كان ذلك على غفلة من الامة او على الرغم منها ، وبسبب ضعف الاسلام  
وقوة الحاهلية ، ولكنه خليق بأن ينهار ويتداعى كلما اشرفت شمس

الاسلام واستيقظ الوعي وهبت الامة تحاسب نفسها وافرادها .  
فالذين لا يزالون يعيشون في عالم " الف ليلة وليلة " انما —  
يعيشون في عالم الاحلام ، انما يعيشون في بيت اوهن من بيت  
العنكبوت ، انما يعيشون في بيت مهدد بلا اخطار لا يدرون متى  
تعمل فيه معاول الهدم ، وان سلموا من كل هذا فلا يدرون متى يخر  
عليهم السقف من فوقهم فانه بيت قائم على غير اساس متين وعلى غير  
دعائم قوية .

الا ان عهد الف ليلة وليلة قد مضى فلا يخدم اقوام انفسهم  
ولا يربطوا نفوسهم بعجلة قد تكسرت وتحطمت ، ان الطوكية مصباح  
— ان جاز هذا التعبير — قد نفذ زيتته واحترقت فتيلته ، فهو  
الى انطفاء عاجل ولولم تهب عاصفة .

انه لا محل في الاسلام لاي نوع من انواع الاثرة ، انه لا محل فيه  
للاثرة الفردية او العائلية التي نراها في بعض الامم الشرقية والاقطار  
الاسلامية ولا محل فيه للاثرة المنظمة بشكل او بآخر والتي نراها  
في غير العالم الاسلامي .

ان الاثرة بجميع انواعها ستنتهي وان الانسانية ستثور عليها  
وتنتقم منها انتقاما شديدا ، انه لا مستقبل في العالم الا للاستلام  
السمح العادل الوسط وان طال اجل هذه " الاثرات " وارجى لها  
العنان وتمادت في غيابها وطغياها مدة من الزمان .

ان الاثرة — مهما كان نوعها او شكلها — غير طبيعية في حياة  
الامة وانها تتخلص منها في اول فرصة ، انه لا محل لها في الاسلام  
ولا محل لها في مجتمع واع بلغ الرشد ولا امل في استمرارها ، فخير  
للمسلمين وخير للعرب ان يخلصوا انفسهم منها ويقطعوا صللتهم بها  
قبل ان تفرق فيفرقوا معها .

## ايجاد الوعي في الامة :

ان اخوف ما يخاف على امة ويعرضها لكل خطر ويحملها — فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الامة ، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها الى كل موجة وخضوعها لكل متسلط وسكوتها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم ، وان لا تعقل الامور ولا تضعها في مواضعها ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والفاش وان تلدغ بجحر مرة بعد مرة ولا تنصحها الحوادث ، ولا تروعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، ولا تزال تولي قيادها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والاشرة والانانية ، ولا تزال تضع ثقته فيها وتمكنه من نفسها واموالها واعراضها ومفاتيح ملكها وتنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات فيجترى بذلك السياسيون المحترفون ، والقادة الخائنون ويأمنون سخط الامة ومحاسبتها — ويتمادون في غيهم ويسترسلون في خياناتهم وعيشتهم ثقة ببلاهة الامة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي .

ان الشعوب الاسلامية والبلاد العربية — مع الاسف — ضعيفة الوعي —، اذا تخرجنا ان نقول : فاقدة الوعي — فهي لا تعترف صديقها من عدوها ولا تزال تعاملها معاملة سواء او تعامل العدو احسن مما تعامل الصديق الناصح وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو ، ولا تزال تلدغ بجحر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب ، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضي الزعماء والقادة ، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة وهي ضعيفة في الوعي الديني والوعي الاجتماعي والضعف في الوعي السياسي ، وذلك ما جر عليها وبلا عظيم وشقاء كبيراً .

فمن اعظم ما تخدم به هذه الامة وتؤمن من المهازل والمآسي التي لا تكاد تنتهي هو ايجاد الوعي في طبقاتها ودهائها وتربية الجماهير العقلية والمدنية والسياسية ولا يخفى ان الوعي غير فشو التعليم وزوال الامية وان كانت هذه الاخيرة من انجح وسائلها ، وليعرف الزعماء السياسيون والقادة ان الامة التي يعوزها الوعي غير جديرة بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح وان اطرت الزعامة والزعماء وقد ستهم فانها — مادامت ضعيفة في الوعي — عرضة لكل دعاية وتهريج وسخرية كريشة في فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر في مكان .

استقلال البلاد العربية في تجارتها ومالياتها :

وكذلك لا بد للعالم العربي — كالعالم الاسلامي — من الاستقلال في تجارته وماليته وصناعته وتعليمه ، لا تلبس شعوبه وجماهيره الا ما تنبته ارضه وتنسجه يده ، وتستغني عن الغرب في جميع شئون حياتها ، وفي كل ما تحتاج اليه من كسوة ، وطعام ، وبضائع ، ومهنوعات واسلحة ، وجهاز حربي ، وآلات وماكينات ، وادوية ، فلا تكون كلال على الغرب وعيالا عليه في معيشتها ومتطفلة على مائدته .

ان العالم العربي لا يستطيع ان يجارب الغرب — اذا احتاج الى ذلك ودعت اليه الظروف — وهو مدين له في ماله ، عياله عليه في لباسه وبضائعه ، لا يجد قلما يوقع به على ميثاق مع الغرب ، الا القلم الذي صنع في الغرب ، ولا يجد ما يقاتل به الغرب ، الا الرصاص الذي افرغ في الغرب ، ان عارا على الامة العربية ان تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها ، وان يجرى ماء الحياة من عروقها وشرايينها الى اجسام غيرها ، وان يدرج جيوشها وكلاء الغرب وضباطه

ويدبر بعض مصالح حكومتها رجاله ، فلا بد للعالم العربي ان يقوم  
هو نفسه بحاجاته ، وتنظيم التجارة والمالية ، وحركة التوريبـــــــد  
والتصدير ، والصناعة الوطنية ، وتدريب الجيش ، وصنع الآلات والماكينات  
وتربية الرجال الذين يظلمون بجمع مهمات الدولة ووظائف الحكومة  
في خبرة ومهارة فنية ، وامانة ونصيحة .

رجاء العالم الاسلامي في العالم العربي :

والعالم العربي بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافي  
واهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، ويستطيع ان  
يتقلد زعامة العالم الاسلامي ، ويزاحم اوريا بعد الاستعداد الكامل  
وينتصر عليها بايمانه وقوة رسالته ونصر من الله ، ويحول العالم من الشر  
الى الخير ، ومن النار والدمار الى الهدوء والسلام .

الى قمة القبله العالمية :

ما اعظم التطور الذي حدث في تاريخ العرب على اثر بعثة محمد  
صلى الله عليه وسلم نادى به سورة الاسراء وقصة المعراج في لفظة  
صريحة بليغة وفي اسلوب مبين مشرق . وما اعظم النعمة التي اسبغها  
الله على العرب . نقلهم من جزيرتهم التي يتناحرون فيها الى العالم  
الفسيح الذي يقودونه بناصيته ، ومن الحياة القبلية المحدودة التي  
ضاقت بها الى الانسانية الواسعة التي يشرفون عليها ويوجهونها ،  
واصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذي فاجأ العرب وفاجأ العالم  
يقولون بكل وضوح وشجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة واركان  
دولته : " الله ابتعثنا ليخرج بنا من شاء من عبادة العباد الى عبادة  
الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى  
عدل الاسلام " .

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا اولا الى سعتها ثم اخرجوا  
الامم من ضيق الدنيا الى سعتها آخرا ، وهل اضيق من الحياة  
القلبية والجنسية ، واوسع من الحياة الانسانية الآفاق ؟ وهل اضيق  
من الحياة التي لا يفكر فيها الا في المادة الزائلة والحياة الفانية  
ولا يجاهد الا في سبيلها من الحياة الايمانية الروحانية التي لانهاية  
لها ولا تحديد ؟ .

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، ومن ضيق الحياة فيها ،  
ومن ضيق التفكير في مسائلها ومصالحها ، ومن ضيق التناحر على  
سيادتها ، ومن ضيق التكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل  
وعيشها الذليل ، الى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية  
والعلمية والسياسية ، ليس الدانوب الفاض والنيل السعيد والفرات  
العذب والسند الطويل الا سواقي حقيرة وترعا صغيرة فيسه ،  
وليست جبال الالب والبرانس وعقاب لبنان وقمم هماليا الا تلالا متواضعة  
وسدودا صغيرة ، وليست البلاد الواسعة كالهند والصين وتركستان  
الا احياء ضيقة وحارات صغيرة ، ونقطة مخمورة في هذا العالم ،  
وليست هذه الارض كلها — اذا نظر اليها من ارتقى الى قمة هذه  
السيادة — الا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق في السماء ،  
وليست الامم الكبيرة — مع ثقافتها وحضاراتها وآدابها — الا اسرا  
صغيرة في امة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على اساس العقيدة الواحدة ، والايمان  
العميق والصلة الروحية القوية ، وكان اوسع عالم عرفه التاريخ ، وكانت  
الشعوب التي تكون هذا العالم اقوى اسرة عرفها التاريخ . تنصهر  
فيها الثقافات المختلفة ، والعبقريات المختلفة ، فتنكون منها ثقافة

واحدة هي الثقافة الاسلامية ، التي لم تزل تظهر في نوابع الاسلام  
الذين لا يحصيهم عدد وفي المآثر الاسلامية - بين علمية وعملية -  
التي لا يستقصيها التاريخ .

لقد كانت - ولا تزال - قيادة هذا العالم بجدارة واستحقاق  
اشرف قيادة واعظمها واقواها في تاريخ الرعامة والقيادة ، وقد اكرم  
الله بها العرب لما اخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية وتغانوا في سبيلها  
فأحبهم الناس في العالم حبا لم يعرف له نظير ، وقلدوهم في كل  
شيء تقليدا لم يعرف له نظير ، وخضعت للغتهم اللغات ، ولثقافتهم  
الثقافات ، ولحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم هي لغة العلم  
والتأليف في العالم المتمدن من اقصاه الى اقصاه ، وهي اللغة  
المقدسة الحبيبة التي يوثرها الناس على لغاتهم التي نشأوا عليها ،  
ويؤلفون فيها اعظم مؤلفاتهم واجب مؤلفاتهم ، ويتقنونها كأبنائها  
واحسن ، وينبغ فيها ادباء ومؤلفون يخضع لهم المثقون في العالم  
العربي ، ويقر بفضلهم وامانتهم ادباء العرب ونقادهم .

وكانت حضارتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجد الناس  
ويتظفرون بتقليدها ، ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات  
الآخري ويطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات - اسما  
" الجاهلية " ، و " العجمية " وينهون عن اتخاذ شعائرها ومظاهرها .  
وبقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون  
في ثورة عليها ، وفي التخلص منها ، كما هي عادة المفتوحين والاسم  
المغلوبة على امرها في كل عهد ، لان صلتهم بهذه القيادة ليست صلة  
المفتوح بالفتاح او المحكوم بالحاكم او الرقيق بالسيد القاهر ، انما هي  
صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، وعلى الاكثر انما هي



صلة التابع بالمتبوع الذي سبقه بمعرفة الحق والايان بالدعوة والتفاني في سبيلها ، فلا محل للثورة ، ولا محل للتذمر ، ولا محل لنكران الجميل ، انما اللائق ان يعترفوا لهم بالفضل ، وتلهج السنتهم بالشكر والدعاء ، وان يقولوا : " رينا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا رينا انك رؤوف رحيم "

وهكذا كان ، فقد ظلت هذه الامم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية ، والداعي الى دار السلام ، والقائد الى الجنة والمعلم للحضارة ، والاستاذ في الادب .  
هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية ، واصلتها سورة الاسراء ، وهي القيادة التي يجب ان يحرض عليها العرب اشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ ، ويسمعوا اليها بكل ما اتوا من مواهب ويتواصى بها الاباء والابناء ، ولا يجوز لهم — في شريعة العقل والدين والغيرة — ان يتخلوا عنها في زمن من الازمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة ، وليس في غيرها عوض عنها وكفاية ، وهي القيادة التي تشمل جميع انواع القيادة والسيادة ، وهي تسيطر على القلوب والارواح ، اكثر من سيطرتها على الاجسام والاشباح .  
ان الطريق الى هذه القيادة مهيأة ميسورة للعرب ، وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الاول " الاخلاص للدعوة الاسلامية واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها وتفضيل منهج الحيااة الاسلامي على جميع مناهج الحياة " .

وبذلك — من غير قصد وازادة لنيل هذه القيادة وتبوتها — تخضع

لهم الامم الاسلامية في انحاء العالم ، وتتهالك على حبيهم واجلالهم





مطبعة ابن حيتان دمشق

صدر بإشراف لجنة الإنجاز  
سعر المبيع للطالب ( ١٥٠ ) ل.س

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)